VOICE
of sudanese community

العدد الـ ٣٠ صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - شاملة - مستقلة ٢٢ صفحة

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م أرفع صوتك هيبة وجبرة Saturday 19 APRIL 2025

www.thesdvoice.press

VISION
Creative Media Group
تصميم - طباعة - نشر 0739952763
للإعلان: info@thesdvoiceads.press

12 **بريطانيا وفرنسا تبحثان إعادة المهاجرين غير الشرعيين**

3 **الطلاب السودانيون بمصر ضحايا اتفاقية لم تكتمل...**

2 **متطوعون ينتشلون جثثاً «من كل مكان» بالخرطوم**

2 **تدابير لإبعاد الأجانب من الأحياء السكنية**

شركة إماراتية تنقل قنابل بلغارية إلى الدعم السريع

عقد إماراتي بخمسين مليون يورو

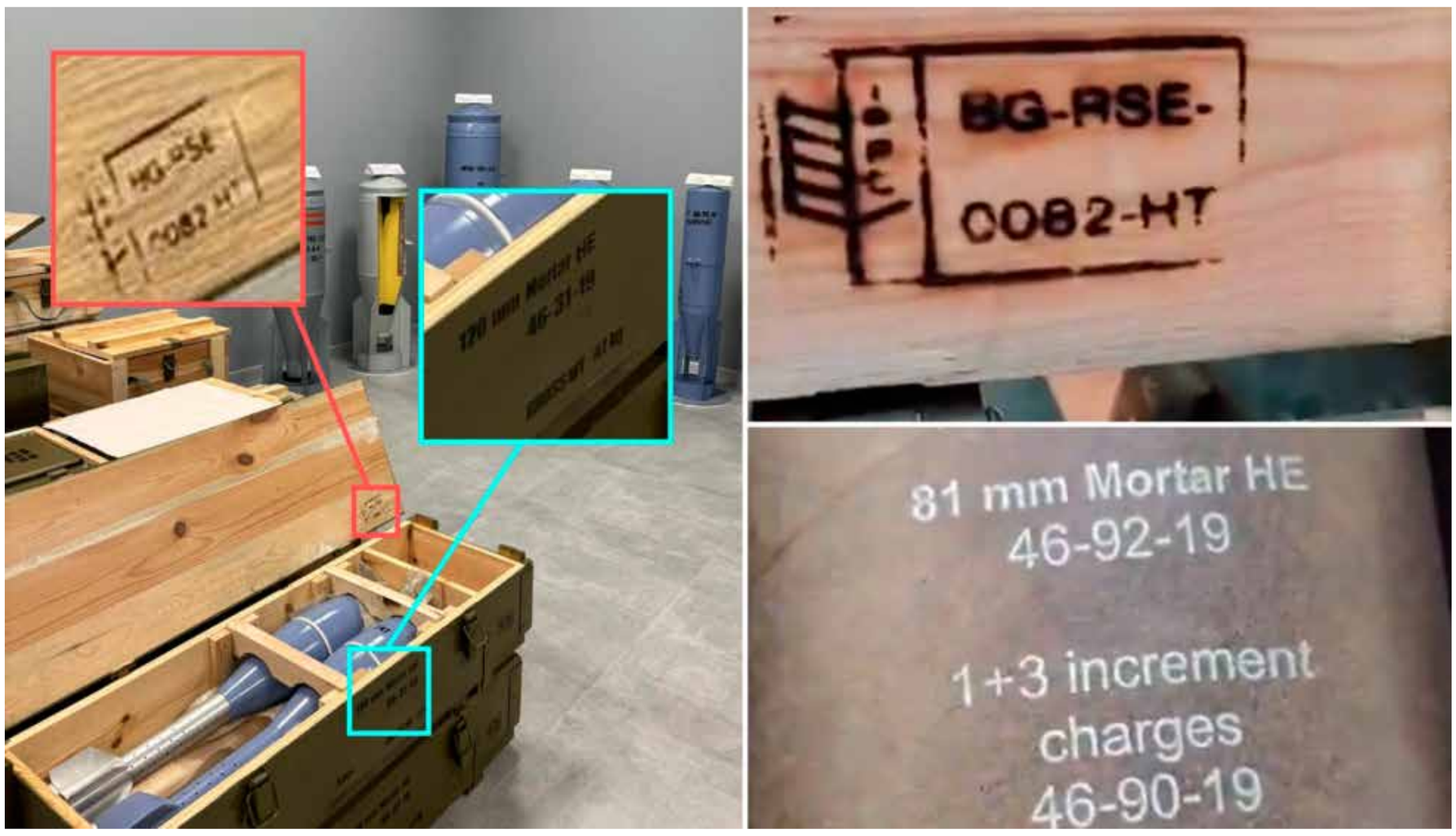

○ **متابعات – «فويس»**

● أجرت «فرانس ٢٤» تحقيقا حول وجود قذائف هاون ذات منشأ أوروبي في السودان، وغاصت في خفايا العقد الذي أوصل أسلحة صنعت في بلغاريا إلى ساحات القتال في السودان، وذلك على الرغم من حظر تصدير الأسلحة الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي على هذا البلد. وبفضل وثائق حصرية، تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ من التعرف على الشركة التي أشرفت على هذا العقد ويستمر التحقيق بحسب «فرنس ٢٤» التي ذكرت: يتعلق الأمر بشركة إنترناشونال غولدن غروب، وهي شركة إماراتية معروفة بتطورها في عدة ملفات في نقل أسلحة إلى مناطق تخضع لحظر تصدير أسلحة.

في الجزء الأول من سلسلة المقالات: في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤، قام مقاتلون سودانيون بتصوير غنيمتهم: ويتعلق الأمر بقذائف هاون هاون وفق تأكيدهم إلى قوات الدعم السريع، المليشيا شبه العسكرية التي تقاتل الجيش السوداني في حرب أهلية مستمرة منذ نيسان/أبريل ٢٠٢٣. وتم نقل هذا الأسلحة، التي صنعت في بلغاريا إلى السودان على الرغم من حظر تصدير الأسلحة المفروض من الاتحاد الأوروبي على هذا البلد الذي تمزقه الحرب.

للوهلة الأولى، لم ترغب اللجنة الوزارية لمراقبة التصدير، والهيئة البلغارية المكلفة بمنح تراخيص تصدير الأسلحة في مدنا بمزيد من المعلومات حول البلد المصدر الأول لقذائف الهاون من تصنيع شركة دوناريت Dunarit، والتي ظهرت في مقاطع فيديو التقطت في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤ في السودان. وأضافت هذه اللجنة: «التصدير تم منحه إلى حكومة بلد لا يخضع لعقوبات من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وتم إعلام الهيئة البلغارية المختصة بنقل هذه المنتجات وحصلت على شهادة التوصيل من قبل المستخدم النهائي لها».

إلا أن مصدرا فضل عدم ذكر هويته، مد فريق تحرير مراقبون بنسخة من شهادة التوصيل المذكورة آنفا. وتم إصدار هذه الوثيقة في يوم ١٦ آب/أغسطس ٢٠٢٠ من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة في الإمارات العربية المتحدة والتي كانت مليئة بالمعلومات القيمة حول عملية التسليم.

ونعلم من خلال هذه الوثيقة أن الطرف الأخير المستلم لقنابل الهاون بلغارية الصنع هو جيش الإمارات العربية المتحدة نفسه.

(تفاصيل الجزء الأول والثاني من التحقيق بالداخل ص ٤ و٥)

2 **هل يستطيع السودان إلزام الإمارات بتنفيذ حكم محكمة العدل الدولية؟**

الأزمة السودانية

عامان من حرب السودان (حقائق وأرقام صادمة)

قراءة

الخرطوم .. ليس من رأى كمن سمع !! 7

الأزمة السودانية

ذكرى الحرب : مواقع وشخصيات شكلت علامة فارقة 8

دراسات

استشراف المستقبل: علم إدارة الغد ... اليوم 9

سيرة ذول

ابن الجزيرة فضل الله محمد يحفر اسمه في صحف الخرطوم 11

حوار

القاصة والروائية الجنوب سودانية استيلا اتهموني بالخيانة.. 18

رئيس التحرير يكتب: (غبينة) رجلٌ بلا غبينة 21

محجوب الخليفة يكتب: المغتربون.. ملاحم بطولية في وجه الحرب اللعينة 14

عمر حسن غلام الله يكتب: مطار بورسودان .. وضعُ مُزرٍ 13

محمد المهدي يكتب: شركات المساهمة العامة .. ضرورة ملحَّة 13

صالح محمد علي يكتب: الفاتح عروة .. رحيل الساموراي 10

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

تدابير لإبعاد الأجانب من الأحياء السكنية

○ الخرطوم - «فويس»

● كشف وزير الداخلية السوداني الفريق شرطة خليل باشا سايرين، الخميس، عن تدابير لإبعاد الأجانب من الأحياء السكنية إلى مخيمات.

ووصل وفد رفيع من وزارة الداخلية الخميس إلى الخرطوم، بعد نحو ثلاثة أسابيع من استعادة الجيش معظم أنحاء الولاية بما في ذلك مؤسسات الدولة، بعد ان خاض معارك شرسة أجبرت الدعم السريع على التراجع إلى غرب أم درمان والانسحاب من أطراف الخرطوم. وقال سايرين، في تصريحات عقب الاجتماع بحكومة ولاية الخرطوم، إن هناك "تدابير لترحيل الأجانب إلى معسكرات محددة وإخراجهم من وسط الأحياء تمشيًا مع رؤية الولاية حول الوجود الأجنبي".

وأعلن دعمه للتعاون الوثيق بين مكونات لجنة أمن ولاية الخرطوم من خلال العمل المشترك والخلية الأمنية، لحسم ظاهرة المتفلتين الذين ينتحلون صفة القوات النظامية.

وتفقد الوزير مقار وزارة الداخلية ورئاسة قوات الشرطة ومعتمدية اللاجئين ورئاسة قوات الجمارك ورئاسة قوات الدفاع المدني وجامعة الرباط ومستشفى الشرطة، إضافة لسجن كوبر الاتحادي.

وتعهد وزير الداخلية بتشغيل السجون وإعادة المجرمين إليها، معلنا بداية العمل من داخل مقر الوزارة وسيطرة الشرطة في جميع محليات الخرطوم لحماية المقار الحكومية وبسط الأمن والاستقرار.

وأشار إلى أن زيارته إلى الخرطوم تهدف إلى المساهمة مع الولاية في تطبيع الحياة ببسط الأمن ودعم العودة الطوعية والاحتياجات لوحدات الشرطة. وفي السياق، قال والي ولاية الخرطوم أحمد عثمان حمزة إن استعادة الجيش السيطرة على أغلب أراضي الولاية من الدعم السريع، وضعت حكومة الولاية أمام مسؤولية كبيرة لاستعادة الخدمات الضرورية التي نهبتها وخربتها الدعم السريع. وأفاد بأن قوات الشرطة ظلت متواجدة في محلية كرري، لكنها تحتاج إلى دعم كبير لتنفيذ خطتها بشأن فرض هيبة الدولة والانتشار بعد استئناف أعمالها في أغلب المركز.

وتوقع حمزة أن تسهم زيارة وزير الداخلية إلى الخرطوم في معالجة القضايا المتعلقة بعودة السجون لاستكمال دائرة العدالة ومحاسبة المتعاونين مع قوات الدعم السريع، إضافة إلى وضع حلول حول ملف الأجانب الذين أصبحوا يشكلون عبئا أمنيا بتواجدهم وسط المواطنين داخل الأحياء السكنية.

متطوعون ينتشلون جثثاً «من كل مكان» بالخرطوم

● الهلال الأحمر السوداني قال إن المتطوعين يعثرون على الجثث «في الشوارع وداخل المباني وفي كل مكان»، مضيفا أن بعضها يعود إلى «بداية الحرب» منذ استعادة الجيش السوداني سيطرته على الخرطوم الشهر الماضي، يعمل متطوعون في الهلال الأحمر على انتشال الجثث الملقاة في شوارع العاصمة التي شهدت معارك طاحنة. وصرحت الأمينة العامة لجمعية الهلال الأحمر السوداني عايدة السيد لوكالة الأنباء الفرنسية أن المتطوعين يعثرون على الجثث «في الشوارع وداخل المباني وفي كل مكان».

وقالت إنه من غير الواضح عدد الجثث التي لا تزال ملقاة في العراء في الخرطوم، لكنها أكدت العثور على «٢٥٠ جثة في شارع واحد». واندلع النزاع في السودان بين قائد الجيش عبد الفتاح البرهان وقائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو (حميدتي) في ١٥ أبريل (نيسان) ٢٠٢٣ وسرعان ما امتدت الاشتباكات التي بدأت في الخرطوم إلى معظم الولايات.

ودخلت الحرب الثلاثاء الماضي عامها الثالث بعدما خلّفت عشرات آلاف القتلى وأدت إلى تشريد ١٣ مليون شخص، متسببة بأكبر أزمة إنسانية في التاريخ الحديث وفق الأمم المتحدة. في الخرطوم وحدها، لقي أكثر من ٦١ ألف شخص حتفهم لأسباب مختلفة خلال الأشهر الـ١٤ الأولى من الحرب، وفقا لكلية لندن للصحة والطب المداري، بزيادة ٥٠ بالمئة عن معدل الوفيات قبل الحرب. وتوصل تقرير الكلية العام الماضي إلى أن ٢٦ ألف وفاة من بين هذه الوفيات نسبت مباشرة إلى العنف.

«نجمع العظام»

وقالت السيد إنه إلى حين سيطرة الجيش على العاصمة، «لم يكن أحد يستطيع دخول الخرطوم». وأضافت أن بعض الجثث التي انتشلت تعود إلى «بداية الحرب»، واستطردت «أحيانا نجمع العظام». ويضم الهلال الأحمر السوداني نحو ١٢ ألف متطوع يقدّمون المساعدة لملايين النازحين ويوزعون الطعام والماء وأحيانا يقدمون الدعم النفسي. وتكافح المنظمة الإنسانية لتغطية الحاجات المتزايدة في البلاد وسط نقص حاد في التمويل. وقالت السيد «السودان حرب مهملة ومنسية».

وأضافت أن فرقا مدرّبة تدريبا عاليا هي التي تدير برنامج «إدارة الجثث» التابع للمنظمة ويرتدون ملابس واقية خاصة، ويجمعون الرفات في أكياس بلاستيكية قبل نقلها إلى منطقة آمنة محددة.

ويكمن التحدي الرئيسي في تحديد هوية الجثث. أما تلك التي يعثر عليها مع بطاقات هوية فيتم تسجيلها ودفنها في مناطق محددة. ويتم تسجيل الجثث الأخرى بكل التفاصيل المعروفة عنها ونقلها إلى منطقة أخرى حيث يمكن للباحثين عن مفقودين الحضور والاستفسار.

آلاف المفقودين

يأتي هذا بينما أعلن الصليب الأحمر هذا الأسبوع أن ما لا يقل عن ٨٠٠٠ شخص فقدوا في السودان العام الماضي وحده، محذرا من أن هذا ليس سوى «قمة جبل الجليد». وقالت السيد إن متطوعي الهلال الأحمر يُساهمون في العمل للعثور على المفقودين، مضيفة أن هذه «مشكلة كبيرة جداً» في السودان. وأضافت: «تتلقى اتصالا في منتصف الليل: لا أستطيع العثور على ابنتي أو زوجي أو أخي.. نسمع دائما الناس يسألون عن أفراد عائلاتهم أو جيرانهم». وبالإضافة إلى تتبع المفقودين وإزالة الجثث من شوارع الخرطوم، يُشارك المتطوعون في «حملة تنظيف» تحضيرا لعودة النازحين. وتوقعت الأمم المتحدة هذا الأسبوع عودة أكثر من مليوني شخص إلى العاصمة خلال الأشهر الستة المقبلة.

وعندما سُئلت ما إذا كانت عودتهم آمنة، أقرت السيد بأنه «لا توجد ضمانات»، لكنها أكدت أن الناس «متعبون جداً» وكل ما يريدونه هو رؤية منازلهم.

وأشارت السيد، التي تنحدر هي نفسها من الخرطوم، إلى أنه حتى الآن لم ترَ سوى صورة للمنزل الذي نشأت فيه وأسست فيه عائلتها. وقالت «لقد انهار بالكامل»، مؤكدة أن الأمر «مؤلم».

وزير النقل: إكتمال الاستعدادات لإبحار الباخرة سيناء من أسوان لوادي حلفا

○ بورتسودان - «فويس»

● أكد وزير النقل المهندس ابو بكر أبو القاسم إكتمال كافة الاستعدادات لنقل السودانيين من جمهوريه مصر العربيه الى السودان، عبر الباخرة سيناء من أسوان إلى وادي حلفا، مشيرا إلى ان النقل متاح عبر البر أيضاً.

وقال أبو بكر في تصريح ل(سونا) ان كل من يرغب في العودة الطوعية إلى وطنه عليه مراجعة السفارة السودانية بالقاهرة لتحديد زمن عودته وفق الترتيب المتبع.

وأوضح الوزير ان هناك باخرة أخرى ستنضم إلى الباخرة سيناء ليكونا باخرتين ذهابا وأيابا، مشيرا إلى أن العمل في الرصيف يسير على قدم وساق وان النقل النهري به سعة كبيرة تمكن كل العائدين إلى ديارهم من حمل كل امتعتهم وان سبل النقل كلها متاحة لتسهيل عودة السودانيين لديارهم متمنيا التوفيق للجميع.

تنجية

استغلال صارخ برسم الـ (خدمة)

الناجي صالح *

● في الوقت الذي يُخرج فيه المواطنون في ولاية الجزيرة أنفاسهم الأخيرة تحت وطأة الأزمات الاقتصادية الخانقة، وتحاصرهم آثار الحرب المدمرة التي مزّقت حياتهم وشققتها، تخرج حكومة الولاية بقرار يزيد من عذابهم وأوجاعهم، وكأنها تبحث عن أي خرم لاستنزاف ما تبقى من قوتهم. فبدلاً من أن تمدّ لهم يد العون، أو تخفف عنهم عبء الحياة، ها هي تُطلق حملة ترخيص العربات ورخص القيادة باحتفال رسمي مهيب، وبرسوم تبلغ ٦٠٠,٠٠٠ جنيه لترخيص العربة الواحدة، وكأنها تعلن عن مشروع إنقاذ، بينما الحقيقة أنها تفتح باباً جديداً لامتصاص دماء الناس.

لقد جاء الإعلان عن بدء معاملات الترخيص بحضور الوالي ومسؤولي الأمن وكبار موظفي الولاية، في مشهد يفتقر إلى أدنى درجات الإحساس بمعاناة المواطن. ففي حين يعاني الناس من شظف العيش، وارتفاع الأسعار، وانعدام الخدمات الأساسية، يُطلب منهم الآن دفع رسوم تراخيص مضاعفة، وكأنهم (البقرة الحلوب) التي لا تنضب، كما يبدو في عيون المسؤولين. السؤال الذي يفرض نفسه هنا: أين هي الأولويات؟ هل يعقل أن تكون هموم الحكومة في هذه المرحلة هي تحصيل المزيد من الأموال من جيوب الناس، بينما الكثيرون لم يجدوا عرباتهم أصلاً؟

لقد تحوّل المواطن بعد عودته، في ولاية الجزيرة إلى مجرد رقم في سجلات الجباية، يُستغل في كل منعطف، ويُحاصر بضرائب ورسوم لا تُناسب واقعه المزري. فبعد أن دمّرت الحرب البنية التحتية، وشردت الأسر، وأفقرت الناس، ها هي الحكومة تزيد الطين بلّة بفرض مزيد من المتطلبات المالية، دون أن تقدم أي حلول حقيقية لمشكلات المواطنين. بل الأكثر قسوة أن يُقدَّم هذا القرار على أنه (إنجاز خدمي)، بينما هو في جوهره نهش للمواطن الذي لم يعد يملك ما يدفعه.

إن ما يحدث هو انتهازٌ فاضحٌ لظروف الناس البائسة، حيث تُفرض عليهم متطلباتٌ مالية في وقت هم بأمسّ الحاجة إلى الدعم والإعفاءات. فبدلاً من أن تعلن الولاية عن إجراءات تخفيفية، أو مساعدات عينية، نراها تطلق حملات تحصيل الأموال بزعم (تحسين الخدمات)، بينما المواطن يتساءل: أي خدمات هذه التي تُفرض عليه رسومها ولا يراها؟ وأي حكومة هذه التي لا ترى في مواطنيها سوى مصادر للتمويل؟

إن فرض وزيادة رسوم ترخيص العربات في هذه الظروف ليس سوى صورة أخرى من صور اللامبالاة بحياة الناس، وإمعان في تعميق أزماتهم. فحين يكون المواطن منهكاً تحت وطأة الغَلاء والدمار، يكون من الواجب على الحكومة أن تبحث عن سُبل إنقاذه، لا أن تزيد من أحماله. لكن يبدو أن منطق (الجباية) هو السائد، بينما حقوق الناس ومعاناتهم تُترك في آخر سلم الأولويات.

إن المواطنٍ السوداني، وخاصة في ولاية الجزيرة، لم يعد يتحمل مزيداً من الاستغلال. فالحكومة مطالبة اليوم بأن تراجع سياساتها، وتتوقف عن النظر إلى الناس باعتبارهم مجرد (أرقام في سجلات المالية)، و(صراف غير معيّن لكشوفات الرواتب)، وأن تبدأ بخطوات حقيقية تخفف معاناة المواطنين، بدلاً من أن تزيدها. فالشعب الذي عانى من ويلات الحرب والانهيار الاقتصادي يستحق التعاطف والدعم، لا أن يُترك المواطن فريسة للاستنزاف والاستغلال، لسدّ عجز رواتب موظفي الدولة العاجزين حتى عن خدمته.

* رئيس التحرير.

هل يستطيع السودان إلزام الإمارات بتنفيذ حكم محكمة العدل الدولية؟

● أكد المحامي العام بوزارة العدل الدكتور معتصم السنوسي أن السودان إذا تمكن من الحصول على حكم من محكمة العدل الدولية في الدعوى التي رفعها ضد دولة الإمارات العربية المتحدة فإن قوة الإلزام بتنفيذه متوفرة.

جاء ذلك في رده على سؤال طرحته عليه وكالة السودان للأنباء (سونا)، خلال المؤتمر التنويري الدوري لوزارة الثقافة والإعلام رقم ٢٢، والذي نظمته الوكالة ببورتسودان يوم الخميس، حول ما يثار أن الأحكام التي تصدرها المحكمة ضد الدولة المشكو ضدها غير ملزمة في ذاتها وغير قابلة للنفاذ، وبالتالي ما هي الجدوى من اللجوء إليها إبتداءً؟.

وأوضح دكتور السنوسي أن ما يثيره بعض القانونيين في الفضاءات حول أحكام هذه المحكمة ليس صحيحاً على سبيل الدقة وذلك لأن القول بأن الحكم غير ملزم يستوجب الموثوقية بأن هذا الحكم غير قابل للنفاذ وبالتالي بأن الحكم غير ملزم.

وقطع المحامي العام بوزارة العدل أن أحكام محكمة العدل الدولية، بموجب الميثاق المنشئ لها وبموجب النظام الأساسي لها، أحكام ملزمة قابلة للنفاذ جبراً وأداة النفاذ حسب القواعد والقوانين الحاكمة لهذا النظام هو مجلس الأمن، مشيراً إلى أنه إذا أصدرت المحكمة حكماً ملزماً ضد الدولة المشكو ضدها فإنها تمنح مهلة زمنية لتنفيذه رضاءً وفي حالة عدم تنفيذه تودع المحكمة الحكم لدى مجلس الأمن لتنفيذه جبراً.

واستشهد دكتور السنوسي بالسابقة القضائية الخاصة بالقضية التي أقامتها نيكاراجوا ضد الولايات المتحدة الأمريكية تتهمها بذات الإتهامات التي يوجهها السودان الآن إلى دولة الإمارات؛ وهي أن الولايات المتحدة تدعم المتمردين الذين يثيرون الفوضى داخل نيكاراجوا بالسلاح والخطط، مشيراً إلى أن تلك الدعوى سارت على نفس النهج الذي تسير عليه قضية السودان الآن، حيث تقدمت الولايات المتحدة بدفع إلى محكمة العدل الدولية بأن المحكمة لا تختص بالنظر في النزاع بسبب أن هناك وجهة نظر أخرى أو وجود إتفاقية إقليمية تمنح الدول في الأمريكيتين حق اللجوء إلى هذه الجهة إبتداءً، وقد ردت المحكمة أن وجود إختصاص لمحكمة أخرى لا يسلبها إختصاصها الأصيل بالنظر في الدعوى بموجب القانون الدولي.

وأبان المحامي العام بوزارة العدل أن دولاً أخرى تقدمت إلى جانب أميركا لتستبعد إختصاص المحكمة الدولية ومن ضمنها دولة كوستاريكا التي تقدمت بطلب intervention لتستبعد إختصاص المحكمة، ولكن بالرغم من ذلك سمعت الدعوى أمام المحكمة وصدر الحكم النهائي لصالح نيكاراجوا، مبينا أن النتيجة كانت بأن دخلت الولايات المتحدة في مفاوضات مباشرة مع نيكاراجوا وإلتزمت بدفع مبلغ ٢٥٠ مليون دولار لنيكاراجوا لتعويض الأضرار وذلك مقابل أن تقوم نيكاراجوا بسحب الدعوى من أمام محكمة العدل الدولية لأن أميركا ستكون ملزمة بتنفيذ قرار المحكمة عبر مجلس الأمن وهي لا تريد أن تدخل نفسها في في موقف محرج دولياً بوصفها القوة العظمى والمؤثرة في العالم وتسعى لإرساء قواعد الأمن والسلم الدوليين بينما هي ضالعة في قضية أمن وسلم في دولة أخرى من دول العالم عضو في الأمم المتحدة.

انقطاع الكهرباء لأكثر من أسبوع في أم درمان.. مآسي لا تنتهي

○ أم درمان - «الجزيرة»

● بأسى يسرد السوداني محمد صديق الزمزمي رحلة معاناة ٥ سنوات مع غسيل الكلى، لكن قمة مخاوفه كما يقول يعيشها هذه الأيام التي تشهد البلاد فيها انقطاعا تاما في الكهرباء، لأكثر من ٨ أيام على التوالي، إثر استهداف مسيرات طويلة المدى لقوات الدعم السريع لمحولات توليد الكهرباء بسد مروي شمالي السودان للمرة الرابعة.

تنقل الزمزمي الذي يرقد في وحدة غسيل الكلى بمستشفى النو التعليمي بأم درمان بين مستشفيات عدة، في ظل الحرب التي شهدها السودان، أملا في الحصول على العلاج، لكن المشكلة واحدة كما يقول وهي نقص المواد الذي يزيد على المريض عبء شرائها من السوق.

لكن المشكلة التي يواجهها الزمزمي اليوم خارجة عن إرادته كما يقول للجزيرة نت، فهو يخشى أن يتوقف جهاز غسيل الكلى المخصص له والذي يعمل بمولد كهربائي، أو أن يتعطل لأي سبب نتيجة عمله لساعات طويلة، على مدى ٨ أيام بشكل متوال بسبب انقطاع الكهرباء.

ولا يختلف وضع أحمد فاروق صالح كثيرا، وهو الذي أصيب بضمور في الكلى بسبب تلوث المياه، جراء تداعيات الحرب، وشاءت الأقدار أن تكون أول تجربة له مع غسيل الكلى في ظل انقطاع الكهرباء، ويقول للجزيرة نت إن أقسى ما يخشاه هو توقف جهاز الغسيل بسبب تعطل أحد مولدين يتناوبان العمل ليل نهار طوال الأيام الماضية في مستشفى النو.

معاناة القطاع الصحي

تسبب انقطاع الكهرباء بتقلص السعة الاستيعابية لوحدة غسيل الكلى بمستشفى النو التعليمي من ٢٧ ماكينة إلى ١٨، وبتقلص الزمن المخصص للغسيل من ٣ ساعات إلى ساعتين، وفق ما أكدته للجزيرة نت المديرة الطبية لمركز غسيل الكلى بالمستشفى الدكتورة تسنيم عبد العزيز.

وخلّف انقطاع الكهرباء لفترات طويلة والمستمر حاليا لأكثر من أسبوع واقعا صعبا في كل القطاع الصحي بالسودان، مما يلقي عبئا كبيرا على إدارات هذه المستشفيات بتوفير بيئة عمل جيدة فيها.

ورغم تضافر الجهود لإيجاد حلول، فإن المولدات التي تستعين بها المستشفيات غير مصممة للعمل المتواصل على مدى أيام طويلة، وتكثر فيها الأعطال، بالإضافة إلى الاستهلاك العالي للوقود في ظل التردد المتزايد للمرضى على المستشفيات، كما يقول المدير العام للمستشفى الدكتور جمال الطيب العبيد.

وقال العبيد للجزيرة نت إنه "رغم عظم التحديات، فإن إدارة المستشفى لا تزال قادرة على التحكم في هذه المشكلات، ولم يشهد المستشفى -حتى الآن- انقطاعا للتيار الكهربائي".

يُذكر أن لمستشفى النو سجلا كبيرا في الحرب، إذ استهدفته قوات الدعم السريع بصورة متكررة، كان آخرها في فبراير/شباط الماضي، موقعة ٦ قتلى، وقد ظل هذا المستشفى يعمل طوال الحرب المستمرة منذ عامين. وغير بعيد عن مستشفى النو، تسبب انقطاع الكهرباء بمعاناة كبيرة للمرضى في مستشفى البلك للأطفال بأم درمان، بحسب ما صرحت به للجزيرة نت المديرة العامة للمستشفى الدكتورة مها حسين محمد، وقالت إن ضرب قوات الدعم السريع لمحول الكهرباء الرئيسي بسد مروي خلق تحديا كبيرا لهم في المستشفى.

ولكنها أكدت أن كوادر المستشفى تمكنوا رغم الظروف القاسية من تقديم خدمات متكاملة للمرضى، إذ يعد مستشفى البلك الوحيد المخصص للأطفال، والذي ظل يعمل طوال فترة الحرب رغم الاستهداف المتكرر من قبل قوات الدعم السريع.

وشهدت الفترة الأخيرة، وخاصة بعد استعادة الجيش السوداني للعاصمة الخرطوم والخرطوم بحري، زيادة في عدد المرضى بما نسبته ٣٠٠٪، أي بما يقارب من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مريض في اليوم.

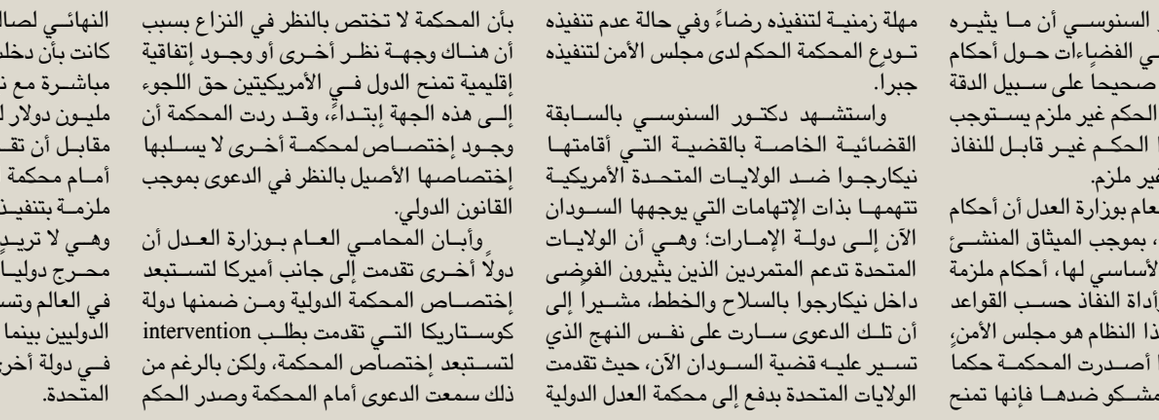

مأساة مستمرة

أثر هذا الاستهداف الرابع من نوعه لقوات الدعم السريع لمحولات سد مروي لتوليد الكهرباء كثيرا على الخدمات الصحية الحيوية، وشكل تهديدا للأرواح، بحسب بيان لمنظمة أطباء بلا حدود، خاصة المستشفيين المدعومين من قبلها وهما مستشفى النو ومركز البلك للأطفال، بالإضافة إلى مستشفى أم درمان. وتمثل التعقيدات البالغة التي تمر بها المستشفيات جزءا من واقع مأساوي أكبر، تسبب به انقطاع التيار الكهربائي بصورة متواصلة استمرت أكثر من أسبوع، نتيجة استهداف مسيرات الدعم السريع الطويلة المدى على مدى شهرين محطات كهربائية عدة، كان من أبرزها:

• محطة كهرباء الشوك التي تغذي عدة مدن في شرق البلاد، واستهدفت مرتين.
• خزان سنار الذي يولد الكهرباء، واستهدف مرة واحدة.
• خزان الرصيرص، وهو خزان معني بتوليد الكهرباء، استهدف مرة واحدة.
• سد مروي ومحطة كهرباء مروي في شمال البلاد، استهدف ٤ مرات
• محطة كهرباء أم دباكر بالنيل الأبيض، واستهدفت ٤ مرات.
• محطة كهرباء المرخيات بأم درمان، استهدفت مرتين.

وعمّق انقطاع الكهرباء في العاصمة الخرطوم ومدن سودانية أخرى الأزمات في شتى مناحي الحياة، فقد بات الحصول على كمية قليلة من الخبز ضربا من المعاناة، إذ يصطف عشرات المواطنين أمام المخابز التي تعمل بمولدات كهربائية ولساعات محددة، مما يضاعف أزمة المواطنين بالحصول على الخبز.

كما يعاني المواطنون في أم درمان بشحن هواتفهم، فقد أدى انقطاع الكهرباء إلى عزلة المواطنين عن العالم الخارجي جراء فراغ هواتفهم من الشحن الكهربائي، بينما لجأ البعض إلى تشغيل مولدات صغيرة الحجم وجعلها استثمارا صغيرا لشحن الهواتف، وباتت المشاهد الأكثر إثارة للانتباه هو اصطفاف المواطنين أمام أماكن شحن الهواتف، في حين تعاني أم درمان ليلا من ظلام دامس في بعض الأماكن لا يكسره إلا الأضواء المنبعثة من السيارات المتنقلة في الشارع.

يناشدون رئيس مجلس السيادة بالتدخل لإنقاذ مستقبلهم

الطلاب السودانيون بمصر ضحايا اتفاقية لم تكتمل... وحرب لم تنتهِ

اتفاقيات معطلة.. رسوم مُضاعفة.. وسفارة صامتة

○ خاص - «فويس»

● في الوقت الذي كان فيه الطلاب السودانيون يفرون من أتون الحرب، حاملين معهم أحلاماً بمواصلة التعليم في بلد الجار المصري الذي طالما اعتبروه ملاذاً آمناً، وجدوا أنفسهم أمام معركة جديدة غير متوقعة: معركة ضد قرارات متغيرة، ورسوم جامعية متصاعدة، وإجراءات تعسفية تحول دون حصولهم على حقهم الأساسي في التعليم.

ما بدأ كاتفاقية تاريخية بين البلدين، تمنح الطلاب السودانيين تعاملاً خاصاً على الرسوم الدراسية كنظرائهم المصريين، تحول الأمر إلى كابوس مالي وإداري. فجأة، وبلا سابق إنذار، ألغيت الخصومات، أو اختلف تطبيقها من جامعة لأخرى، وارتفعت رسوم التأشيرة من ٢٥ إلى ٥٠٠ دولار، بينما وجد طلاب آخرون أنفسهم عالقين على الحدود رغم سدادهم كامل الرسوم، بسبب تعقيدات بيروقراطية لا ذنب لهم فيها.

هذا التحقيق الذي تجريه صحيفة «فويس» يكشف كيف تحولت «اتفاقية الحريات الأربع» بين مصر والسودان - التي كان يفترض أن تسهل حركة المواطنين وتعليمهم - إلى حبر على ورق. كيف ترك الطلاب وأسرهم يواجهون مصيراً مجهولاً، بين حرب تدمر أوطانهم، وسياسات تعليمية تقهر أحلامهم. ولماذا تقاعست السفارة السودانية في مصر، ووزارة الخارجية السودانية، عن اتخاذ أي إجراء عملي، رغم كل الوعود والشكاوى المتكررة؟

من خلال شهادات حية لطلاب عالقين على الحدود، وآخرين اضطروا للعمل لساعات طويلة لتسديد الرسوم، وأسر باعت آخر ما تملكه في السودان لإنقاذ عام دراسي، نروي هنا قصة أزمة إنسانية تمس آلاف العائلات. أزمة لا تتعلق فقط بالمال، وإنما بغياب العدالة، وتناقض الوعود، ومستقبل جيل كامل قد يُحرم من التعليم بسبب قرارات لا تراعي لا القانون ولا الظروف الاستثنائية التي يمر بها السودان.

هذا هو صوت الطلاب الذين تقطعت بهم السبل... وهذه هي صحيفة «فويس» تنقل معاناتهم إلى العالم.

اتفاقيات الحريات الأربع... حبر على ورق؟

ففي خضم الأزمة الإنسانية التي يعيشها السودان بسبب الحرب الدائرة منذ أكثر من عام، والتي أدت إلى نزوح ملايين المواطنين داخلياً وخارجياً، أصبحت مصر واحدة من الوجهات الرئيسية للطلاب السودانيين الراغبين في مواصلة تعليمهم الجامعي، مستندين إلى العلاقات التاريخية بين البلدين والاتفاقيات الثنائية التي تنظم أوضاعهم، وعلى رأسها «اتفاقية الحريات الأربع» التي تمنحهم حرية التنقل والإقامة والعمل والتملك، فضلاً عن معاملة مماثلة للطلاب المصريين في ما يخص الرسوم الدراسية.

لكن الواقع الذي وجدوه كان مختلفاً تماماً عما توقعوه. فبعد أن كان الطلاب السودانيون حتى العام الدراسي ٢٠٢١/٢٠٢٢ يسددون ما يعادل ١٠٪ فقط من الرسوم الدراسية، أي بنسبة خصم تصل إلى ٩٠٪، تغير الوضع بشكل مفاجئ في العام التالي، حيث تقلص الخصم إلى ٧٠٪، ثم ألغي تماماً في بعض الجامعات، ليصبح الطلاب مطالبين بسداد الرسوم كاملة، والتي تتراوح بين ١٨٠٠ و٢٢٠٠ دولار سنوياً، بالإضافة إلى ارتفاع رسوم تأشيرة الدخول من ٢٥ دولاراً إلى ٥٠٠ دولار، وهو ما شكل صدمة للطلاب وأسرهم الذين يعانون أصلاً من تبعات الحرب والظروف الاقتصادية الصعبة. إذ يمكن أن ترتفع الرسوم إلى ما بين ٤٠٠٠ دولار إلى ٨٠٠٠ دولار إن لم يكن هناك خصماً في بعض الحالات.

> إدارة الوافدين أم إدارة الإفقار؟ بيروقراطية مصرية تُجهض أحلام الطلاب

قرارات متغيرة وطلاب في حيرة

يقول أحد الطلاب المقيدين في إحدى الجامعات المصرية: (جئنا إلى مصر بعد أن دمرت الحرب جامعاتنا في السودان، واعتمدنا على الاتفاقيات التي تنص على معاملة الطلاب السودانيين مثل المصريين، لكننا فوجئنا بتغيير القرارات أكثر من مرة دون سابق إنذار. في البداية، كنا ندفع مبالغ رمزية، ثم زادت فجأة، والآن يطلبون منا الرسوم كاملة. كيف لنا أن ندفع هذه المبالغ ونحن نعتمد على مساعدات الأهل الذين تأثرت مواردهم المالية بالحرب؟).

ويضيف طالب آخر: (بعض الجامعات تعاملت معنا في البداية على أساس الجنسية، أي أننا سودانيون ولنا الحق في الخصم، ثم غيرت موقفها فجأة واشترطت أن تكون الشهادة الثانوية مصرية حتى نستفيد من التخفيض. هذا التباين بين الجامعات خلق لنا مشاكل كبيرة، فبعض الطلاب دفعوا مبالغ أقل بناءً على القرار الأول، ثم طُلب منهم دفع الفارق، بينما وجد آخرون أنفسهم مطالبين بدفع الرسوم كاملة منذ البداية).

يقول الطالب آخر: (بعدما سددت الرسوم الأولى بخصم ٥٠٪، جاءنا إخطار مفاجئ بزيادة الرسوم ١٠٠٪ مع بداية الفصل الدراسي الثاني. رفضت إدارة الكلية السماح لي بحضور المحاضرات إلا بعد السداد. اضطررت لبيع حاسوبي الشخصي ومجوهرات أمي لتغطية المبلغ. الآن أعيش في غرفة صغيرة مع ٤ زملاء لأنني لم أعد أستطيع تحمل إيجار السكن).

الطالبة بإحدى كليات الصيدلة تقول: (عندما احتججنا أمام مبنى الإدارة، هددونا بإلغاء قيدنا. قالوا لنا بشكل صريح: (من لا يستطيع الدفع فليعود إلى بلده). هذه العبارة أصابتنا بصدمة نفسية، خاصة أن بعض الزملاء فقدوا عائلاتهم في الحرب ولا يملكون أي مكان يعودون إليه).

ولي أمر طالب يروي: (ابني يعاني من اكتئاب حاد بسبب الضغوط المالية. تقدمت بطلب لنقله إلى جامعة سودانية، لكن جميع الجامعات في الخرطوم إما مغلقة أو مدمرة. نحن الآن في ورطة حقيقية - لا نستطيع الدفع هنا، ولا نستطيع العودة).

طالب في إحدى الجامعات المصرية: (بعض الزملاء لجأوا إلى العمل في وظائف متعبة بدخل زهيد (سائقين أو عمال بناء) لسداد الرسوم. أحد الأصدقاء كان يذاكر بينما يقف في مترو الأنفاق لأنه يعمل ١٢ ساعة يومياً ولا يجد وقتاً للراحة).

ولي أمر طالب قال: (دفعت ٢٠٠٠ دولار لابني عبر المنصة، وبعد ٣ أشهر من الانتظار على الحدود، أخبرونا أن القبول ملغى لأن (الدفع تأخر) رغم أننا سددنا في اليوم الرابع عشر وهو الموعد النهائي. المبلغ لم يُرد، والآن نعيد الدفع مرة أخرى بنسبة ١٠٠٪).

تباين بين الجامعات... معايير غير واضحة

أحد أولياء أمور طالبة طب يقول: تم قبول ابنتي هذه السنة في كلية الطب البشري في إحدى الجامعات المصرية، وهي الآن على مشارف نهاية العام. عندما قدمنا في البداية وتمت الموافقة على القبول كان هناك قراراً من الجامعة بأن هناك خصم للسودانيين يصل إلى ٧٠٪ ولكن بعد فترة إذا بنا نفاجأ بأن الخصم قد تم إلغاؤه وأصبح ٥٠٪ لحملة الشهادة السودانية بينما ابنتي التي تحمل شهادة عربية فقد تم التعامل معها بأن تدفع ١٠٠٪ من المبلغ المقرر وهو ٨٠٠٠ دولار بدلاً عن ٢٤٠٠ دولار التي تعادل ٣٠٪ من الرسوم. هي الآن بالجامعة ونعاني ما نعاني لسداد هذه الرسوم العالية والتي هي فوق طاقتنا تماماً ولقد أصبحنا الآن في ورطة كبيرة لا نعرف كيف يمكن أن نخرج منها.. ويا ليت رسالتنا هذه تصل إلى المسؤولين في التعليم العالي في مصر أو في إدارة الجامعات وكذلك المسؤولين في الخارجية السودانية والسفارة السودانية بجمهورية مصر العربية، إذ أن هذه المشكلة ليست شخصية بل يعاني منها الكثير من أبناء السودان وأولياء أمورهم، سواء كانوا يحملون شهادة ثانوية عربية أو شهادة ثانوية سودانية.

أحد الآباء من دارفور يقول: (أرسلت ابنتي الوحيدة إلى مصر للحفاظ على حياتها بعد مجزرة في قريتنا. الآن الجامعة تهدد بفصلها لأنني متأخر في السداد. لا أملك حتى ثمن تذكرة عودتها، وإذا عادت فليس لدينا أي مكان آمن تعود إليه).

الطالب بجامعة مصرية أخرى تحدث: (بعد ٦ أشهر من الانتظار، حصلت أخيراً على الإفادة المطلوبة للتأشيرة. وعند وصولي إلى مصر، اكتشفت أن الجامعة ألغت قيدي لأنني (متغيب) رغم أن التأخير كان من جانبهم. الآن علي أن أبدأ الإجراءات من الصفر وأدفع كل الرسوم من جديد).

أرض العائلة مقابل فصل دراسي

تقول والدة طالبتين: (لدي ابنتان في الطب، والرسوم تضاعفت فجأة. اضطررت لبيع أرض العائلة - آخر ما نملكه في السودان - لتسديد جزء من المبلغ. الآن لا أعرف كيف سأدفع العام القادم، والأرض كانت ضماننا الوحيد إذا انتهت الحرب).

طالب آخر يضيف: (في سابقة غريبة، طلبت منا الجامعة دفع رسوم (الاستمرار في القيد) كل شهر بالإضافة إلى الرسوم الأساسية. عندما استفسرنا عن الأساس القانوني لهذا القرار، قالوا لنا: (هذه أوامر عليا ولا نقاش فيها).

هذه الإفادات تكشف أبعاداً جديدة للأزمة، حيث أصبح الطلاب وأسرهم أمام خيارين مريرين: إما تحمل أعباء مالية تفوق طاقتهم، أو العودة إلى بلد تعصف به الحرب حيث لا جامعات ولا مستقبل.

الغياب الكامل للحلول المؤسسية من الجانبين المصري والسوداني زاد من معاناتهم، وجعلهم يشعرون بأنهم ضحايا لقرارات بيروقراطية لا تراعي الظروف الإنسانية الاستثنائية التي يمرون بها.

> لماذا يُعامل اللاجئون السودانيون كوافدين فاخرين؟

أما أولياء الأمور، فمعاناتهم لا تقل عن معاناة أبنائهم. تقول والدة أحد الطلاب: (ابني مقيد في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية، وكان يدفع رسوماً مخفضة، لكن الجامعة طالبتنا فجأة بدفع ٤٠٠٠ دولار بدلاً من ٢٢٠٠ دولار، ثم تراجعت عن الخصم تماماً وطلبت المبلغ كاملاً. عندما سألنا عن السبب، قيل لنا إن القرار صدر من إدارة الوافدين، لكننا اكتشفنا أن بعض الجامعات لا تزال تمنح الخصم، بينما أخرى ترفض ذلك. أين العدالة في هذا التباين؟).

وتزداد الأزمة تعقيداً بالنسبة للطلاب الذين سددوا الرسوم عبر المنصة الإلكترونية «ادرس في مصر»، والتي تشترط الدفع خلال أسبوعين من تاريخ القبول، ثم لم يتمكنوا من دخول مصر لأن إدارة الوافدين لم تصدر لهم إفادات القبول المطلوبة للحصول على التأشيرة. هؤلاء الطلاب وجدوا أنفسهم عالقين على الحدود، أو مضطرين إلى انتظار شهور دون دراسة، بينما تعتبرهم الجامعات غائبين، ويطالبونهم بدفع الرسوم كاملة إذا أرادوا إعادة القيد.

أحد الطلاب العالقين على الحدود السودانية المصرية يقول: (دفعت ١٨٠٠ دولار عبر المنصة، وحصلت على القبول، لكنني لم أستلم الإفادة المطلوبة للتأشيرة. عندما تواصلت مع الجامعة، قالوا لي إن الإفادة تصدر من إدارة الوافدين، وعندما تواصلت مع إدارة الوافدين، قالوا لي إن الجامعة هي المسؤولة. الآن، السنة الدراسية بدأت، وأنا عالق هنا، وإذا تأخرت أكثر، سأخسر العام كله وأضطر إلى دفع الرسوم كاملة مرة أخرى).

أما رسوم التأشيرة المرتفعة، والتي وصلت إلى ٥٠٠ دولار بعد أن كانت ٢٥ دولاراً، فقد شكلت عبئاً إضافياً على الطلاب وأسرهم. يقول طالب آخر: (كيف يُطلب مني دفع ٥٠٠ دولار لتأشيرة دخول إلى بلد يفترض أن بيننا وبينه اتفاقيات تسمح لنا بالتنقل بحرية؟ الأكثر إحباطاً أننا مُلزمون بدفعها بالدولار، رغم أننا نعاني من شح العملة الصعبة في السودان بسبب الأزمة الاقتصادية).

غياب الحلول... والسفارة السودانية صامتة

في ظل هذه المعاناة، يبدو دور السفارة السودانية في مصر غائباً، رغم علمها الكامل بالأزمة. يقول أحد الطلاب: (السفير والملحق الثقافي عقدوا أكثر من اجتماع مع الطلاب، ووعدوا بحل المشكلة، لكن لم يحدث شيء حتى الآن، لم نر أي إجراء عملي، والطلاب ما زالوا يعانون).

أحد أولياء الأمور يضيف: (ناشدنا السفارة مراراً، وقدمنا شكاوى رسمية، لكن الردود كانت دائماً عبارة عن وعود غير ملموسة. حتى وزارة الخارجية السودانية، رغم تصريحات وزيرها بأن هناك اتجاهاً لإلغاء هذه الرسوم، لم تتخذ أي خطوات فعلية. كما أن الملحق الثقافي بالسفارة السودانية بالقاهرة، كان قد قال في تصريح صحفي، إن ادارة الوافدين اعفت جميع الطلاب السودانيين «الباقين للإعادة بسبب الرسوب» والبالغ عددهم «٣» آلاف طالب من دفع الرسوم وفق القرار الجديد والقاضي بالدفع ١٠٠٪. وبأن قرار زيادة الرسوم سيشمل الذين يرسبون فى العام الدراسى ٢٠٢٤ـ٢٠٢٥، لكن الواقع غير ذلك.

نحن الآن في حيرة من أمرنا، فبعض العائلات اضطرت إلى سحب أبنائهم من الجامعات لأنها لم تعد قادرة على تحمل التكاليف).

أما عن موقف الحكومة المصرية، فلم يصدر أي بيان رسمي يوضح أسباب تغيير قرارات الخصم أو ارتفاع رسوم التأشيرة. بعض المصادر تشير إلى أن القرارات تأتي في إطار سياسة تخفيض الدعم المقدم للوافدين، لكن آخرين يرون أن الأمر يتعلق بإجراءات بيروقراطية غير واضحة.

كيف تحولت مصر من «ملاذ آمن» إلى كابوس

في النهاية، تبقى آلاف الأسر السودانية في حالة قلق مستمر، بين أبنائهم العالقين على الحدود، وآخرين يواجهون خطر الانسحاب من الجامعات بسبب عدم القدرة على سداد الرسوم، وآخرين يحاولون التمسك بأمل حل قريب، رغم أن الوقت يمر، والمحاضرات تتراكم، والمستقبل يبدو غامضاً أكثر من أي وقت مضى.

هذه الأزمة ليست مالية أو أكاديمية فحسب، بل هي أيضاً اختبار حقيقي للعلاقات بين البلدين، ومدى التزامهما بالاتفاقيات الموقعة، خاصة في ظل ظروف استثنائية يعيشها السودان. فالطلاب السودانيون لم يختاروا القدوم إلى مصر إلا لأن الحرب أجبرتهم على ذلك، وكانوا يتوقعون أن يجدوا يد العون من جيرانهم الذين تربطهم بهم روابط تاريخية وثقافية عميقة. لكن الواقع أثبت أن الوعود وحدها لا تكفي، وأن المعاناة الإنسانية تحتاج إلى أكثر من مجرد كلمات.

طلاب عالقون على الحدود... دفعوا الرسوم ولم يدخلوا

تحقيق لـ «فرانس 24» .. (1/5):

شركة إماراتية تنقل قنابل بلغارية إلى الدعم السريع

على صورة نشرتها شركة دوناريت Dunarit البلغارية لتصنيع الأسلحة عبر صفحتها في موقع فيس بوك خلال شهر يونيو حزيران ٢٠٢٤، يمكن لنا رصد الشفرة ISPM–١٥ التي نقشت على الصناديق التي كانت تحتوي على قنابل المدفعية (باللون الأحمر على يسار الصورة) وهي نفس الشفرة التي ظهرت في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في صفوف قوات الحماية المشتركة السودانية في يوم ٢٤ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ (في الأعلى على اليمين). والرقم التسلسلي الظاهرة على منشور الشركة في صفحتها على فيس بوك (باللون الأزرق على اليسار) موجود بنفس الخصائص في صور مقاطع الفيديو التي تم التقاطها في السودان (في الأسفل على اليمين): ثلاثة شفرات متكونة من رقمين تفصل بينها مطة وتبدأ بالرقم ٤٦. © فرانس ٢٤ – مراقبون

في مقاطع الفيديو التي التقطوها، قام المقاتلون السودان في القوات المشتركة بتصوير الذخائر التي كان يحملها موكب السيارات عن قرب: ويمكن لنا أن نرى صناديق خشبية دهنت باللون الأخضر ووضع عليها ملصق "قابل للانفجار" واسطوانات كرتونية تحمل ذخائر. وطبع على هذه الأسلحة باللون الأبيض عبارات تشير إلى طبيعتها: ويتعلق الأمر بقذائف مدفعية شديدة الانفجار (من طراز HE) من عيار ٨١ مليمتر. © فرانس ٢٤ – مراقبون

○ متابعات – «فويس»

● أظهرت مقاطع فيديو التقطت في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤ مقاتلين متحالفين مع الجيش السوداني بصدد مصادرة صناديق من قذائف هاون ذات منشأ أوروبي موجهة وفق تأكيدهم لقوات الدعم السريع، المليشيات السودانية شبه العسكرية التي تواجه الجيش في حرب نظامية مستمرة انطلقت في ١٥ نيسان/أبريل ٢٠٢٣، ونقلت هذه القنابل إلى السودان على الرغم من الحظر الذي فرضه الاتحاد الأوروبي على إرسال أسلحة إلى هذا البلد الذي مزقته الحرب الأهلية. هذا المقال هو الجزء الأول يليه الجزء الثاني في الصفحة الخامسة من تحقيق يضم خمسة أجزاء، يغوص في تفاصيل الرحلة المعقدة التي سلكتها هذه الأسلحة من الأراضي الأوروبية وصولا إلى ساحات المعارك في السودان.

يشبه المشهد عملية جرد بضائع، ففي مقاطع فيديو نشرت في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤ على منصة تويتر وموقع فيس بوك، كان مقاتلون سودانيون يرتدون أزياء عسكرية، وهم جاثمون على ركبهم أو حتى على التراب، بصدد التثبت من عشرات بطاقات الهوية ومن صور شخصية وفوتوغرافية دينية. ينتمي هؤلاء الرجال إلى القوات المشتركة، وهي تحالف من جماعات عسكرية تنشط في إقليم دارفور الذي يقع غربي السودان. وتدعم هذه الجماعات المسلحة الجيش النظامي السوداني في الحرب الأهلية في مواجهة مليشيات قوات الدعم السريع.

وأظهرت مقاطع الفيديو لحظات مصادرة هؤلاء المقاتلين لموكب مكون من عدة عربات في قلب الصحراء. وفي هذه الصور، يبدو الذهول على وجوه هؤلاء المقاتلين. وأثناء تحققهم من جواز سفر، يقول هؤلاء المقاتلون بلغة الزغاوة، وهي لهجة محلية في إقليم دارفور: «إلى أي بلد ينتمون؟ انظروا، إنهم يهود يعملون لصالح منظمة دولية» ويضيف نفس الشخص وقد بدا أنه خلط بين صورة شخصية مسيحية كاثوليكية مقدسة مع إحدى الوثائق التي عثر عليها، قائلا: «إنهم أناس مستعدون لفعل أي شيء، وحتى للموت في السودان... لقد جاءوا للدفاع عن قوات الدعم السريع» واتهم هذا الرجل في عدة مناسبات أصحاب هذه الوثائق الشخصية الذين يبدو أنه أصيبوا على الأرجح أثناء اعتقالهم على يد هذه الجماعة المسلحة بأنهم «مرتزقة». ولم يظهر أي أسير أو جثة في هذه المقاطع.

وثائق الهوية التي تعود لهذين الشخصين من «المرتزقة» تم عرضها عدة مرات أمام آلة التصوير. وهو ما يسمح لنا بالإجابة على تساؤلات المقاتلين السودانيين: إذ أن جوازاتِ السفر التي تم عرضها في مقاطع الفيديو تعود لمواطنين من كولومبيا.

جوازا السفر الظاهران في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون سودانيون في يوم ٢١ تشرينِ الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ تكشف عن أن الأمر يتعلق بمواطنين من كولومبيا والذي يبدو أنهما كانا موجودين على الأرجح في موكب العربات الذي حمل الأسلحة: وهما كريستيان إل وميغال بي.

كما نرى عبر مقاطع الفيديو صناديق خشبية كبيرة: والتي ألصقت عليها لافتات برتقالية اللون تأخذ شكل المعين الهندسي والتي تنبه إلى وجود مواد متفجرة، وهي علامة متعارف عليها دوليا للإشارة إلى خطر الانفجار، كما تحتوي هذه الصناديق على ملصقات كرتونية أسطوانية الشكل كتب عليها باللغة الإنكليزية «81mm Mortar HE».

في مقاطع الفيديو التي التقطوها، قام المقاتلون السودانيون في القوات المشتركة بتصوير الذخائر التي كان يحملها موكب السيارات عن قرب: ويمكن لنا أن نرى صناديق خشبية دهنت باللون الأخضر ووضع عليها ملصق «قابل للانفجار» واسطوانات كرتونية تحمل ذخائر. وطبع على هذه الأسلحة باللون الأبيض عبارات تشير إلى طبيعتها: ويتعلق الأمر بقذائف مدفعية شديدة الانفجار (من طراز HE) من عيار ٨١ مليمتر.

في مقاطع الفيديو التي التقطوها، قام المقاتلون السودانيون في القوات المشتركة بتصوير الذخائر التي كان يحملها موكب السيارات عن قرب: ويمكن لنا أن نرى صناديق خشبية دهنت باللون الأخضر ووضع عليها ملصق «قابل للانفجار» واسطوانات كرتونية تحمل ذخائر. وطبع على هذه الأسلحة باللون الأبيض عبارات تشير إلى طبيعتها: ويتعلق الأمر بقذائف مدفعية شديدة الانفجار (من طراز HE) من عيار ٨١ مليمتر.

في مقاطع الفيديو التي صورت، قام المقاتلون السودانيون في القوات المشتركة بإظهار الذخائر التي كان يحملها موكب السيارات عن قرب: ويمكن لنا أن نرى صناديق خشبية دهنت باللون الأخضر ووضع عليها ملصق «قابل للانفجار» وأسطوانات كرتونية تحمل ذخائر. وطبع على هذه الأسلحة باللون الأبيض عبارات تشير إلى طبيعتها: قذائف هاون شديدة الانفجار (من طراز HE) من عيار ٨١ مليمتر.

«كل هذه الأسلحة كانت متوجهة إلى قوات الدعم السريع»

خلال عرضه لهذه الذخائر، وجه المقاتل في القوات المشتركة هذه الاتهامات: «هذه الأسلحة كانت متوجهة إلى الجنجويد. محمد بن زايد هو من أرسلها». وعند ضربه بقبضته لعربة تمت مصادرتها، يوجه نفس الشخص الاتهامات التالية: «هذا أيضا، الإمارات هي التي قامت بإرساله».

بعد مرور بضع ساعات، بدأت حركة تحرير السودان، وهي إحدى الحركات المنضوية تحت لواء القوات المشتركة في إصدار بيانات رسمية عن هذه المصادرة الضخمة للأسلحة. ونتعرف على مزيد من التفاصيل التي دفعت شخصين أجنبيين إلى عبور صحراء دارفور مع هذه الذخيرة.

«في منطقة صحراوية، على حدود السودان مع ليبيا وتشاد، نجحت القوات المشتركة في كشف محاولة كبيرة لتهريب الأسلحة التي كانت متوجهة إلى مليشيا قوات الدعم السريع الإرهابية» وفق ما أوضحته هذه الحركة على صفحتها في فيس بوك. كما كشفت حركة تحرير السودان أيضا بأن «المرتزقة» كانوا يحملون قطعا نقدية من الإمارات العربية المتحدة. ولم توضح هذه الحركة المسلحة ما إذا كان هؤلاء الرجال من الكولومبيين، والذين تتهمهم بأنهم مرتزقة، بعد أن قامت بأسرهم قبل أن تقتلهم أو تصيبهم.

وبفضل هذه الملفات المصورة من قبل مقاتلي القوات المشتركة، تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ من إعداد تحقيق حول مسار هذه الأسلحة الظاهرة في مقاطع الفيديو. وتم التأكد من أن هذه الأسلحة تم تصنيعها في إحدى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. وتم تصنيعها في بلغاريا واشترتها شركة إماراتية. وقبل دخولها إلى السودان وضبطها من قبل القوات المشتركة، قام الموكب بنقلها إلى شرق ليبيا، وهي منطقة يسيطر عليها جيش المشير خليفة حفتر المتحالف مع الإمارات العربية المتحدة. وكثيرا ما تواجه هذه الدولة الخليجية اتهامات من قبل خبراءٍ في الأمم المتحدة بمساندة قوات الدعم السريع ماليا وعسكريا خصوصا بهدف الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في هذه المنطقة. ولطالما نفت السلطات في الإمارات هذه الاتهامات.

أسلحة أوروبية تم تصنيعها في بلغاريا

وتشير اللافتات الكرتونية الملصقة على هذه الأسلحة إلى أنها تحتوي على قنابل هاون.

في هذا المقطع المصور الذي عرضه مقاتلون في القوات المشتركة في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤، وفي الثانية الرابعة منه، نرى بشكل واضح العلامات الموجودة على هذه الاسطوانات الكرتونية التي وضعت داخلها الذخائر. وتشير هذه الملصقات إلى أن هذه الأسلحة تتمثل في «قنابل هاون عيار ٨١ مليمتر».

«إنها ذخائر موجودة بشكل شامل في كل ساحات القتال خصوصا في السودان خلال العقود القليلة الماضية» وفق تأكيد مايك لويس المتخصص في النزاعات المسلحة والعضو السابق في مجمع الخبراء التابع للأمم المتحدة حول السودان. ويضيف مايك لويس قائلا: «قنابل هاون هي متفجرات يتم إلقاؤها إلى الأعلى من مدفع على شكل خرطوم، الذي يشكل منحنى في شكل جرس، ومن ثم تسقط على المواقع المستهدفة»

في أحد مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في القوات المشتركة في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤، فتح الرجل الذي التقط المشهد أحد صناديق الذخائر، ونرى من خلال صوره شعارا مطبوعا باللون الأسود على الخشب «HT-0082-BG-RSE».

بعد أن قام بتصوير اسطوانات كرتونية كتب عليها عبارات «قنابل هاون من عيار ٨١ مليمتر» قام أحد المقاتلين في صفوف القوات المشتركة بتصوير عن قرب لتفاصيل أخرى موجودة على الصناديق التي تحتوي الذخائر: ونرى من خلالها ملصقا باللون الأحمر (في وسط الصورة) وهو عبارة شفرة محفورة بالحديد الأحمر وهي كالتالي: HT-0082-BG-RSE

هذا النقش بالحديد الأحمر هو عبارة عن شفرة ISPM–١٥ إشارة وجوبية على الصناديق الخشبية. ويشير الحرفان الأولان إلى بلد المنشأ «BG» وهي التي تتعلق ببلغاريا.

إليكم مؤشرا آخر عن البلد المنشأ الذي تم فيه إصدار هذه الملصق: وقد تمت كتابته باللغتين الإنكليزية والفرنسية، إلا أنها تحتوي على اسمين مكتوبين بالحروف الروسية. وتستخدم بلغاريا حروف الأبجدية الروسية: والاسمان الظاهران على الملصق يعودان لامرأتين تحملان لقبا دارجا على نطاق واسع في بلغاريا.

صورة على السطرين الخامس والسادس من هذا الملصق الظاهر في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في القوات المشتركة السوداني، يمكن لنا أن تعرف على لقبين كتبا بالأحرف الروسية: والأولى تعرف نفسها على أنها من قامت بـ«تغليف» الذخائر والثاني هي عون المراقبة، واللقبان الموجودان على الملصق هي دارجة جدا في بلغاريا.

محتوى هذه الذخائر، التي كتبت بطريقة مشفرة على الأسطوانة الكرتونية التي حملتها، تسمح لنا بتحديد دقيق للطرف المصنع.

العبارات المنقوشة باللون الأبيض على الاسطوانات الكرتونية التي غلفت الذخائر تشير إلى مادة متفجرة من طراز إم-٦ (6-M) وهو طراز واسع الانتشار في روسيا والصين وبلغاريا. أما شعار «HE» بعد عبارة «قذيفة من عيار ٨١ مليمتر» فيشير إلى أن قذيفة الهاون الموجودة في داخل هذه الاسطوانات الكرتونية هي «شديدة الانفجار». وفي الأخير، فإن هذه العبارات المنقوشة على الاسطوانات الخرطونية تشير إلى أنها تنفجر باستخدام ٤ كوابل دفع تهدف إلى إطلاق الذخيرة في لحظة القصف. وفي كل قطعة نجد رقما تسلسليا من ستة أرقام.

هي عبارة عن نوع جهاز تفجير يسمح بتفجير الذخيرة. أما شفرة «81mm Mortar HE» فتشير إلى نوع الذخيرة في حد ذاتها: وهي قنبلة هاون من عيار ٨١ مليمتر شديدة الانفجار». أما شفرة «3+1 increment charges» فتشير إلى وجود عدد كوابل إطلاق الذخائر، المتعارف عليها في هذا النوع من القنابل.

لكل واحد من هذه المنتجات الحربية رقم تسلسلي من ستة أرقام، يسمح لنا بتحديد الشركة المنتجة ومسارها التجاري. وكل واحد منها يبدأ بالرقم ٤٦، وفق توضيح خبير في الأسلحة تواصل معه فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤ الذي يؤكد بأن الرقم التسلسلي الذي يبدأ بالرقم ٤٦ يشير إلى شفرة التعريف البلغارية، وإلى أن هذه الذخائر تمت صناعتها من قبل شركة «دوناريت Dunarit» البلغارية. أمام الرقم ١٩ الموجود في آخر الرقم التسلسلي فيشير وفق المصدر إلى تاريخ التصنيع، وهي سنة ٢٠١٩، وهو ما يفسر المعلومات الموجودة على ملصقات الذخائر التي تم ضبطها في السودان.

على موقع شركة دوناريت، نتأكد من أن هذه الشركة البلغارية تقوم بالفعل بتصنيع قذائف شديدة الانفجار من عيار ٨١ مليمتر.

على موقع شركة دوناريت Dunarit البلغارية، يمكن أن نتأكد بأن هذه الشركة تقوم بالفعل بتصنيع ذخائر تتطابق مع نفس الخصائص التقنية لتلك الذخائر الظاهرة على الصور الملتقطة في يوم ٢١ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ في السودان: ويتعلق الأمر بقذائف هاون من عيار ٨١ مليمتر «شديدة الانفجار» (التي توصف أيضا بالقنابل الانشطارية) التي تحمل كوابل تفجير من طراز إم ٦ (6-M).

إضافة إلى ذلك، تسمح عملية بحث عبر صفحات الشركة عبر وسائل التواصل الاجتماعي بالعثور على صور لقذائف هاون داخل صناديق خشبية، وبنفس شكل الصناديق الموجودة في مقاطع الفيديو التي تم التقاطها في السودان. ونرى نفس الشفرة 15-ISPM على صناديق الشركة. أما طريقة كتابة الرقم التسلسلي فهي نفسها المنقوشة على الذخائر التي تم العثور عليها في السودان.

على صورة نشرتها شركة دوناريت Dunarit البلغارية لتصنيع الأسلحة عبر صفحتها في موقع فيس بوك خلال شهر يونيو حزيران ٢٠٢٤، يمكن لنا رصد الشفرة 15-ISPM التي نقشت على الصناديق التي كانت تحتوي على قنابل المدفعية (باللون الأحمر على يسار الصورة) وهي نفس الشفرة التي ظهرت في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في صفوف قوات الحماية المشتركة السودانية في يوم ٢٤ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ (في الأعلى على اليمين). والرقم التسلسلي الظاهرة على منشور الشركة في صفحتها على فيس بوك (باللون الأزرق على اليسار) موجود بنفس الخصائص في صور مقاطع الفيديو التي تم التقاطها في السودان (في الأسفل على اليمين): ثلاثة شفرات متكونة من رقمين تفصل بينها مطة وتبدأ بالرقم 46.

على صورة نشرتها شركة دوناريت Dunarit البلغارية لتصنيع الأسلحة عبر صفحتها في موقع فيس بوك خلال شهر يونيو حزيران ٢٠٢٤، يمكن لنا رصد الشفرة 15-ISPM التي نقشت على الصناديق التي كانت تحتوي على قنابل المدفعية (باللون الأحمر على يسار الصورة) وهي نفس الشفرة التي ظهرت في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في صفوف قوات الحماية المشتركة السودانية في يوم ٢٤ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ (في الأعلى على اليمين). والرقم التسلسلي الظاهرة على منشور الشركة في صفحتها على فيس بوك (باللون الأزرق على اليسار) موجود بنفس الخصائص في صور مقاطع الفيديو التي تم التقاطها في السودان (في الأسفل على اليمين): ثلاثة شفرات متكونة من رقمين تفصل بينها مطة وتبدأ بالرقم 46.

المدير العام لشركة دوناريت لا ينفي بأن هذه الأسلحة تم إنتاجها في مصانعه.

وعند اتصال فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤ به، لم ينف الرئيس المدير العام لشركة دوناريت بيتار بيتروف بأن قنابل هاون هذه قد تم تصنيعها في معامل شركة، ويوضح في اتصال هاتفي قائلا:

هناك مراقبة شديدة الصرامة على هذا النوع من البضائع في بلغاريا. وفق معلوماتي. كل ما وجد في هذا العقد [فريق التحرير: الذي سمح بتصدير هذه الأسلحة] تم وفق الضوابط القانونية».

إلا أن بيتار بيتروف لم يستطع أن يصدق في المقابل بأن قنابل شركته تم تصويرها في السودان ولا يقر بأن مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في صفوف القوات المشتركة تمثل دليلا على وجودها في البلاد .

قنابل تنتهك حظر تصدير الأسلحة الذي فرضه الاتحاد الأوروبي على السودان

ولكن كيف تم العثور على هذه القنابل التي تم تصنيعها في بلغاريا البلد العضو في الاتحاد الأوروبي في موكب تزويد أسلحة لصالح قوات الدعم السريع؟ إذ أن الاتحاد الأوروبي الذي تعد دولةٍ بلغاريا أحد أعضائه يفرض منذ عام ١٩٩٤ حظراً شاملاً على تصدير الأسلحة إلى السودان. ووفق النسخة الحالية من قرار الحظر كتب ما يلي : «بيع وتزويد ونقل أو تصدير الأسلحة والمواد الملحقة، بما يشمل الأسلحة والذخائر... إلى السودان من قبل مواطنين في الدول الأعضاء في التكتل أو انطلاقا من أحد الدول الأعضاء»؟

نيكولاس مارش هو باحث متخصص في تصدير الأسلحة في معهد البحوث حول السلام ومقره أوسلو، يعلق قائلا:

حظر تصدير الأسلحة من الاتحاد الأوروبي إلى السودان ينطبق بشكل واضح على هذا النوع من الذخائر. إنها سياسة أوروبية شديدة الوضوح. وبالتأكيد توجد استثناءات، إلا أنني لا أرى كيف يمكن أن تتم عملية نقل أسلحة من هذا النوع إلى السودان من دون أن يتم التفطن إليها. إنه من دون شك انتهاك للسياسة الأوروبية في هذا المجال.

أما السلطات في بلغاريا فتؤكد بأن هذه الأسلحة لم يتم إرسالها بطريقة مباشرة من بلغاريا إلى السودان. وفي ردها على استفسارات فريق تحرير مراقبون عبر البريد الإلكتروني، فإن اللجنة الوزارية المشتركة حول مراقبة الصادرات، وهي الهيئة المكلفة في بلغاريا بإصدار تراخيص تصدير الأسلحة تؤكد بأن عملية البيع تمت «من خلال ترخيص تم مراقبته بصرامة إلى سلطة حكومية لا توجد ضدها أي عقوبات بحظر تصدير الأسلحة» وتؤكد الهيئة «بشكل قاطع بأن السلطة البلغارية المختصة لم تمنح أي ترخيص للتصدير في اتجاه السودان» لهذا النوع من الذخائر.

ومثلما ما تؤكده الأجزاء المقبلة من تحقيق فريق تحرير مراقبون، فإن الذخائر التي صنعتها شركة دوناريت البلغارية لم يتم بالفعل تصديرها بطريقة مباشرة إلى السودان. بل تم بيعها في المقابل إلى شركة إماراتية معروفة على نطاق واسع بأنها تقوم بنقل أسلحة إلى مناطق خاضعة لعقوبات دولية بحظر تصدير الأسلحة وهي شركة إنترناشونال غولدن غروب International Golden Group.

(تابع الجزء الثاني على الصفحة التالية)

بعد أن قام بتصوير اسطوانات كرتونية كتب عليها عبارات "قنابل هاون من عيار ٨١ مليمتر" قام أحد المقاتلين في صفوف القوات المشتركة بتصوير عن قرب لتفاصيل أخرى موجودة على الصناديق التي تحتوي الذخائر: ونرى من خلالها ملصقا باللون الأحمر (في وسط الصورة) وهو عبارة شفرة محفورة بالحديد الأحمر وهي كالتالي: HT-٠٠٨٢-BG-RSE © فرانس ٢٤ – مراقبون

جوازا السفر الظاهران في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون سودانيون في يوم ٢١ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ تكشف عن أن الأمر يتعلق بمواطنين من كولومبيا والذي يبدو أنهما كانا موجودين على الأرجح في موكب العربات الذي حمل الأسلحة: وهما كريستيان إل وميغال بي. © فرانس ٢٤ – مراقبون

صورة على السطرين الخامس والسادس من هذا الملصق الظاهر في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون في القوات المشتركة السوداني، يمكن لنا أ نتعرف على لقبين كتبا بالأحرف الروسية: والأولى تعرف نفسها على أنها من قامت بـ"تغليف" الذخائر والثاني هي عون المراقبة، واللقبان الموجودان على الملصق هي دارجة جدا في بلغاريا. ©

قنابل أوروبية في السودان (٢/٥)

عقد إماراتي بخمسين مليون يورو

تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤ بفضل وثائق حصرية تحصل عليها من تقفي أثر قذائف مدفعية بلغارية الصنع عثر عليها في السودان. وفي بادئ الأمر، تم شراء هذا الأسلحة من قبل شركة إماراتية متخصصة في التسلح تدعى إنترناشونال غولدن غروب (إي سي جي) International Golden Group (IGG) المعروفة بقيامها عدة مرات بتحويل وجهة أسلحة إلى ليبيا. ونرى في هذه الصورة مديرها، فاضل الكعبي الذي التقط صورة بمناسبة بدء شراكة مع مؤسسة سافران Safran الفرنسية. © فرانس ٢٤ – مراقبون

	31/12/2021 USD	31/12/2020 USD	31/12/2019 USD	31/12/2018 USD	31/12/2017 USD
Taux de change: BGN/USD	12 mois Local GAAP 0.57907	12 mois Local GAAP 0.62739	12 mois Local GAAP 0.57438	12 mois Local GAAP 0.58541	12 mois Local GAAP 0.61320
∟ Total des prod d'exploitation	6,025,247	106,340,423	78,221,712	1,119,307	0
∟ Résultat courant avant impôts	-3,847,935	867,683	494,543	175,623	-1,226
∟ Bénéfice ou perte (= Revenu net)	-3,498,755	776,711	445,146	158,061	-1,226
∟ Capacité d'autofin. avant rép.	-3,469,801	805,571	455,485	n.d.	n.d.
∟ Total de l'actif	15,902,483	20,579,710	74,832,855	42,197,635	1,840
∟ Capitaux propres	-3,178,528	779,848	448,018	159,817	1,840
∟ Liquidité reduite (x)	0.74	0.95	1.00	1.00	n.s.
∟ Performance (%)	-63.86	0.82	0.63	15.69	n.s.
∟ Rend. des capitaux propres nets (%)	n.s.	111.26	110.39	109.89	-66.67
∟ Rend. du capital investi (%)	n.s.	116.01	116.92	113.92	n.d.
∟ Ratio de solvabilité (à partir de l'actif) (%)	-19.99	3.79	0.60	0.38	100.00
∟ Effectifs	4	4	3	2	n.d.

على هذا المخلص للنتائج الاقتصادية لشركة آرم - بي جي البلغارية ARM–BG التي نشرت في موقع أوربيس المتخصص، يمكن لنا أن نرى أن رقم معاملات هذه الشركة مر من نحو مليون يورو في سنة ٢٠١٨ إلى أكثر من ٧٨ مليون يورو في سنة ٢٠١٩. ويتعلق الأمر بالعام الذي أرسل فيه الجيش الإمارات وثائق للسلطات البلغارية لتمكينه من توريد قذائف من تصنيع شركة دوناريت. وواصل رقم معاملات شركة آرم - بي جي صعوده التاريخي في سنة ٢٠٢٠، وهو العام الذي عمليتي تسليم قذائف الهاون أكدتها وثائق اطلع عليها فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤، وتجاوز عتبة ١٠٠ مليون يورو © Orbis

○ متابعات – «فويس»

● في الجزء الثاني من تحقيقنا حول وجود قذائف هاون ذات منشأ أوروبي في السودان، نغوص في خفايا العقد الذي أوصل أسلحة صنعت في بلغاريا إلى ساحات القتال في السودان، وذلك على الرغم من حظر تصدير الأسلحة الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي على هذا البلد. وبفضل وثائق حصرية، تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ من التعرف على الشركة التي أشرفت على هذا العقد: ويتعلق الأمر بشركة إنترناشونال غولدن غروب، وهي شركة إماراتية معروفة بتطورها في عدة ملفات في نقل أسلحة إلى مناطق تخضع لحظر تصدير أسلحة.

في الجزء الأول من سلسلة المقالات: في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤، قام مقاتلون سودانيون بتصوير غنيمتهم: ويتعلق الأمر بقذائف هاون هاون وفق تأكيدهم إلى قوات الدعم السريع، المليشيا شبه العسكرية التي تقاتل الجيش السوداني في حرب أهلية مستمرة منذ نيسان/أبريل ٢٠٢٣. وتم نقل هذا الأسلحة، التي صنعت في بلغاريا إلى السودان على الرغم من حظر تصدير الأسلحة المفروض من الاتحاد الأوروبي على هذا البلد الذي تمزقه الحرب.

للوهلة الأولى، لم ترغب اللجنة الوزارية لمراقبة التصدير، والهيئة البلغارية المكلفة بمنح تراخيص تصدير الأسلحة في مدنا بمزيد من المعلومات حول البلد المصدر الأول لقذائف الهاون من تصنيع شركة دوناريت Dunarit، والتي ظهرت في مقاطع فيديو التقطت في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤ في السودان. وأضافت هذه اللجنة: «التصدير تم منحه إلى حكومة بلد لا يخضع لعقوبات من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وتم إعلام الهيئة البلغارية المختصة بنقل هذه المنتجات وحصلت على شهادة التوصيل من قبل المستخدم النهائي لها».

إلا أن مصدرا فضل عدم ذكر هويته، مد فريق تحرير مراقبون بنسخة من شهادة التوصيل المذكورة آنفا. وتم إصدار هذه الوثيقة في يوم ١٦ آب/أغسطس ٢٠٢٠ من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة في الإمارات العربية المتحدة والتي كانت مليئة بالمعلومات القيمة حول عملية التسليم. ونعلم من خلال هذه الوثيقة أن الطرف الأخير المستلم لقنابل الهاون بلغارية الصنع هو جيش الإمارات العربية المتحدة نفسه.

تسمح لنا هذه الوثائق بمعرفة أن كمية قذائف الهاون التي تم تسليمها كبيرة جدا. ويصل عددها إلى ١٥ ألف قذيفة من عيار ٨١ مليمتر (مثل تلك التي ظهرت في مقاطع الفيديو التي التقطت في السودان في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤) وشملت علمية التسليم أيضا ٢٧٨٠ قذيفة من عيار ٦٠ مم و٣٠ ألف قذيفة من عيار ٨٢ مم و١١٤٦٤ قذيفة من عيار ١٢٠ مم، وهو عيار شديد القوة. وتم تسليم هذه الأسلحة على دفعتين: الأولى في شهر كانون الثاني/يناير والثانية في شهر شباط/فبراير ٢٠٢٠. وفي المحصلة، تم ذكر هاتين الشركتين إضافة إلى القيادة العامة للجيش الإماراتي، ويتعلق الأمر بشركة تزويد وهي «آرم ـ بي جي ليميتد» "ARM–BG LTD" وشركة توريد وهي إنترناشونل غولدن غروب بي جي إس سي "International Golden Group PJSC". أما شركة دوناريت المصنعة لهذه الأسلحة فلم تتم الإشارة إليها.

وتمكن فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ من إجراء إعادة مطابقة لهذه المعلومات من خلال الاستعانة بوثيقة أخرى صادرة من مصدر ثان قادر على الاطلاع على المعلومات الصادرة من الجيش الإماراتي في إطار عملية بيع الأسلحة. وتتمثل هذه الوثيقة في المستخدم النهائي لها التي من المفترض أنها تضمن لمصنع الأسلحة وهيئة الرقابة في البلد المنشأ بأن المستخدم النهائي للأسلحة معروف بشكل واضح. كما أن هذا الأخير يقدم في معظم الحالات بدوره مجموعة من الالتزامات تشمل بالخصوص عملية إعادة تصدير الأسلحة. وتحتوي هذه الوثيقة الصادرة أيضا عن الجيش الإماراتي الذي يعرف نفسه بأنه المستخدم النهائي، على نفس رقم العقد الموجود في الوثيقة الأولى ويشير إلى نفس شركتي التزويد والتوريد. بفضل هذه المعطيات، «من الممكن التصديق بأن هاتين الوثيقتين تتعلقان بنفس عملية التسليم» وفق تقدير نيكولاس مارش الباحث المتخصص في تصدير الأسلحة بمعهد البحوث حول السلام ومقره أوسلو في النرويج.

"المستخدم النهائي لم يعلمنا بأية عملية تصدير إضافية، لا أعلم ما الذي حدث بعد ذلك"

إلا أن هذه الوثيقة التي صدرت في شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩، تؤكد أن الجيش الإماراتي يلتزم «باستخدام الأسلحة للاحتياجات الخاصة بالقوات المسلحة في الإمارات العربية المتحدة» و«عدم نقلها أو إعادة تصديرها أو إعارتها أو تأجيرها إلى طرف ثالث أو إلى أي بلد دون موافقة السلطات المختصة في بلغاريا».

وفي اتصال لفريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ بها لمعرفة ما إذا كانت قد منحت موافقتها هذه الأسلحة إلى السودان أو إلى جهة أخرى، أصرت اللجنة الوزارية البلغارية على أنها: «لم تقدم أي ترخيص لتصدير الأسلحة إلى دولة السودان». من جهته، مدنا الرئيس المدير العام لشركة دوناريت البلغارية بيتار بيتروف بتفاصيل أوفى ويوضح قائلا:

«على الوثائق، نرى بلد وجهة هذه الأسلحة، ولكن أيضا الشركة [فريق التحرير: إنترناشونال غولدن غروب] إنها شركة عامة. ولم نتلق أوامر بوجود قيود على عمليات التصدير إلى الإمارات العربية المتحدة. وهذا ما قامت لجنتنا بتفحصه. ووفق القواعد المحددة، عندما يقرر المستخدم النهائي إعادة تصديرها، يجب عليها أن يعلم مسبقا كل الأطراف المتداخلة في عملية التسليم أي المصنع واللجان المختصة، كل الأطراف. في هذه الحالة، لم يقوموا بذلك، لا أعلم ما الذي حدث بعد ذلك».

زد على ذلك أن الوثيقة الثانية تشير إلى كمية أكبر بكثير من القنابل، ويصل عددها إلى ١٠٥ آلاف قنبلة، في حين أن المعلومات المذكورة في الوثيقة الأولى تشير إلى كمية تصل إلى ٦٠ ألف قنبلة. ولا يتعلق الأمر بشيء مثير للريبة وفق تقدير نيوكولاس مارش الذي يضيف: «من الممكن أن يتم السماح بإجراء عمليات تسليم أخرى بدون ضرورة الحصول على ترخيص جديد. من الصعب معرفة إذا ما تم تسليم الكمية التي تمثل الفارق بين ما تم ذكره في وثيقة المستخدم النهائي ووثيقة عملية التسليم [فريق التحرير: هنا، يتعلق الأمر بفارق في الكمية يصل إلى ٤٥ ألف قذيفة هاون]».

عقد تقدر قيمته بنحو ٥٠ مليون يورو

هنا، يشير نيكولاس مارش إلى أن الثمن الإجمالي لنحو ١٠٥ آلاف قذيفة هاون التي ذكرت في وثيقة المستخدم قد تصل إلى ٥٠ مليون يورو، ويردف قائلا: «هذا النوع مع عمليات التسليم يتطابق مع ما يتطلبه عمل مجموعة مسلحة كبيرة غير حكومية، ويمكن القول بصراحة أنها كمية ضخمة على مجموعة من هذا النوع. في المقابل، في حال تعلق الأمر بدولة تعيش نزاعا مفتوحا، فإنها كمية محدودة نسبيا.»

تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ من مطابقة تقديرات الخبير نيكولاس مارش لقيمة هذه الصفقة مع تقديرات مؤسسة أوميغا ريسرش فاونديشن Omega Research Foundation، وهي شبكة من باحثين متخصصين في انتهاكات حقوق الإنسان باستخدام عتاد دفاعي أو أمني.

هذا المبلغ التقديري البالغ نحو ٥٠ مليون يورو لعملية تصدير هذه الأسلحة ليس أبدا بالرقم الهين لدولة مثل بلغاريا، ووفق المعلومات التي جمعها المركز الأوروبي المناهض لتجارة الأسلحة، فإن قيمة الصادرات البلغارية إلى الإمارات العربية المتحدة بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٢٠ [فريق التحرير: التقديرات الأخيرة تبدو ضئيلة جدا]، تتراوح ما بين ١٠ إلى ٣٠ مليون يورو في العام.

أما في سنة ٢٠١٩، العام الذي ذكر أنه عام تسليم هذه الصفقة في الوثيقتين اللتين اطلع عليهما فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤، فقد ارتفعت قيمة صادرات بلغاريا إلى الإمارات إلى نحو ٨٣ مليون يورو بشكل مفاجئ. وبالتالي من المرجح بأن اقتناء ١٠٥ آلاف قذيفة هاون بلغارية إلى الإمارات يمثل أكثر من نصف قيمة مجمل الصادرات إلى هذه البلد الخليجي في هذا العام الخارق للعادة.

آرم - بي جي الوسيط البلغاري

وفي تصريحاتها لفريق تحرير مراقبون فرانس٢٤، تصر اللجنة الوزارية لمراقبة التصدير في بلغاريا في عدة مناسبات بأن البلد «يحترم بشكل صارم كل الالتزامات في مجال مراقبة عمليات التصدير، ويتبع سياسة وطنية مسؤولة».

على الرغم من ذلك، تثير طبيعة الوسطاء الضالعين في هذه الصفقة الريبة. إذ لم يتوفر سوى نزر قليل من المعلومات حول شركة آرم - بي جي ARM–BG، إلا أن هذه الشركة تملك في المقابل رخصة رسمية لتصدير وتوريد الأسلحة. ووفق المعلومات المتوفرة في موقع أوربيس Orbis المتخصص في هذا النوع من الملفات، فإن هذه الشركة لا تشغل سوى أربعة موظفين، ويبدو أنها حققت أكبر قدر من الأرباح في السنتين اللتين تمت فيهما صفقة بيع أسلحة شركة دوناريت إلى الإمارات العربية المتحدة. ووصل رقم معاملاتها إلى أكثر من ٧٨ مليون دولار في سنة ٢٠١٩، وثم ١٠٦ ملايين دولار في عام ٢٠٢٠ قبل أن ينخفض هذا الرقم بشكل كبير إلى ٦ ملايين يورو في سنة ٢٠٢١، وهو العام الذي دخلت فيه شركة آرم - بي جي في عجز كبير. وتشير نتائج معاملاتها إلى أنها سجلت في هذا العام خسائر بما يقرب من ٣ ملايين يورو.

أرسين نازاريان، أحد مديري شركة آرم - بي جي ، يصر من جهته على قانونية هذه الصفقة التي شاركت مؤسسته فيها، ويضيف قائلا:

سلمت شركة آرم - بي جي طلبا إلى اللجنة الوزارية البلغارية لمراقبة الصادرات للحصول على ترخيص تصدير إلى الإمارات العربية المتحدة كمستخدم نهائي، وهي تحتوي على كل المعطيات والوثائق المطلوبة وفق التشريعات البلغارية والأوروبية السارية، إضافة إلى القواعد المحددة من قبل الأمم المتحدة.

وفي اتصال هاتفي مع فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤، يضيف نفس الشخص: « نحن شركة وسيطة، ولا نقوم بعمليات التصدير أو التوريد بأنفسنا، كما أننا لا نتكفل بنقل السلع». على الرغم ذلك، تمت الإشارة في المقابل إلى أن شركة آرم - بي جي على أنها «المصدر أو المزود» في الوثائق الإماراتية التي تم تسليمها إلى السلطات البلغارية.

وعند اتصال فريق تحرير مراقبون بها مرة ثانية، رفضت شركة آرم - بي جي تقديم المزيد من المعلومات. أما اللجنة الوزارية البلغارية لمراقبة الصادرات فأكدت من جهتها بأنها «لا تملك أي دليل على تداخل شركة آرم - بي ليميتد Arm BG Ltd في عملية تسليم أسلحة إلى مستخدمين نهائيين غير قانونيين أو في عملية إعادة تصدير غير شرعية».

إنترناشونال غولدن غروب، الشركة الإماراتية المشترية متورطة في عملية تحويل وجهة الأسلحة

الشركة الأخرى التي تمت الإشارة إليها في الوثائق المتعلقة ببيع أسلحة من تصنيع شركة دوناريت البلغارية هي شركة إنترناشونال غولدن غروب (إي سي جي) International Golden Group (IGG)). وتم الإشارة إلى هذه الشركة على أنها «الطرف المورد» للأسلحة إلى الإمارات العربية المتحدة. هيلين كلوزه، هي باحثة متخصصة في قطاع التسلح في مؤسسة أومیغا ریسرتش غروب، تمكنت من جمع معلومات حول هذه الشركة خلال نشاطها في سوق التسلح بالإمارات العربية المتحدة، توضح قائلة:

تم تأسيس شركة إنترناشونال غولدن غروب في سنة ٢٠٠٢. ونعتقد بأن الشركة كانت في تلك الفترة خاصة أو شبه خاصة، إلا أنها كانت مرتبطة من دون شك بعلاقات مع الحكومة الإماراتية. وفي سنة ٢٠١٧، قدمت هذه الشركة نفسها على أنها المزود الأول للقوات المسلحة ووزارة الداخلية الإماراتية.

لا يخضع بيع الأسلحة الأوروبية إلى الإمارات العربية المتحدة لأية عقوبات أو حظر. إلا أن شركة إنترناشونال غولدن غروب ليست شركة غير معروفة في هذا البلد الخليجي: بالإضافة إلى تزويدها الجيش الإماراتي، تعرف هذه الشركة بممارساتها في تحويل وجهة الأسلحة إلى مناطق النزاع، وفق تأكيد عدد كبير من المتخصصين في الميدان لفريق تحرير مراقبون فرانس٢٤. توني فورتن، المكلف بجمع المعلومات حول بيع الأسلحة والشركات المتخصصة في المجال، يعلق قائلا في هذا السياق:

تملك شركة إنترناشونال غولدن غروب سمعة سيئة جدا، إنها معروفة وسط مصنعي الأسلحة. لدى هذه الشركة سمعة بأنها تعمل بما يشبه دولة داخل الدولة الإماراتية، من خلال السماح لها بالتصرف في تدفق الأسلحة بطريقة غامضة.

ونجد أثرا لأنشطتها المزعزعة للاستقرار في تقارير مجمع الخبراء التابع للأمم المتحدة حول ليبيا، وهو البلد الذي يخضع لحظر شامل لتصدير الأسلحة من قبل مجلس الأمن التابع للمنظمة الأممية والذي تم إقراره في سنة ٢٠١١.

في كل سنة، يسلم مجمع الخبراء المذكور تقريرا حول الوضع في ليبيا، يحاول من خلاله بالخصوص تحديد الدول والشركات والأشخاص المتورطين في انتهاك هذا الحظر. ومنذ عام ٢٠١٣، تم التأكد من أن هذه الشركة هي فاعل رئيس في نقل مئات الآلاف من الرصاصات ألبانية الصنع إلى بنغازي في شرق ليبيا. ويؤكد تقرير المجمع الأممي بأن «شركة إنترناشونال غولدن غروب كانت الطرف الممثل للقوات المسلحة في الإمارات العربية المتحدة خلال المفاوضات».

في سنوات ٢٠١٦، و٢٠٢٢ و٢٠٢٣، ارتبط اسم شركة إنترناشونال غولدن غروب بقرار حظر تصدير الأسلحة إلى ليبيا الصادر عن الأمم المتحدة. إذ يتحدث تقرير سنة ٢٠٢٢ عن نقل قنابل هاون من عيار ١٢٠ مم. وتم استخدام إحدى هذه القنابل داخل منزل مدني في العاصمة الليبية طرابلس خلال سنة ٢٠٢٠. خلال تلك الفترة، كانت منطقة طرابلس الخاضعة لسيطرة الحكومة الليبية المعترف بها من قبل الأمم المتحدة تعيش على وقع هجوم واسع النطاق من قبل قوات خليفة حفتر، القائد العسكري المهيمن على شرق ليبيا. وكان هذا الهجوم العسكري محل دعم من الإمارات العربية المتحدة، وشارك فيه بالخصوص مرتزقة من شركة فاغنر الروسية.

وفي نفس التقرير، يعود التقرير بتفاصيل أكثر عن حالات حدثت في سنة ٢٠١٣ ويقول: في الوقت الذي تمت الإشارة فيها بشكل كاذب إلى المشتري النهائي لهذه الأسلحة هي الإمارات العربية المتحدة [فريق التحرير: على الوثائق المقدمة من قبل شركة إنترناشونال غولدن غروب]، فقد تم نقل هذه الذخائر عبر الطائرة مباشرة إلى بنغازي في ليبيا». وتم الإشراف على الرحلة الجوية التي نقلت هذه الأسلحة من قبل وسيط متورط في هذه الصفقة. ففي الوقت الذي أشار فيه مسار الرحلة الأولي إلى أنها متوجهة إلى الإمارات العربية المتحدة، تم تغييره في آخر لحظة لتتجه الطائرة إلى ليبيا.

أما تقرير نفس الخبراء لسنة ٢٠١٦، الذي تحدث هذه المرة على حالات توريد صواريخ بلغارية إلى ليبيا، فيؤكد بأن الخبراء «طلبوا من بلغاريا تتبع وجهة (هذه الصواريخ)» و«أعلمت السلطات البلغارية مجمع الخبراء الأممي بأن شركة إنترناشونال غولدن غروب هي الشركة التي قامت بتوريد هذه الأسلحة وأكدت بأن المستخدم النهائي لها هي القوات المسلحة في الإمارات العربية المتحدة».

وهو ما يعني بأن السلطات البلغارية كانت على علم منذ سنة ٢٠١٦ على الأقل، أي قبل ثلاث سنوات من إرسال الإمارات العربية المتحدة وثائق تطلب منها تمكينها من شراء قذائف هاون من شركة دوناريت، بأن الأسلحة التي يتم بيعها إلى شركة إنترناشونال غولدن غروب على أنها لصالح الجيش الإماراتي يمكن أن يتم تحويل وجهتها.

هنا، يعود الخبير نيكولاس مارش ليعلق قائلا: «من المفترض أنه في مثل هذه الحالات، عندما تتلقى بلغاريا معلومات، يجب أن تقوم بمشاركتها مع باقي الحكومات الأوروبية» ويضيف قائلا:

ابتداء من تلك اللحظة، يجب على السلطات البلغارية عدم تقديم تراخيص تصدير أسلحة جديدة لصالح شركة إنترناشونال غولدن غروب، كما يجب عليها أيضا بالخصوص أن تتوخى الحذر الشديد في كل ما يتعلق بعمليات تصدير إلى الإمارات العربية المتحدة بشكل عام. ولكن مع الأسف، لم تسر الأمور في الواقع بهذه الطريقة.

وفي سؤال عما إذا كانت تعلم في السابق بحالات كثيرة لتحويل وجهة أسلحة من قبل شركة إنترناشونال غروب والتي وثقها مجمع الخبراء حول ليبيا التابع للأمم المتحدة، عند منحها ترخيص صفقة تصدير الأسلحة إلى الإمارات في سنة ٢٠١٩، لم تجب اللجنة الوزارية البلغارية لمراقبة الصادرات على طلب الاستفسارات من فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤.

ولا يملك فريق تحرير مراقبون فرانس٢٤ معطيات تسمح له بتقفي أثر الجزء الأخير من رحلة الذخائر بلغارية الصنع في اتجاه السودان، ومعرفة ما إذا كانت هذه الدفعة قد تم نقلها من قبل شركة إنترناشونال غولدن غروب في اتجاه منطقة شرق ليبيا الخاضعة لسيطرة المشير خليفة حفتر. وفي أسئلة بهذا الصدد، لم تجب اللجنة الوزارية البلغارية لمراقبة الصادرات أو شركة إنترناشونال غولدن غروب على طلباتنا للتوضيح.

ولكن للحصول على مزيد من التفاصيل، لدينا طريقة أخرى تتمثل في تقفي أثر الرجال الذين رافقوا موكب الذخائر البلغارية إلى السودان، والذين ظهرت وثائق هوياتهم في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون سودانيون في يوم ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤.

جوازا السفر الظاهران في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون سودانيون في يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٤ تكشف عن هوية مواطنين كولومبيين يبدو أنهما كانا موجودين في موكب نقل الأسلحة: وهما كريستيان إل وميغال بي.

بإمكانكم الاطلاع على باقي تفاصيل التحقيق في الجزء الثالث الذي سينشر غدا:

قنابل أوروبية في السودان: طريق المرتزقة من الإمارات إلى السودان (٣/٥)

على موقعنا

www.thesdvoice.press

المصدر : فرانس ٢٤

جوازا السفر الظاهران في مقاطع الفيديو التي التقطها مقاتلون سودانيون في يوم ٢١ تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٢٤ تكشف عن أن الأمر يتعلق بمواطنَين من كولومبيا والذي يبدو أنهما كانا موجودين على الأرجح في موكب العربات الذي حمل الأسلحة: وهما كريستيان إل وميغال بي. © فرانس ٢٤ – مراقبون

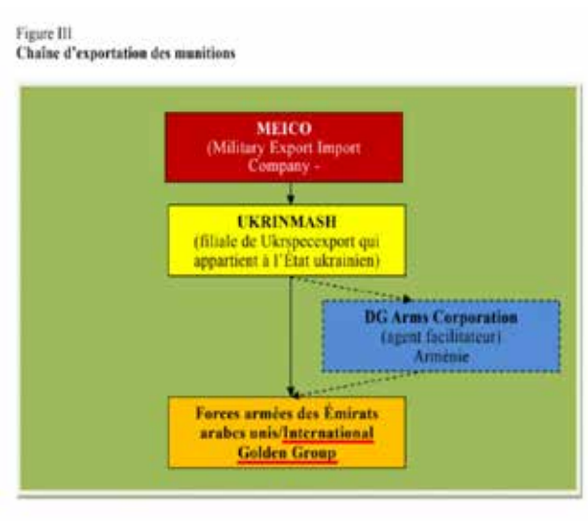

ظهر اسم شركة إنترناشونال غولدن غروب في تقارير خبراء الأمم المتحدة حول ليبيا منذ عام ٢٠٢٣: ووفق تقرير هذه السنة، فإن الشركة (وقع تسطيرها باللون الأحمر من قبل فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤) مثلت على الأرجح الجيش الإماراتي في صفقة شراء أسلحة ألبانية، تعلقت في الواقع بتصدير أسلحة إلى بنغازي في شرق ليبيا. © تقارير خبراء الأمم المتحدة

تمكن فريق تحرير مراقبون فرانس ٢٤ من الحصول على وثيقة مرتبطة بعملية شراء قذائف هاون من صنع بلغاريا التي عثر عليها في السودان. وتؤكد هذه الوثيقة الصادرة من الإمارات العربية المتحدة (المؤطر الأول) بأن هذا البلد الخليجي تلقى نفس هذا النوع من قذائف الهاون التي ظهرت في مقاطع الفيديو التي التقطت في السودان، ويتعلق الأمر بـ«قنابل هاون من عيار ٨١ مم شديدة الانفجار» (المؤطر الأخير)، إضافة إلى أنواع أخرى من القذائف. ويقول الجيش الإماراتي إنه المستخدم النهائي لهذا القذائف ويشير إلى شركتين متداخلتين في عملية التسليم شركة إماراتية، هي إنترشانول غولدن غروب بي جي إس سي "International Golden Group PJSC" (المؤطر الثاني) وأخرى بلغارية هي «آرم - بي جي ليميتد» "ARM–BG LTD" (المؤطر الثالث). © فرانس ٢٤ –

حقائق وأرقام
عامان على حرب السودان

13 مليون نازح داخلياً

3.8 مليون لاجئ على الحدود

84 عامل إغاثة
قتلوا أثناء محاولتهم تلبية الاحتياجات الإنسانية في السودان

الجنيه السوداني

600 جنيه سوداني
في مقابل الدولار قبل الحرب

2600 جنيه سوداني
في مقابل الدولار الآن

الإعلام

90 في المئة
من المؤسسات الإعلامية توقفت وغرقت في صمت قاتل

500 صحفي لجأوا لدول الجوار

700 صحفي نزحوا داخلياً .. وهاجر المئات

20 صحفياً
تم اغتيالهم حتى نهاية ٢٠٢٤

11 حالة اعتداء جسدي وإصابة بينهم ٤ صحافيات

69 حالة إخفاء وإعتقال واحتجاز من بينهم ١٣ صحافية

المفقودن

8 آلاف مفقود

الرعاية الصحية

156 هجوماً على الرعاية الصحية
مما تسبب في أكثر من :

300 وفاة
بين المرضى والعاملين في مجال الرعاية الصحية».

80 في المئة
من المستشفيات تضررت وخرجت عن الخدمة في مناطق النزاع

60 مليار دولار
خسائر مباشرة في بنية القطاع الصحي التحتية وحدها حتى نهاية ٢٠٢٣.

الزراعة

10 مليارات دولار
حجم الخسائر المقدرة في القطاع الزراعي..
وتعرض بنك الجينات الذي يضم أكثر من ١٧ ألف مورد وراثي للتدمير.

22 مليار دولار
قيمة الأضرار في القطاع النفطي

الذهب

64 طناً
إنتاج الذهب العام الماضي.

1.7 مليار دولار
عائدات الصادرات من المعدن الثمين.

الأطفال

825 ألف طفل
يواجهون القصف المستمر ونقصا حادا في أبسط مقومات البقاء على قيد الحياة

2776 طفل
قتلوا أو أصيبوا خلال هذين العامين

17 مليون طفل
خارج التعليم مع إغلاق ٩٠ في المئة من المدارس، وبالنسبة

المصادر : وكالات ومواقع إلكترونية

VOICE of sudanese community
السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

الخرطوم..
ليس من رأى كمن سمع

○ الخرطوم - «الجزيرة»

● بخطوات متثاقلة تحاول العاصمة السودانية الخرطوم النهوض من تحت الركام. المدينة التي كانت تعج بالحياة تحوّلت معظم مناطقها إلى أطلال بفعل عامين من الحرب.

من الوهلة الأولى لدخول الخرطوم تتضح لك آثار الحرب، الرصاص رسم لوحات دامية على جدران المنازل وبعض أبنيتها الشاهقة، فوارغ الذخيرة تبدو واضحة على الطرقات لا سيما بالقرب من المناطق العسكرية عند مداخل المدينة، مثل الجيلي شمالا حيث آثار معركة بائنة شهدت أعنف أنواع الأسلحة الجوية والبرية، وسالت دماء غزيرة على التراب والأسفلت. تمكن الجيش السوداني من استعادة كامل مدينة بحري شمالي الخرطوم من قوات الدعم السريع المتحصنة بمصفاة الجيلي للبترول، التي كانت بمثابة خط دفاعها الأول.

المدينة الجريحة

مدينة بحري أحد الأضلاع الثلاثة المكونة لولاية الخرطوم (الخرطوم، وبحري، وأم درمان)، بها أعرق الأسواق والمدارس والجامعات والساحات العامة وكلها خضعت لسيطرة قوات الدعم السريع لمدة أكثر من عام ونصف، وتمكن الجيش مؤخرا من استعادة السيطرة عليها، بيد أنها تبدو جريحة تائهة. وفي أحياء بحري الطرفية مثل الدروشاب والسامراب والكدرو، بدأت الحياة تعود جزئيا بعد عودة بعض الأسر إلى منازلها وبعض المتاجر والمحلات التجارية المختلفة للعمل، وعودة حركة المواصلات الداخلية.

بيد أن تلك الأحياء تعاني من انقطاع التيار الكهربائي منذ أكثر من ١٠ أيام وسط معاناة في الحصول على المياه.

ويُظهر التوغل جزئيا صوب وسط بحري، حيث أحياء الحلفايا وشمبات والمزاد والأملاك، فصول الحرب والمعاناة.

جامعة الخرطوم كلية التربية أمدرمان

عودة الحياة جزئيا للخرطوم بحري بعد استعادة الجيش السوداني السيطرة عليها في فبراير/شباط الماضي (الجزيرة)

وتبدو فصول تلك المعاناة في أن تلك الأحياء كانت خاضعة لسيطرة قوات الدعم السريع بشكل كلي منذ بداية الحرب، وغادرها معظم سكانها إلا قليلا ممن بقوا تحت إمرة تلك القوات التي كانت تقيّد حركتهم، حسب روايات منقولة من سكان أحياء بحري. وتتجلى مظاهر الحرب في هذه المدينة بوضوح، حيث توقفت الأسواق تماما، وتعطلت جميع محطات الكهرباء والمياه، بل تدمرت كليا. ومصانع الدقيق التي كانت عنوانا بارزا فيها سُرقت ونُهبت بشكل كامل وتوقفت عن العمل، بحسب ما رصدته الجزيرة نت، وحركة مواصلاتها الداخلية توقفت كليا. وعاد إليها قليل من السكان بعد استعادة الجيش السيطرة عليها في فبراير/شباط المنصرم، ومعظم العائدين من فئات الشباب. وعلمت الجزيرة نت أن عودتهم لبحري لحماية ما تبقى من منازلهم تمهيدا لعودة الأسر بعد استعادة خدمات الكهرباء والمياه والاتصالات.

حركة وحياة

ما بين بحري وأم درمان يوجد جسر واحد صالح للعمل وهو جسر الحلفايا رغم ما أصابه من ندوب وخدوش جراء المعارك، بينما توقف المعبر الآخر وهو جسر شمبات.

وفي جسر الحلفايا ثمة حركة سيارات تنقل المواطنين ما بين بحري وشرق النيل من جهة الشرق، وأم درمان من جهة الغرب. وفي أم درمان، خاصة جنوبها، يرصد موفد الجزيرة نت مظاهر طبيعة الحياة خاصة عند مدخل جسر الحلفايا والاتجاه جنوبا وصولا إلى الجزيرة إسلانج وشمالا إلى أم درمان القديمة. ولم تتأثر أحياء -مثل الحتانة والشاطئ وكرري- بالحرب كثيرا وشهدت اشتباكات استمرت ٤٨ ساعة، بعدها سيطر الجيش عليها وطبع بها الحياة، بحسب شهادات الأهالي.

وفي شارع الوادي الأشهر بأم درمان تبدو الحياة كأنها لم تكن هنالك حرب، ازدحام مروري، ومتاجر تعمل، وباعة متجولون على الطرقات، وانتشار لرجال شرطة المرور، مقاهٍ ومطاعم تعمل وتعج بالناس. وبالمضي إلى أحيائها القديمة المتاخمة للنيل مثل أبوروف، وود البنا والعباسية وود نوباوي، بدت الحياة أفضل، وعاد إليها شيء من البريق، رغم أن تقارير إعلامية تقول إن بعض أحياء أم درمان القديمة شهدت أشرس المعارك في مارس/آذار ٢٠٢٤، واستطاع الجيش استعادتها.

سوق أمدرمان

وفي أم درمان القديمة، الحياة تبدو عادية وحركة الناس تجاوزت مرحلة الحرب إلى مرحلة البناء، وعادت كثير من الأسر، بحسب ما رصدته الجزيرة نت من مشاهد في الأسواق والطرقات، كما عادت خدمات الكهرباء والمياه والاتصالات إلى تلك الأحياء. في المقابل، لا تزال بعض أحياء شمال أم درمان وغربها بدءا من أحياء المهندسين والنخيل وأمبدة والصالحة تحت زخات الحرب، والخدمات منعدمة وأصوات الرصاص تُسمع بوضوح، ولم تسجل عودة ملحوظة للعائلات رغم استعادة الجيش لأجزاء واسعة منها.

مدينة بلا ملامح

وتبدو الخرطوم الأكثر تأثرا بالحرب، فهذه المدينة التي كانت مركز الحكم والنشاط السياسي والأسواق النشطة والعامرة والجامعات المكتظة بالطلاب وأكبر المستشفيات، كل ذلك ذهب في مهب الريح، وتكاد تكون الحياة متوقفة كليا فيها.

دمرت الحرب جميع أبراجها التجارية والحكومية التي كانت تمثل ملمحا من ملامح العاصمة مثل برج النيل للبترول وبرج الفاتح وبرج الاتصالات وبرج الساحل والصحراء. وجامعاتها أغلقت أبوابها بشكل تام وانتقلت للعمل في مدن أخرى.

أسواقها نُهبت وسُرقت منذ رصاصة الحرب الأولى وبنوكها حُرقت كليا، وتوقفت صحفها عن الطبع، وأغلقت منتدياتها السياسية أبوابها، ومساجدها هُجرت، وحركة الجسور التي كانت تنبض بالحياة توقفت عن الخفقان.

جامعة الخرطوم كلية التربية أمدرمان

وفي وسط الخرطوم تبدو آثار الحرب أعنف، دبابات معطلة وسيارات قتالية محترقة، وسواتر ترابية في وسط الطرقات، وفوارغ رصاص تبدو آثارها واضحة على كل شيء بما في ذلك المساجد والكنائس، جثث تحولت لهياكل عظمية تسعى حكومة الخرطوم لسترها، وجدران لا تخلو من آثار الرصاص. وتوقفت الحياة كليا وسط الخرطوم، الذي يعتبر مركز الحكم والسياسة، رغم استعادته بواسطة الجيش، فلا حركة به غير حركة سيارات الدفع الرباعي التابعة للقوات المسلحة.

أما القصر الجمهوري مركز الحكم والسيادة فيقف حزينا بعد أن ارتوت أرضه بالدماء من طرفي القتال، وتحولت القيادة العامة للجيش إلى واجهة للمعارك وستكون شاهدة على عصر الحرب في السودان. وفي جنوب الخرطوم بدأت الحياة تعود تدريجيا في بعض الأحياء مثل الكلاكلة وطيبة حيث شهدت أسواق الكلاكلة عودة جزئية مع انتشار للجيش لتأمين الناس وحركة الحياة.

ذكرى حرب السودان

مواقع وشخصيات شكّلت علامة فارقة

○ اللواء نادر المنصوري.

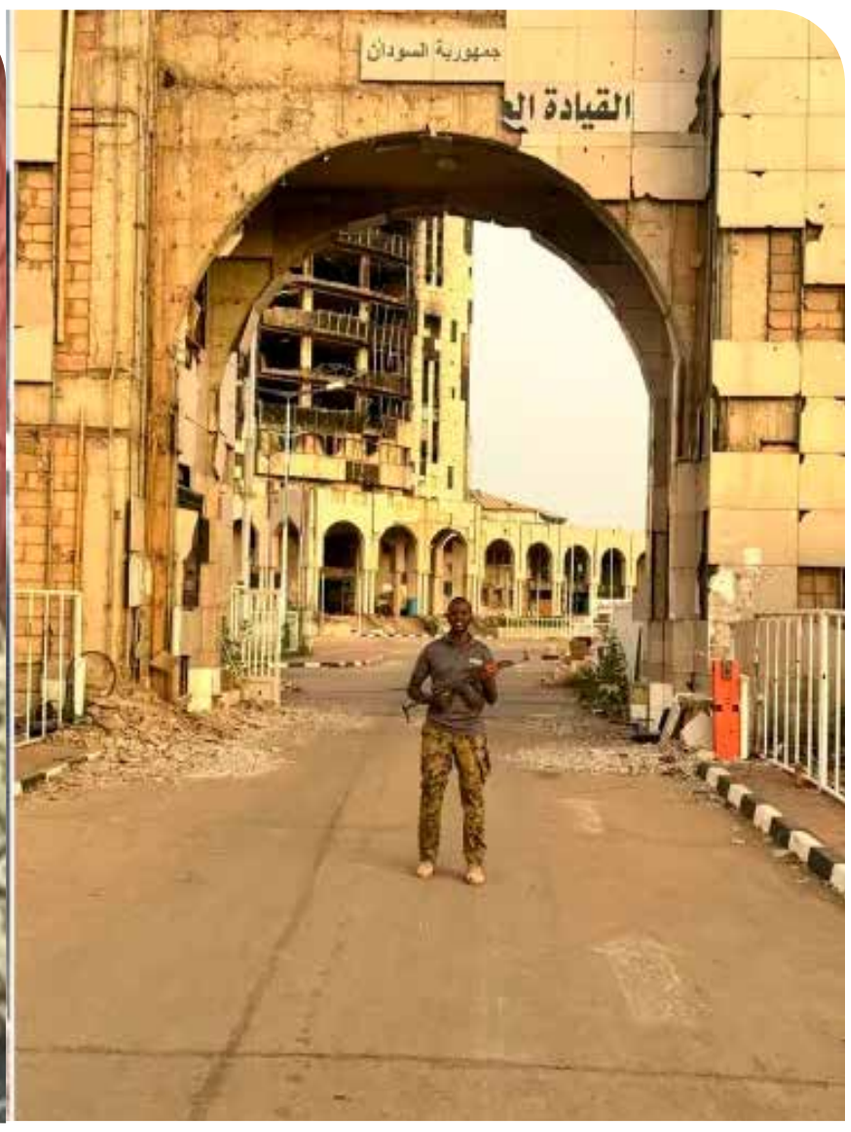

○ القيادة العامة.

○ الشهيد الفقيد حسين عرديب.

○ **الخرطوم - «الجزيرة»**

● بعد مرور عامين على الصراع الذي يدور رحاه بين الجيش وقوات الدعم السريع، رسخت في أذهان السودانيين مواقع عسكرية ومدنية كانت العنوان الأبرز لساعة صفر الحرب التي اندلعت فجر ١٥ أبريل/نيسان ٢٠٢٣، وصارت تلك الأماكن بمثابة ذاكرة لكل من عاصرها.

قبيل الحرب بأيام قليلة، اتخذت قوات الدعم السريع من المدينة الرياضية مقرا عسكريا لها، حيث نشرت عشرات السيارات القتالية وآلاف الجنود والأسلحة الثقيلة.

تأسست هذه المدينة في عهد النظام السابق، وتقع جنوب الخرطوم على بعد ٧ كيلومترات من مقر القيادة العامة للجيش، وتبلغ مساحتها ١٠ كيلومترات، وصارت ثكنة عسكرية تزدحم أطرافها بالدبابات والمدرعات والجنود، وتشير أغلب الروايات إلى أن شرارة الحرب الأولى انطلقت منها.

المدينة الرياضية

يقول مصدر في الجيش السوداني للجزيرة نت إنه خلال انتشارهم في محيط القيادة العامة بلغتهم الأنباء عن اشتباكات اندلعت بين قوات الدعم السريع والجيش حول محيط المدينة الرياضية، التي تبعد كيلومترات قليلة عن مطار الخرطوم، وسرعان ما تمددت إليه.

وأضاف أنه عقب نصف ساعة من اندلاع الاشتباكات، أطلقت قوات الدعم السريع الموجودة بمنزل قائدها محمد حمدان دقلو (حميدتي) النيران على جنود حراسات الجيش في محيط القيادة العامة، ثم امتدت الاشتباكات لتشمل كل الخرطوم.

ظلت قوات الدعم السريع على مدى عامين تتخذ من المدينة الرياضية ثكنة عسكرية تضم مستشفى ميدانيا متحركا يتم إخلاء الجرحى إليه، حتى تمكن الجيش من استعادتها نهاية مارس/آذار الماضي.

الحرس الرئاسي

أما «الحرس الرئاسي»، وهو وحدة تتبع للاستخبارات العسكرية بالجيش السوداني مهمته تأمين الشخصيات السيادية وكبار الزوار من رؤساء ومسؤولين من خارج البلاد، وتقع مبانيه جنوب غرب قيادة الجيش وسط الخرطوم. وكانت تضم جنودا وضباطا يقدر عددهم بنحو ٦٠٠، ويقودهم ضابط برتبة لواء.

وحسب مصدر في الحرس الرئاسي تحدث للجزيرة نت، ففي ساعات الحرب الأولى كان الحرس الرئاسي هو الفصيل العسكري صاحب الدور الأبرز في إفشال اقتحام عناصر الدعم السريع قيادة الجيش.

مطار مروي

يقول مصدر في الحرس الرئاسي للجزيرة نت إنه في حدود الساعة التاسعة من صباح ١٥ أبريل/نيسان ٢٠٢٣ هاجمت قوة من الدعم السريع، منطلقة من حي المطار، مداخل وأبواب الحرس الرئاسي.

وأوضح أن مهمة الحرس الرئاسي في اللحظات الأولى كانت تأمين قيادات الجيش الموجودين هناك، وأضاف «نجحنا في تأمين رئيس مجلس السيادة وقائد الجيش عبد الفتاح البرهان ونائبه الفريق شمس الدين الكباشي، وضعناهما في مكان آمن».

وتابع «دخلنا في معارك عنيفة مع قوات الدعم السريع التي كانت تهاجم البوابة الغربية بأكثر من ٢٠٠ عربة قتالية بها مختلف أنواع الأسلحة، وكبدناهم خسائر وأفشلنا محاولات اقتحام القيادة العامة التي استمرت ٣ أيام»، وكشف عن سقوط ١١ قتيلا من عناصر الحرس الرئاسي في الساعات الأولى.

مطار الخرطوم

يقع المطار في مدينة مروي شمالي السودان، ويضم قاعدة عسكرية تتبع للجيش كان بها سرب من الطائرات المقاتلة. وفي ١٣ أبريل/نيسان ٢٠٢٣، أرسل الدعم السريع تعزيزات عسكرية ضخمة إلى المطار دون التنسيق مع الجيش، بحسب بيان الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة. و«صار المطار مكانا للتحشيد العسكري، فبينما يوجد فيه الجيش ومقر الفرقة ١٩ في مروي، ينتشر الدعم السريع في محيطه».

لم تمر أكثر من ٤٨ ساعة على هذه الوضعية حتى اندلعت اشتباكات عنيفة بين الطرفين، بعدها تمكنت قوات الدعم السريع من بسط سيطرتها على مطار مروي، ولم تمر ساعات حتى استعاده الجيش وأعلن طرد قوات الدعم السريع منه وخروجها بشكل كلي من مدينة مروي وسط دمار كبير طال البنية التحتية للمطار والطائرات التي كانت بداخله.

جبل سركاب

يقع جبل سركاب في شمال غرب مدينة أم درمان وقرب قواعد الجيش العسكرية في وادي سيدنا، حيث يوجد مقر «الفرقة التاسعة» و«قاعدة وادي سيدنا» الجوية و«معسكر المرخيات». وكانت قوات الدعم السريع تتخذ من هذا الجبل مقرا لها ولعناصرها من النخبة العسكرية، حسب مصدر عسكري.

يقول مصدر بقاعدة وادي سيدنا الجوية التابعة للجيش، للجزيرة نت، إنه في ساعات الحرب الأولى كان الدعم السريع يخطط للسيطرة على القاعدة وشل حركة الطيران وفق السيناريو ذاته الذي حدث في قاعدة مروي الجوية.

وحاولت قوات الدعم السريع الهجوم في اليوم الأول على وادي سيدنا، إلا أن الجيش تصدى لها وقصف في اليوم الثاني مقر هذه القوات في جبل سركاب بالطيران والمدفعية الثقيلة وأوقع فيها خسائر كبيرة، حسب المصدر.

كان حميدتي أعلن، في تصريحات صحافية في ثالث أيام الحرب، أن الطيران قتل أكثر من ٤ آلاف من عناصر الدعم السريع بمعسكر جبل سركاب، قبل أن يعود ويتهم دولة أجنبية بتنفيذ غارات جوية على سركاب أودت بحياة جنوده، ولاحقا بسط الجيش سيطرته على المعسكر.

شخصيات بارزة

ثمة شخصيات رسخت في ذاكرة السودانين أثناء الحرب المستمرة، من بينها اللواء نادر محمد بابكر المنصوري الذي كان يعمل قائدا للحرس الرئاسي بالجيش السوداني.

تخرج المنصوري ضمن طلاب الدفعة ٤٠ بالكلية الحربية التابعة للجيش، وعمل بعدة وحدات عسكرية من بينها سلاح المدفعية والمدرعات واستخبارات أركان البرية، فضلا عن عمله في عدة مدن في شمالي وغربي وشرقي البلاد.

في ساعات الحرب الأولى، قاد اللواء المنصوري قوات الحرس الرئاسي التي أفشلت اقتحام قوات الدعم السريع قيادة الجيش، ومحاولة القبض على البرهان بحسب ما خُطط له، ثم أمّن قيادات الجيش الموجودين بالصف الأول للمعركة.

وقبل يومين من الحرب، انتشرت فيديوهات للواء المنصوري يخاطب فيها جنوده بالاستعداد للمعركة، وأنها باتت وشيكة. وذكرت مصادر -مؤخرا- أنه تم تكليفه بإدارة التدريب بالاستخبارات العسكرية بدلا من قيادة الحرس الرئاسي.

كانت القيادة العامة للجيش أبرز ساحة للمعركة، وكل الضباط والجنود كانوا يحملون بنادقهم للقتال وصدّ هجوم الدعم السريع، من بينهم رتب رفيعة أبرزها قائد قوات الاستطلاع اللواء حسين عرديب.

تقول مصادر في قيادة الجيش للجزيرة نت إن اللواء عرديب كان يقود جنوده ويقاتل شرق القيادة العامة التي كانت تتعرض لهجمات عنيفة من قوات الدعم السريع المنطلقة من حي الصفاء شرق الخرطوم.

وأضافت أنه ظل مرابطا شرق القيادة قبل أن يُقتل برصاص قناص يتبع للدعم السريع، و«تخليدا لذكراه أطلق الجيش متحركا (رتلا عسكريا) باسمه عمل على استعادة السيطرة على وسط أم درمان».

○ معسكر جبل سركاب.

○ القصر الرئاسي.

○ المدينة الرياضية.

○ مطار الخرطوم.

○ مطار مروي

استشراف المستقبل: علم إدارة الغد... اليوم

د. إيهاب عبد الرحيم الضوي أحمد

● في عالم يتغير بوتيرة غير مسبوقة، لم تعد القدرة على التنبؤ بالمستقبل كافية لمواكبة التحديات التي تفرضها المتغيرات السريعة والمعقدة. إن الاقتصار على تحليل الماضي والحاضر لرسم المستقبل لم يعد مجديًا في بيئة مليئة بعدم اليقين، بل أصبح من الضروري تبني منهج علمي استباقي يمكن من فهم الاتجاهات الكبرى، وتحليل التأثيرات المحتملة، واتخاذ قرارات مرنة مبنية على سيناريوهات متعددة. ومن هذا المنطلق، يبرز مفهوم «استشراف المستقبل» كأداة استراتيجية لا غنى عنها لبناء السياسات، وتوجيه الاستثمار، وتحقيق التنمية المستدامة. عليه وفي ظل التحديات المتلاحقة التي يشهدها عالمنا المعاصر، أصبح من الصعب التنبؤ بالمستقبل بناءً على المعطيات الحالية فقط، خاصة مع تنامي الأزمات المناخية، والتغيرات التكنولوجية المتسارعة، والتحولات الديموغرافية والاجتماعية. هذه المعطيات دفعت المؤسسات الدولية والحكومات إلى تبني «استشراف المستقبل» كأداة مركزية في تصميم السياسات العامة، وضمان جاهزيتها للأحداث المستقبلية، بما في ذلك السيناريوهات غير المتوقعة.

ما هو استشراف المستقبل؟

استشراف المستقبل هو عملية علمية منهجية تهدف إلى استكشاف الاتجاهات الناشئة، وتحليل المتغيرات المؤثرة، وبناء تصورات مستقبلية تساعد على اتخاذ قرارات استراتيجية مدروسة. يختلف الاستشراف عن التنبؤ في أنه لا يهدف إلى تحديد نتيجة واحدة مرجحة، بل يسعى إلى رسم مجموعة من السيناريوهات البديلة التي تأخذ بعين الاعتبار عناصر عدم اليقين والتغيرات المفاجئة. كما يختلف عن التخطيط التقليدي في أنه لا يعتمد فقط على الإمكانات الحالية، بل يدمج الرؤية بعيدة المدى مع التحليل الاستراتيجي لاستشراف تحديات الغد وفرصه.

لماذا نحتاج الاستشراف اليوم أكثر من أي وقت مضى؟

إن عالمنا الحالي يشهد اختفاء مهنٍ وظهور أخرى غير متوقعة، ومع التقدم الهائل في الذكاء الاصطناعي والروبوتات الحيوية، أصبح من الضروري تطوير رؤية استباقية تعزز من جاهزية الدول والمؤسسات. الاستشراف ليس فقط لمواجهة التحديات، بل لاقتناص الفرص التي لا تظهر إلا لمن يستعد لها. فالمؤسسات التي تدمج الاستشراف ضمن استراتيجياتها تكون أكثر قدرة على التعامل مع المفاجآت، وأكثر مرونة في اتخاذ قرارات سريعة ومدروسة، وأقدر على التكيف مع التحولات العالمية. من هنا، يمكن القول إن الاستشراف أصبح لغة المستقبل، ومن لا يتقنها يعرض نفسه ومؤسسته للتهميش أو التآكل البطيء.

ومهما يكن من أمر، ففي ظل تسارع التغيرات التكنولوجية والاجتماعية والبيئية، أصبحت الحاجة إلى التفكير المستقبلي أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. فعندما تتغير أنماط العمل، وتظهر وظائف لم تكن موجودة قبل سنوات قليلة، وتواجه المجتمعات أزمات صحية أو بيئية غير متوقعة، فإن المؤسسات التي لا تمتلك تصوراً واضحاً للمستقبل تجد نفسها أمام تحديات معقدة قد تؤثر على بقائها وفعاليتها. ولهذا، فإن استشراف المستقبل لا يعتبر رفاهاً فكرياً، بل هو أحد مكونات الحوكمة الرشيدة والإدارة الذكية التي تستبق التحديات وتقتنص الفرص.

أدوات استشراف المستقبل

تتعدد أدوات استشراف المستقبل بحسب نوع التحليل والمجال المستهدف. ومن أبرز هذه الأدوات:

تحليل السيناريوهات، الذي يساعد على تصور مسارات بديلة لما قد يحدث مستقبلاً؛ وطريقة دلفي، التي تعتمد على استطلاع آراء مجموعة من الخبراء حول قضية محددة للوصول إلى توافق مستقبلي؛ وتحليل القوى المحركة، الذي يرصد العوامل الرئيسية المؤثرة في التغيير؛ بالإضافة إلى مصفوفة التأثير وعدم اليقين، التي تساعد في تصنيف القضايا حسب درجة خطورتها واحتمالية تحققها. ومن الأدوات التفاعلية أيضاً «عجلة المستقبل»، التي تستخدم لتحليل تأثير حدث ما على المستويات المباشرة وغير المباشرة. كما ظهرت مؤخراً أدوات رقمية تستفيد من الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات الضخمة والتعرف على الأنماط الخفية في السلوك الاجتماعي أو الأداء الاقتصادي، وهو ما يعزز قدرة المؤسسات على توقع التحولات قبل وقوعها الفعلي.

أين يستخدم استشراف المستقبل؟

تتسع مجالات تطبيق استشراف المستقبل لتشمل مختلف القطاعات الحيوية. في قطاع التعليم، يساعد الاستشراف على تطوير مناهج تعليمية تتماشى مع مهارات المستقبل ومتطلبات سوق العمل. وفي القطاع الاقتصادي، يستخدم لرصد توجهات الأسواق، وتحديد القطاعات الصاعدة، والتخطيط لتنوع مصادر الدخل. أما في المجال الصحي، فيُسهم في التنبؤ باحتياجات الرعاية الصحية ومواجهة الأوبئة. كما يعتبر أداة أساسية في مجالات الأمن، والتخطيط الحضري، والزراعة، حيث يمكّن صناع القرار من تصميم سياسات مستجيبة للتغيرات المناخية والديموغرافية والتكنولوجية. تم تطبيق الاستشراف بنجاح في مجالات متعددة. في قطاع التعليم، تم تطوير مناهج تعليمية تستجيب لمتطلبات سوق العمل المستقبلي. وفي قطاع الصحة، أتاح الاستشراف للحكومات بناء قدرات استباقية لمواجهة الأوبئة، كما حدث في جائحة كوفيد-١٩.

في مجال الأمن، تستخدم أدوات الاستشراف لتحليل التهديدات السيبرانية وتحركات التطرف العنيف. أما في الزراعة، فقد أسهم الاستشراف في توقع أثر التغير المناخي على الأمن الغذائي. وتعمل العديد من الحكومات على إدماج الاستشراف في السياسات العمرانية، مثل تخطيط المدن الذكية والمستدامة.

نماذج دولية ناجحة في استشراف المستقبل

من أبرز الدول التي نجحت في دمج الاستشراف ضمن منظومتها الوطنية نجد فنلندا وسنغافورة، وهما مثالان ملهمان لكيفية استخدام الفكر المستقبلي كأداة للحوكمة الرشيدة واتخاذ القرار القائم على البيانات والاحتمالات لا على ردود الأفعال اللحظية.

فنلندا: الاستشراف كأداة ديمقراطية لصنع السياسات

تعتبر فنلندا من أوائل الدول في العالم التي تبنت نهجاً مؤسسياً لاستشراف المستقبل، حيث أنشأت المجلس الوطني للفكر المستقبلي (National Foresight Network)، التابع للبرلمان الفنلندي. هذا المجلس لا يضم فقط سياسيين، بل يشمل أيضًا خبراء أكاديميين، وممثلي القطاع الخاص، والمجتمع المدني، مما يعكس طبيعة استشرافية تشاركية شاملة.

يقوم المجلس بإصدار تقارير مستقبلية كل أربع سنوات تستخدم كمرجع رئيس عند صياغة السياسات العامة والخطط الوطنية طويلة الأجل. كما يتم تخصيص جلسات برلمانية لمناقشة هذه التقارير، مما يعزز دمج الفكر المستقبلي في التشريعات.

تركز تقارير فنلندا الاستشرافية على مجالات محورية مثل: التغير المناخي، التقدم التكنولوجي، التعليم المستقبلي، والصحة الرقمية. كما أن فنلندا تولي اهتمامًا خاصًا لتعليم الاستشراف في المدارس، حيث تدرس مفاهيم التفكير النقدي والمستقبلي في مراحل التعليم العام، لضمان بناء أجيال تمتلك رؤية استراتيجية بعيدة المدى.

سنغافورة: صناعة قرارات الدولة من قلب التفكير المستقبلي

أما سنغافورة، الدولة المدينة الصغيرة ذات الموارد المحدودة، فقد أدركت منذ عقود أن موقعها الجغرافي وحجمها يفرضان عليها الاعتماد على التخطيط طويل الأجل والتفكير الاستشرافي لضمان البقاء والتفوق. أنشأت سنغافورة مركز الاستشراف الاستراتيجي (Centre for Strategic Futures)، وهو وحدة تابعة مباشرة لمكتب رئيس الوزراء. يتمثل دور المركز في مراقبة المتغيرات العالمية، وبناء سيناريوهات مستقبلية، وتحليل المخاطر والفرص غير المرئية. ويُعتبر المركز الذراع الفكرية للحكومة في التعامل مع التحديات بعيدة المدى. واحدة من أبرز ممارسات هذا المركز أنه يخصص جزءاً من جهوده لما يعرف بـ «الاحتمالات السوداء – (Black Swans) أي الأحداث غير المتوقعة ذات الأثر العميق – ويجري تدريبات داخلية للمسؤولين الحكوميين على كيفية التفكير في «ماذا لو...» بخصوص قضايا مثل تغير المناخ، الانهيارات الاقتصادية، أو التطورات الجيوسياسية المفاجئة.

كما تعتمد سنغافورة على أدوات رقمية وتحليلات بيانات ضخمة لرصد «الإشارات الضعيفة» التي قد تتحول لاحقاً إلى اتجاهات قوية، وهو ما يمكّنها من اتخاذ قرارات استباقية قبل ظهور الأزمات.

التحديات التي تواجه الدول النامية في تطبيق الاستشراف

رغم الأهمية المتزايدة لاستشراف المستقبل كأداة استراتيجية في التخطيط وصنع القرار، إلا أن تطبيقه في الدول النامية يواجه عدداً من التحديات البنيوية والمنهجية التي تعيق فاعليته واستدامته. من أبرز هذه التحديات ضعف الوعي المؤسسي بأهمية التفكير المستقبلي، حيث لا يزال ينظر إليه في كثير من المؤسسات كترف فكري أو نشاط ثانوي لا يمثل أولوية. كما يعد غياب البيانات الدقيقة والمحدثة عائقاً كبيراً أمام تحليل الاتجاهات واستقراء السيناريوهات بشكل علمي.

وتعاني هذه الدول أيضاً من نقص الكفاءات والخبرات المتخصصة في مجالات الاستشراف وتحليل المستقبل، وهو ما يضعف من قدرة المؤسسات على استخدام الأدوات والمنهجيات الحديثة بشكل فعّال. وإلى جانب ذلك، فإن الطابع البيروقراطي السائد في العديد من الإدارات الحكومية يقاوم التغيير، ويفضل النماذج التقليدية للتخطيط القصير المدى على حساب التفكير المرن والمستقبلي.

كما أن ضعف التنسيق والتكامل بين القطاعات الحكومية والجامعات والقطاع الخاص، يقلل من فعالية الجهود المبذولة في هذا المجال، ويعرقل تبادل المعرفة والخبرات الضرورية لبناء رؤية وطنية شاملة للمستقبل. ولمواجهة هذه التحديات، لا بد من تبني مقاربة متكاملة تعزز ثقافة الاستشراف، وتستثمر في بناء القدرات، وتكرس التفكير طويل الأجل في جميع مفاصل الدولة.

استشراف المستقبل في السودان: ضرورة وطنية لا ترف فكري

بالنسبة لوطننا الحبيب السودان– وبعد انقشاع الغمة الحالية بمشيئة الله– تتضاعف أهمية استشراف المستقبل نتيجة التحديات المتراكمة والمتداخلة التي تواجه الدولة على مختلف الأصعدة. فمع ما يشهده السودان من تحولات سياسية واقتصادية ومجتمعية، يصبح من الضروري امتلاك أدوات علمية تساعد في رسم خارطة طريق مستقبلية واقعية ومرنة. إذ أن القضايا المتعلقة بالتنمية، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وإصلاح التعليم، وتحقيق الأمن الغذائي، كلها تحتاج إلى رؤية استشرافية طويلة المدى تأخذ في الحسبان السياق المحلي والتغيرات الإقليمية والدولية.

كما أن استشراف المستقبل يوفر إطاراً حيوياً لبناء السياسات العامة، وتوجيه الموارد، وتعزيز دور الجامعات ومراكز البحث في صنع القرار الوطني. ويعتبر تأسيس وحدات أو مراكز وطنية للاستشراف خطوة بالغة الأهمية لتمكين السودان من مواجهة المخاطر المستقبلية والاستعداد للفرص القادمة. ويمثل إدماج الاستشراف في مؤسسات الدولة والجامعات والمجتمع المدني بداية حقيقية لبناء سودان الغد على أسس معرفية واستباقية.

توصيات لصناع القرار في السودان

لضمان استدامة جهود استشراف المستقبل في السودان، يمكن تبني عدد من التوصيات العملية، منها:

١. تأسيس مجلس وطني للاستشراف بإرادة وادارة وطنية خالصة بعضوية ممثلين من الوزارات، الجامعات، القطاع الخاص، والجهات ذات الصلة.

٢. إدماج وحدات الاستشراف في الوزارات الكبرى (التعليم، الاقتصاد، الصحة، التخطيط).

٣. تمويل بحوث علمية تطبيقية في مجالات الاستشراف والسياسات العامة.

٤. إدخال مساقات دراسية حول التفكير المستقبلي في الجامعات السودانية وادماج الأنظمة الذكية في هذه المساقات بمختلف الكليات لتغيير النمط التقليدي للطالب الخريج من الجامعات السودانية.

٥. تطوير قاعدة بيانات وطنية للاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية.

٦. تعزيز التعاون مع المنظمات الدولية ومراكز الاستشراف العالمية.

نحو بناء مستقبل أكثر استعداداً

إن تبني ثقافة استشراف المستقبل في مؤسسات الدولة السودانية، وفي مؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني، يُعد استثماراً في الوعي الجماعي. فالمجتمعات التي تستشرف مستقبلها لا تترك مصيرها للصدفة أو للتفاعلات اللحظية، بل تصنع طريقها نحو التقدم بحكمة ورؤية. ومن هنا، يجب أن تبدأ الجامعات والمراكز البحثية في السودان بتضمين مناهج تعليمية حول الاستشراف، وتشجيع البحوث التطبيقية التي تدمج هذا الفكر في السياسات العامة والخطط التنموية. ويعتبر إطلاق مبادرات وطنية في هذا المجال خطوة ضرورية لبناء دولة قوية، ومرنة، وقادرة على مواكبة التحولات العالمية بثقة وكفاءة.

في ظل هذه المعطيات، فإن نشر ثقافة استشراف المستقبل وتمكين الكوادر الوطنية في هذا المجال لا يعتبر مسألة اختيار بقدر ما هو ضرورة استراتيجية تضع السودان في مسار البناء والاستدامة، وتعيد تعريف العلاقة بين الدولة والمجتمع من منطق «الاستجابة للأزمات» إلى منطق «الجاهزية الاستباقية» و«التحكم الذكي بالمصير».

* اختصاصي تحليل بيانات وخبير إحصاء – عضو هيئة تدريس بالجامعة العربية المفتوحة بدولة الكويت.

VOICE of sudanese community
السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

الفاتح عروة .. رحيل الساموراي

مايو 1950 م - أبريل 2025

كتب - صالح محمد علي

رُبَّ شمسٍ غرُبت والبدرُ عنها يُخبر
وزهورٍ قد تلاشت وهي في العطر تعيش
نحن أكفاءٌ لما حَلَّ بنا بل أكبر
تاجُنا الأبقى وتَنْدَكُّ العُرُوشْ
ولِمن ولَّى جميلٌ يُؤْثَرْ
ولِمن ولَّى حديثٌ يُذْكَرْ

(صلاح أحمد إبراهيم)

لم أجد أصدق من قصيدة الشاعر صلاح أحمد إبراهيم (نحن والردى) تعبيراً عن حياة وممات الفريق (طيّار) الفاتح عروة، ولا عنواناً أنسب لهذه المقالة من رحيل الساموراي (المحارب من أجل الواجب في الثقافة والتاريخ الياباني) وتتقاصر الكلمات. وقد هزنا نبأ رحيله في الإحاطة بجزء بسيط من حياته وكفاحه ومجاهداته ولكن قيد الإحسان وحق السودانيين في معرفة سيرة ومسيرة هذا الرجل، الذي بذل أكثر من نصف قرن لخدمة بلده، تدفعني لتسطير بعضاً مما نعرفه عنه، ولعل الكثيرين من زملائه وأصدقائه وتلاميذه بمقدورهم إظهار ما عرفوه عنه بأكثر مني وأنا أسطر هذه الكلمات في عجالة متأثراً بهول الفاجعة ومرارة الفقد، وأحاول أن أركز على المبادئ والمعاني التي نذر لها الفقيد عمره.

١. النشأة والتكوين

ولد الفاتح عروة في ١٠/مايو ١٩٥٠م في بيت إرتبط بالجندية، فوالده اللواء محمد أحمد عروة د م في قوة دفاع السودان إبان الحرب العالمية الثانية، وقاتل في كَرَن وأختير عضواً في المجلس العسكري بقيادة الفريق إبراهيم عبود (١٩٥٨م - ١٩٦٤م) وتقلد إبان تلك الفترة وزارتي الداخلية والتجارة والتموين، ووالدته أسماء هي ابنة (الأميرلاي) محمد الحسن عثمان العمدة الذي كان باوراً للرئيس إسماعيل الأزهري , وهو سليل أسرة توارثت عمودية ناحية الحلفاية وشمال بحري. درس بمدارس الخرطوم بحري ومدرسة الخرطوم القديمة الثانوية، ثم بحري الثانوية وإلتحق بكلية الإقتصاد والعلوم الإجتماعية بجامعة الخرطوم (١٩٦٨م) ثم آثر الإنضمام للقوات المسلحة وتخرج ضمن ضباط الدفعة (٢٢) في العام ١٩٧٠م .

وعمل ببورتسودان وجنوب السودان (المنطقة الإستوائية) ومعلماً بالكلية الحربية السودانية قبل أن ينضم لجهاز الأمن في العام ١٩٧٦م وبرزت في تلك الفترة ملكاته وشغفه ونبوغه في العمل الأمني، فأختير ملحقاً أمنياً بموسكو عاصمة الاتحاد السوفيتي في فترة شهدت أوج الحرب الباردة والصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي، وتمكن في وقت وجيز من ترتيب عمل الملحقية الأمنية، وعلى الرغم من أن العمل بمحطة مثل موسكو، كان حُلماً للكثيرين ويدرعائداً مادياً غير قليل ولكنه فاجأ قيادة جهاز الأمن بطلب نقله لأنه رأي أنه عمل كل ما بإستطاعته ولم يكن هناك داعي لإستمراره في هذه المحطة، فتم نقله إلى محطة أديس أبابا في ١٩٨٠ م إبان ذروة العداء بين السودان ونظام الرئيس الإثيوبي منقستو هايلي ماريام وسبب وجوده هناك صُداعاً لجهاز الأمن الإثيوبي الذي كان يراقبه على مدار اليوم، ولم يمنعه ذلك بما عُرف عنه من ذكاء وتحدي من إختراق المؤسسات الأمنية والعسكرية الإثيوبية، وكانت خُططه وأدائه وتقاريره مَثار إعجاب رئاسة جهاز الأمن السوداني، ومُنِح في تلك الفترة وسام الشجاعة من الرئيس جعفر نميري تقديراً لدوره في التنسيق وإنجاح واحدة من أميز وأخطر العمليات، وهي إطلاق سراح المختطفين الغربيين (بجبل بوما)عند بداية التمرد في جنوب السودان (يوليو ١٩٨٣م).

وعندما ضاق نظام منقستو ذَرْعاً بتحركات وإختراقات الفاتح عروة، لم يجد بُداً من إعتباره دبلوماسياً غير مرغوبٌ فيه، فعاد إلى السودان في العام ١٩٨٤م ليصبح مسؤولاً عن التنسيق مع المعارضه الليبيه لنظم معمر القذافي و انجز عمليات جريئه بالاضافه لإشرافه على ملف القرن الافريقي، وقد شهدت تلك الفترة قضية نقل اللاجئين الإثيوبيين (الفلاشا) من معسكرات اللجوء بشرق السودان إلى أوروبا، ومن ثم إلى إسرائيل، وعندما سقط نظام جعفر نميري كان الفاتح عروة في إجازة من جهاز الأمن وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الطيران، فقرر العودة طوعاً إلى السودان والخضوع للمحاكمة، ولم يثنه عن ذلك الأجواء المشحونة ضد نظام نميري وقتها، كانت دفوعاته التي شهدها الجميع عبر بث جلسات المحاكمة أنه (ضابط يؤدي الواجب الذي تطلبه منه قيادته) وأبرزت تلك المحاكمة الفاتح عروة للرأي العام الذي كان متابعاً بشغف لجلسات المحاكمة، ومالم يكن معروفاً حينها، أنه اصر أن لا يُسأل أو يُحاكم معه أي من الضباط والجنود الذين كانوا تحت إمرته متحملاً مسؤليتة.

في العام ١٩٨٥م غادر عروة إلى المملكة العربية السعودية ليعمل مع الأمير تركي الفيصل مدير المخابرات السعودية هو واللواء أمن عثمان السيد مدير الأمن الخارجي وقتها، كمستشارين لشؤون القرن الإفريقي، وظل بالمملكة حتى العام ١٩٨٩م وحينها توطدت علاقاته بحركات الثورة في إثيوبيا وإرتريا والصومال. وفي سبتمبر من العام ١٩٨٩م عاد إلى السودان بطلب من حكومة الإنقاذ وعُين وزيراً للدولة بالقصر الجمهوري مستشاراً للأمن القومي (١٩٨٩م - ١٩٩٥م) ثم وزير دولة بوزارة الدفاع ١٩٩٥م - ١٩٩٦م).

٢. في القرن الأفريقي

في تلك الفترة التي شهدت تقاطعات في بنية حكومة الإنقاذ وتحديات في علاقاتها الخارجية، إنشغل الفاتح عروة بملفي الأمن الخارجي والعمل العسكري، وكان لمجهوده ومعرفته بالقرن الإفريقي دوراً كبيراً ونال القدح المُعلى في إبعاد خطر وتآمر نظام منقستو هايلي ميريام على السودان، وانتهى بسقوط النظام الإثيوبي وإنتصار جبهة تحريرالتقراي (T.P.L.F) والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا ((E.P.L.F) وتسلمهما للحكم في كل من أديس أبابا وأسمرا.

وفي مايو عام ١٩٩١، نسق الفاتح بعلاقاته السابقة زحف الحركتين في إنتصارهما بدعم كامل من السودان، وقاد بنفسه طائرة صغيرة مستصحباً صديقه ملس زيناوي في رحلة محفوفة بالمخاطر من الخرطوم إلى أديس أبابا، حيث تعطل أحد محركي الطائرة قبل دخول الحدود الإثيوبيه و لكنها حبطت بسلام وظل على علاقة وثيقة مع القيادة الجديدة خصوصاً في إثيوبيا مما قاد لأن تكون تلك الفترة هي الأمثل في علاقة البلدين، وعمل في تلك الفترة لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع جمهورية إفريقيا الوسطى وتوطيد العلاقة مع جنوب إفريقيا وهي تشهد مرحلة الخروج من نظام الفصل العنصري، لم تخلو تلك الفترة من تقاطعات كثيرة داخل بيت الإنقاذ واختلافات في الرؤى وجرّ عليه صدعه بما يراه وعدم خشيته من مراكز القوى داخل الحكم الكثير من الضرر، وكان على الدوام ناصحا بقوة ومقاتلاً من أجل محاربة الفساد وضد الظلم، ومقدماً للحلول ومبادراً لما يرى فيه مصلحة للبلاد والعباد وتجاوز بعلاقته القوية وثقة القيادة الإثيوبية فيه والسفير السوداني في إثيوبيا عثمان السيد الكثير من المطبات، وجنب علاقة البلدين الصدام الذي كان حتمياً عند وقوع محاولة إغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في يوليو ١٩٩٥م.

شكلت ملحمة صيف العبور في العام ١٩٩١م ميداناً آخر للفاتح عروة الذي عاد إلى القوات المسلحة برتبة العميد حيث نفذ بجرأة أولى العمليات وفق خطة عسكرية فاجأت حركة التمرد في جنوب السودان بتحرير مدينة (فشلا)عبرعملية معقدة قادها بنفسه بمساعدة أصدقائه الحكام الجدد في أديس أبابا، وواصل لأربعة أعوام عمل يومي برفقة العقيد إبراهيم شمس الدين واللواء محمد مصطفى الدابي في قيادة عمليات الجيش بكل محاورالقتال في الجنوب، وكان يقود بنفسه الطائرة المروحية المقاتلة (هيليكوبتر) و هو أول من أطلق عليها إسم (أبابيل) عند دخولها لأول مرة في العمليات العسكرية البرية في حرب الجنوب، وهو أول من أدخل أنظمة تحديد المواقع (GPS) وزود بها متحركات الجيش في عمليات صيف العبور.

كانت حركة التمرد تحاصر (جوبا) كبرى مدن الجنوب وتقصفها بالمدفعية صباحاً ومساءً ، وكثيراً ما عطلت حركة الملاحة بمطار جوبا الذي كان بمثابة شريان الحياة لمواطن جوبا ولمتحركات القوات المسلحة في عموم الجنوب، رغم كل ذلك واصل رحلاته شبه اليومية إلى جوبا وبقية مدن وحاميات الجنوب مشرفاً على العمليات ، يؤمن المؤن والإمداد ويجلي الجرحى بالطائرة التي يقودها بنفسه والتي كثيراً ما تعرّضت للإستهداف بمناطق العمليات وأثناء سير المعارك.

٣. في الأمم المتحدة

في أغسطس من العام ١٩٩٦م دفعت حكومة الإنقاذ بالفاتح عروة مندوباً للسودان في الأمم المتحدة بنيويورك ، في خضم العلاقات الدبلوماسية المتوترة مع أمريكا التي كانت قد رفضت قبوله سفيراً لديها بوشنطون في أعقاب إعدام الحكومة السودانية لموظف المعونة الأمريكية (تومبي) الذي أتهم بالتجسس لصالح حركة التمرد، وظل الفاتح يشغل مقعد مندوب السودان بالأمم المتحدة لما يقارب عقداً كاملاً من الزمان حتي ٢٠٠٦ م وهي أطول فترة لمندوب سوداني بالأمم المتحدة، كانت فترة طويلة ولكنها مليئة بالتحديات في ظل ظروف حرجة ومعقدة، لبلد يعيش في حالة حصار إقتصادي شبه تام، برزت فيها شخصيته الفريدة ومقدراته العالية ومزجَ فيها بين صون العلاقات مع عدد من الدول الصديقة للسودان خارج المنظومة الغربية، وإتقانه الإفلات من المطبات الدبلوماسية، بل تمكن في إحداها من الحصول على عضوية للسودان بمجلس حقوق الإنسان في عز إتهام الدول الغربية للحكومة السودانية بكل موبقات وإنتهاكات حقوق الإنسان !! وتلك قصة تستحق لمن عايشها من الدبلوماسيين السودانيين روايتها للأجيال.

في واحدة من الصدامات المشهورة مع الإدارة الأمريكية كانت شكوى السودان ضد أمريكا لقصفها مصنع الشفاء، طلبته قناة الـCNN للقاء تلفزيوني حول الشكوى كان رده:- أقبل الحضور للأستديو أذا كان الحوار مباشراً غير ذلك فلا، واستجابت القناة وكانت مقابلة لافتة تحدث فيها بقوة وبلغة رصينة. وفي هذه القضية أيضاً وبعد حين وفي إطار الحوار مع الإدارة الأمريكية طالبته وزارة الخارجية السودانية بسحب الشكوى ضد أمريكا بخصوص مصنع الشفاء فكان رده (ارجعوني إلى لخرطوم أولاً وأحضروا من يسحب الشكوى، أما أنا فلا).

ولم يتوقف الفاتح عروة عن نسج وتطبيع العلاقات الدبلوماسية مع الدول المهمة مثل روسيا والصين وجنوب أفريقيا ومصر والجزائر وأثيوبيا، بل إمتدت علاقته لدول لم يكن أحد يأبه لها مثل (جزر القمر) وكان له علاقات وطيدة مع قياداتها، وقدّم لهم الكثير من المساعدات، وربطته علاقات متينة مع الكثير من مندوبي الدول الإفريقية الذين عاد الكثير منهم وزراء للخارجية ببلدانهم. إحتفى الفاتح بالجالية السودانية في نيويورك، وكسب ودهم وقدم عصارة خبرته وعلاقاته للوفود الحكومية المختلفة، التي كانت تحضر إجتماعات الأمم المتحدة المتخصصة في الإقتصاد والعمل الإنساني والقانون، وساعدته علاقته الوثيقة مع رئاسة وزارة الخارجية ورئاسة الجمهورية في تجاوز الكثير من الإجراءات البيروقراطية، وفي تعديل الكثير من القرارات المؤثرة بما توفر له من حُجة وإقناع وقوة شخصية

في شهادة ذات دلالة حكى لي الإداري السابق في البعثة بنيويورك بابكر الجنيد - أطال الله عمره - أن السفير والسياسي المعروف المرحوم أحمد سليمان كان غاضباً عندما جرى نقله من بعثة السودان في الأمم المتحدة إلى السفارة بواشنطون , ولكنه هاتف الجنيد بعد تعيين الفاتح عروة قائلاً:. (يا جنيد علي بالطلاق الآن جاكم ود الرجال الأحسن مني).

٤. شركة زين للإتصالات

في العام ٢٠٠٦ م وبعد أن بدأ يتشكل وضع جديد في السودان بإتفاقية نيفاشا، تقدّم الفاتح عروة بإستقالته وأصر عليها إصراراً شديداً، وعاد إلى الخرطوم ليؤسس مركزاً للدراسات الإستراتيجية وسرعان ما إستقطبته مجموعة زين للإتصالات في العام ٢٠٠٨ م عضواً منتدباً ورئيساً تنفيذياً لشركتها بالسودان، ثم رئيساً تنفيذياً للمجموعة بإفريقيا مستفيدة من خبرته وتجاربه وعلاقاته الداخلية والأفريقية.

إلى سعادة الأب والأخ الزميل الفريق طيار/ الفاتح عروة بهذا نشهد أنك قد كنت فينا وسوف تظل القدوة، الأسوة،الحكمة، القوة، قائد أخو بأس.. نبراسٌ ودليل ، نشكرك على كل شيء.. وتأكد من حُبنا لك لوجه الله تعالى

لا غرو إن كانت هوايته قادته لإتقان الطيران والحصول على رخصة طيار، فإن ذكاءه الوقّاد وحبه للتحديات وحنكته الإدارية، شكلت عوامل نجاحه في قيادة شركة زين السودان ولعل البعض يتساءل ما علاقة الدبلوماسية والجندية بالإتصالات؟ وما درى هؤلاء بأنه شغوف بالتكنولوجيا منذ بواكير ثورتها، كيف لا وهو كان من قلائل السودانيون الذين يمتلكون جهاز كمبيوتر منذ ثمانينيات القرن الماضي. كان شعاره الجملة التي كثيراً ما رددها (نحن مؤتمنون على أموال المساهمين الكويتيين وحريصون في ذات الوقت على مصالح بلدنا السودان) فتجلت في قيادته لزين ملكاته ومهاراته وخبراته الإستثنائية، لم يكن مديراً فحسب لكنه كان قائداً بمعنى الكلمة في التخطيط والإدارة والمعاملة. كان حازماً وإنسانياً في ذات الوقت، وضوح في الهدف وبراعة في التنفيذ، كان مكتبه مفتوحاً لكل الموظفين ووضع من الأسس والقواعد، ما تفخر به زين، كانت فترته التي إستمرت ١٧ عاماً مليئة بالتحديات والإنجازات، يكفي أنه تولى قيادة الشركة وهي تملك ٣٠٠ محطة إتصال (برج) وعدد مشتركيها في حدود مليون مشترك وهي الآن لديها قرابة ٣٠٠٠ ألف محطة إتصال وقرابة ١٥ مليون مشترك وظل حفياً بالمواهب والكفاءات السودانية من الشباب العامل بالشركة، دعمهم وآمن بقدراتهم وتمكن من أن يجعلهم يتولون كل وظائف الشركة بنسبة ٩٩,٩٪ ويكاد يكون لكل واحد منهم قصته وعلاقته الشخصية معه، حتى فاجأوه ذات صباح من عام ٢٠١٨ بتنظيم احتفال بمدخل الشركة دون علمه، تكريماً له وسطر على خلفية الاحتفال هذه الكلمات:

(إلى سعادة الأب والأخ الزميل الفريق طيار/ الفاتح عروة بهذا نشهد أنك قد كنت فينا وسوف تظل القدوة، الأسوة،الحكمة، القوة، قائد أخو بأس.. نبراسٌ ودليل ، نشكرك على كل شيء.. وتأكد من حُبنا لك لوجه الله تعالى.

موظفو زين السودان

قال لهم وقتها "طوال عمري هذا لم أحني رأسي لأحد في كل المواقف التي واجهتني، ولكني سوف أفعل ذلك الآن أمام موقفكم هذا" ثم انحنى تقديراً لهم وهو يزرف الدموع.

مع إهتمامه الفائق بتجويد خدمة الإتصالات وتوسيع الشبكة لم يتوان في دعم المشاريع المجتمعية للشركة، وكان يشرف ويتابع وأحياناً يزور ويفتتح مثل هذه المشاريع من سيارات لإسعاف المرضى الرُحّل بدارفور إلى آبار المياه الجوفية في سنكات إلى مشروع مياه الجفيل بكردفان ومستشفى شركيلا للأمومة إلى داخليات مدرسة (فريق) بالسكوت في الشمالية، إلى مدرسة الحسين آدم بشرق الجزيرة وغيرها، كما كان حفياً بأنشطة جائزة الطيب صالح ومسابقة الأم المثالية ومهرجان البحر الأحمر السياحي وغيرها، من النشاطات التي تنفذها زين تحت قيادته. عرفه موظفو الشركة أول من يصل إلى المكتب وآخر من يغادر مساءً، يتجوّل بينهم في المكان، يتلطف معهم ويسأل عن أحوالهم وأسرهم.

حينما تدهور الوضع الأمني في جنوب السودان قاد طائرة زين و هبط في جوبا واجلى موظفي زين الاجانب و عاد بهم للخرطوم .. يمكننا أن نضرب عشرات الأمثلة لتعامله الأبوي ووفائه لموظفيه وحرصه على الوقوف بجانبهم ولكننا نكتفي بثلاث امثله أولهما من شركة زين: في المظاهرات التي إندلعت نهايه ٢٠١٨ , إعتقل جهاز الأمن موظفة من شركة زين بتهمة القيام بنشاط معادي للحكومة، وكان سعادة الفريق وقتها خارج السودان بمجرد عودته ذهب بنفسه لرئاسة جهاز الأمن والتقى بالموظفة وأوصل لها أغراضها الشخصية وطمأن أسرتها عليها وظل دائم السؤال عنها حتى أطلق سراحها .أما المثال الثاني فمن شركة زين جنوب السودان التي كان مشرفاً على إدارتها حيث اندلع نزاع مسلح بين اجنحة الحركة الشعبية الحاكمة في جوبا ٢٠١٣ و تدهور الوضع الامني بالمدينة و اصبحت عمليات إجلاء الاجانب محفوفة بالمخاطر فما كان منه الا ان قاد طائرة زين و هبط في جوبا واجلى موظفي زين الاجانب و عاد بهم للخرطوم. اما المثال الاخير فقد ربطته علاقة عمل رسمية بالسيد /عبد العزيز نور عُشر -أخ قائد حركة العدل والمساواة -الذي أعتقل في أعقاب هجوم الحركة على أم درمان، لم يتدخل سعادته في أمر الإعتقال أو المحاكمة ولكنه حرص على السماح له بزيارته وهو ماتحقق له بعد عدة محاولات، وفي كل الامثله كان دائما ما يعلي القيم الانسانيه و الوفاء لمنسوبيه.

٥. مع لجنة التمكين

في العام ٢٠١٩ وبعد التغيير السياسي الذي حدث في السودان، استهدفه موتورو ما يسمي بلجنة تفكيك التمكين ورغم أن المرض داهمه في تلك الفترة، إلا أن شخصيته القوية والمتحدية لم تترك له خياراً سوى مواجهة هذا الإستهداف الذى بدأ ضد زين بإتهامات ملفقة وتشويه سمعة خبيث، وطمع واضح في الإستيلاء على إدارة الشركة، ولما لم يجدوا منه إستجابة أداروا المعركة ضده هو شخصياً بإغلاق حساباته المصرفية وتجميد أرصدته وإصدار أوامر بالقبض عليه، ويبدو أن جهلهم بشخصيته وحقدهم الطائش، لم يمكنهم من تجنب هذه المعركة معه، ولم تفلح كل وسائلهم وأساليبهم في تراجعه وأصبح هو من يحاصرهم ويطاردهم بالقانون وفتح فيهم بلاغات بإشانة السمعة والكذب الضار وهم في أوج سلطتهم وكبريائهم المزيف، وفشلت كل مساعيهم للتسوية أو شطب البلاغ. وفي نهاية المطاف أنصفته المحاكم وأعادت إليه ممتلكاته المصادرة ورفعت الحظر عن حساباته وشطبت جميع البلاغات.

رغم كل ما عاناه شخصياً وما حاق بمؤسسته (زين) لم يحرّف ذلك بوصلته، بل ظل على تواصل مع المسؤولين في قمة الدولة، يمنحهم نصائحه وخبرته وعلاقاته وهو ما تضاعف بعد نشوب الحرب، فكان على تواصل غير منقطع مع رأس الدولة وأعضاء المجلس السيادي والوزراء الذين حرصوا على الإتصال به ومشاورته والأخذ بنصائحه، ولم يقتصر ذلك على المسؤولين بالقمة، بل كان على تواصل مع عدد كبير من القادة المدنيين والعسكريين، مهموماً بوطنه وأهله، يتابع بقلق مجريات الحرب ويسأل عن الشهداء والأسرى ويعزي أسر الراحلين.

ظلت كل مواقفه طوال نصف قرن تتسق مع وصفه لنفسه أنه (ليس سياسي بل مهني مُسيّس)

هو هكذا في كل مجال عمل به بالقوات المسلحة أو الأمن أو الخارجية أو شركة زين منذ أن عرفته قبل ٣٥ عاماً، طاقة لا تنفذ وحرص على الإنجاز وسباق مع الزمن , كان صاحب رسالة وذو همة عالية لا تعرف المستحيل أو اليأس، يتجلى عند التحديات والمحن مقاتلاً بالسلاح جندياً وبالكلمة دبلوماسياً وبالرأي والفكر والتخطيط إدارياً واقتصادياً، ثبات على المواقف وشجاعة في إبداء الرأي وإعمال العقل وهو ما قاده للنجاح رغم تقاطعات العلاقات الدولية والأوضاع الإقليمية والسياسة الداخلية .

٦. معركته الأخيرة

خاض معركته الأخيرة في الحياة مع المرض الذي داهمه في نوفمبر ٢٠١٩ وظل لخمس سنوات ونصف كما هو الفاتح عروة الذي عرفه الجميع، شجاعة تفوق الوصف في مواجهة الموت وسماحة مدهشة في التصافي والسمو، لم يكن غريباً أن يخرج ليعلن لأحبائه نبأ إصابته بالمرض ورضائه بالإبتلاء، بل زاد نشاطه وسعيه رغم آلام المرض القاسية، كان في سباق مع الزمن ليكمل رسالته ويؤدي الأمانة لبلده وأهله، ورغم تضاعف الأعياء وتعب الجسم، ظلت روحه كما هي مهمومة بالسودان وشعبه ويحرص حتى في أيامه الأخيرة على تواصل عمل الشركة واستمرار خدماتها، يسأل عن عودة الخدمة للمناطق المحررة ويطلب توصيل المساعدات لخلاوى (ود الفادني) بالجزيرة ويحمس ابنائه موظفي زين بتجويد الأداء.

سمى ابنه البكر على معتقل سياسي في السبعينيات، كان مقتنعاً ببراءته من التهمة التي أعتقل بسببها، وعمل على إطلاق سراحه ..

رحم الله أبا المجتبى ابنه البكر ولهذا الإسم قصة ذات دلالة، فقد سماه على معتقل سياسي في السبعينيات من القرن الماضي في أيام عمله بجهاز الأمن كان مقتنعاً ببراءته من التهمة التي أعتقل بسببها، وعمل على إطلاق سراحه وعندما رُزق بأول مولود له، سماه محمد المجتبى، ولم يلتق بعدها بهذا المعتقل ولا يعرف عنه سوى أنه من ابناء منطقة الجزيرة.

لم ينس أن يسجل تجربته وسيرته في حلقات متعددة على اليوتيوب بعنوان (الساموراي) وسجل حلقة كاملة لقناة الجزيرة الفضائية (الجزيرة بودكاست) استمرت لخمس ساعات جذبت ملايين المشاهدين ، ومع ذلك فإن الكثير من أعماله وانجازاته المهنية والوطنية لم تعرف بعد , وندعو الله أن يتيسر إبرازها لتعلم الأجيال تجاربه ومبادئه المثلى.

في غدٍ يعرفُ عنا القادمون
أيَّ حب قد حملناه لهم
في غدٍ يحسبُ فيهم حاسبون
كم أيادٍ أسلفت منا لهم
في غدٍ يحكون عن أتّانه
وعن الآلام في أبياتنه
وعن الجرح الذي غنى لهم
كل جرحٍ في حنايانا يهون حين يغدو مُلهما يُوحي لهم
جرحُنا دامٍ ونحن الصامتون حزننا جمٌّ ونحن الصابرون
فابطشي ما شئتِ فينا يا مَنون
كم فتًى في مكة يشبه حمزة؟

توفى (عابد) وهذا هو الإسم الحركي الذي إختاره لنفسه إبان عمله في أحد الأجهزة الأمنية، رحمه الله رحمة واسعة بأكثر مما أعطى وأنجز، رحل وبلده أحوج ما يكون لأمثاله من أصحاب الرأي السديد والشجاعة والجسارة والصبر، كان شهماً، كريماً، شجاعاً لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وفياً لكل من عرف، حريصاً على وصل رحمه، ترك بصمة في كل مكان وفي كل مجال عمل به , وإرثاً يستحق أن تستفيد منه الأجيال . نسأل الله أن يجعل البركة في ذريته وأهله وأن يغفر له ويتجاوز عن سيئاته، وأن يجعل مرضه وصبره عليه كفارة له من كل الذنوب. اللهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره وأرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه.

إنا لله وإنا إليه راجعون

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

إيجابياته اكتسبها من مدني.. وسلبياته بعده عنها

ابن الجزيرة فضل الله محمد يحفر اسمه في صحف الخرطوم

أهمية شاعرية فضل الله مصدرها أنه نموذج حي للشاعر المثابر الذي عكف على طبخته الشعرية الخاصة

سيرة زول

الزول السمح فات الكبار والقدرو

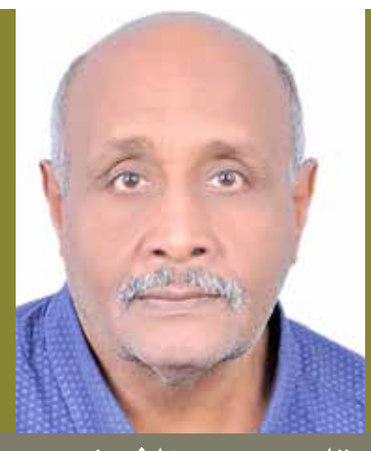

بقلم : محمد الشيخ حسين
mohed1618@gmail.com

● حين قلد رئيس الوزراء المصري إبراهيم محلب الراحل الأستاذ فضل الله محمد وسام الصحافة العربية ضمن كوكبة من الصحفيين المخضرمين الذين كانت لهم بصمات متميزة في الصحافة العربية خلال السنوات الخمسين الماضية، كانت أكثر من خمسين عاما قد مضت على فضل الله محمد الذي كان أول عهده بمهنة الصحافة حين كان طالبا في مدرسة ودمدني الأهلية المتوسطة، وكتب لأحد المواطنين من قرية الشريف يعقوب، رسالة عن ظلم تعرض له لتنشر في باب (وراء شكواك) في صحيفة السودان الجديد.

ورغم أن الرسالة نشرت باسم صاحب الشكوى، إلا أن ذلك أغرى فضل الله بإرسال مقالات إلى صحف الخرطوم، وهكذا حفر اسمه في صحف الخرطوم باسم فضل الله بن الجزيرة.

وسام الصحافة

أما حكاية وسام الصحافة العربية فقد كانت مبادرة كريمة من اتحاد الصحفيين السودانيين بقيادة الراحل الدكتور محي الدين تيتاوي، رشح فيها الأستاذ فضل الله محمد للتكريم كأحد الذين تركوا بصمة مميزة في تطوير الصحافة السودانية، لتكريمه ضمن رموز صحفية عربية في احتفال اتحاد الصحفيين العرب باليوبيل الذهبي.

وحسب إفادة الأستاذ صلاح عمر الشيخ الأمين العام تحاد الصحفيين لـ (سونا)، فإن (حفل تكريم الأستاذ فضل الله محمد كرمز من رموز الصحافة العربية كان مميزا من كل الاتحادات العربية، ووجد اهتماما كبيرا من قبل الدولة المصرية على رأسها قيادة المشير عبد الفتاح السيسى ورئيس الوزراء إبراهيم محلب الذي كرم رموز الصحافة العربية الذين أسهموا في تطويرها وخدمتها).

بوابة الجامعة

> الأكثر حضوراً في مخيلة شعراء الأغنية السودانية ولا غرو في ذلك فهو نتاج أصيل لتربة الجزيرة الخضراء أرض المحنة

بدأت رحلة فضل الله في العاصمة المثلثة من بوابة جامعة الخرطوم بعد قبوله طالبا في كلية القانون ضمن دفعة ضمت ٤٠ طالبا، تخرج منها ١٧ طالبا فقط وطغت في تلك الأيام وبعدها بصمة الشاعر على شخصية فضل الله، وأصبح الاسم الأكثر حضورا في مخيلة شعراء الأغنية السودانية. ولا غرو في ذلك فهو نتاج أصيل لتربة الجزيرة الخضراء أرض المحنة التي أرسل منها قبل نصف قرن من الزمان إلى (المسافر أشواقه الكثيرة). لذلك أصبحت قصائده مع ألحان الموسيقار الكبير باشكاتب الأغنية السودانية محمد الأمين أغنيات متجذرة في وجدان وطن وارف الظلال، وذات عباءة عاطفية طرزها بحرفنة شديدة ونبل جعلت ثمار أشجاره أكثر طزاجة، على الرغم من مرور العقود.

بصمة الشاعر

لعل أهمية شاعرية فضل الله كبعد أول في شخصيته مصدرها أنه نموذج حي للشاعر المثابر الذي عكف على طبخته الشعرية الخاصة بصبر وإناة غير ملتفت لطبيخ مائدة القصائد المغناة السائدة بكل فحول وأفذاذ القصيد. وفضل الله أيضا أكثر شعراء الأغنية السودانية قدرة على إثارة الدهشة عبر الجملة الشعرية القصيرة المتزنة، وعبر قيمة متحركة حميمة من قيم الوطن ونبضه، تكاد تراه في قصائده يتحرك على قدمين مثل عامل بسيط يحمل ألته داخله، وإن لم يحملها على كتفيه، ليملأ حياتنا بالبساطة والتفاؤل.

عمل فضل الله بعد تخرجه في الجامعة المحاماة لعام واحد ثم انتقل إلى ديوان النائب العام، وعمل فيه لعام آخر.

فضاء الصحافة

يستدعي المقام توضيح أن البعد الثاني في شخصية فضل الله محمد دارس القانون والممارس له لفترة قصيرة لم تستمر طويلا، إذ أن نجح شيخ الصحفيين الأستاذ محجوب محمد صالح في نقله من حوش النائب العام الضيق إلى فضاء الصحافة الرحيب نقلا نهائيا إلى مهنة النكد. وهكذا توزعت بصمة فضل الله محمد بين الصحافة والقانون والشعر.

فيما يلي البعد الثالث في شخصية فضل الصحافي تجده يردد دائما أنه تلميذ للأستاذ محجوب محمد صالح، حيث كانت خطواته الأولى في دار الأيام التي كان يشرف عليها الأستاذ محجوب محمد صالح، وعمل معه في مجلة الحياة. وهكذا تجد فضل الله كثير الامتنان لتجربه تتلمذه وعمله مع الأستاذ محجوب محمد صالح كأحد الذين أثروا في حياته.

صراع ومواجهات

أما فضل الله محمد الصحافي، فإن المسافات في هذه المهنة الرسالة عنده لا تقف عند حدود نقل الخبر أو كتابة المقال أو غير ذلك من أساليب المهنة الرائدة. الراجح عند فضل الله ـ والرجل أستاذي ـ أن الصحافة عندما تدخل في صراع الأحداث ومواجهات السياسة تصبح من صناع التاريخ، حيث لا تقف عند مستوى المشاهدة بل تكون جزءا من مسيرة الأوضاع، وتلك خاصية تنقل مكانة الصحافي إلى أستاذية المؤرخ الذي شارك وكتب وأصبح مرحلة من الزمن لا يمكن تجاوزها عند مراجعة سجل العلاقة بين الصحافة والتاريخ.

الشاعر والصحافي

غير أن فضل الله الشاعر يطغى على فضل الله الصحافي، والشاهد أن كتاباته ليست مجرد حروف سوداء تتلاصق مع بعضها، بل هي كائنات تصرخ، وتغرد، وترعد، دون أن تفتح فمها.

وهنا لا يخلو الأمر من مفارقة، إذ يبدو لي أن فضل الله محمد الصحفي قد قتل فضل الله محمد الشاعر عمدا مع سبق الإصرار على قفل ملف الشعر بالضبة والمفتاح، وربما يتهكم من سذاجتك إذا رددت أمامه (كل دقيقة وأنت مافي مرة ما بنقدر نطيقا).

من يريد أن يبحث في بصمة فضل الله الصحفي فعليه مراجعة عموده اليومي (الخرطوم اليوم)، فالعمود محاولة للجمع بين الافتتاحية اليومية للصحيفة والرأي من منظور شخصي للكاتب.

وأرجو أن مصيبا حين أشير إلى أن الذي فرض هذا الشكل من الافتتاحية هو أن صحيفة الخرطوم في عهد إصدارها الأول منتصف ثمانينيات القرن الماضي، كانت تضم أكثر من تيار وطني، فسارت سياسة التحرير في اتجاه أن لا تلزم كل التيارات برأي موحد وأن نعبر عن آراء مختلفة في أعمدة مختلفة.

قمع النجومية

من يريد أن يتعمق في تأثير فضل الله محمد في الصحافة السودانية، عليه أن يتقصى سيرة تلاميذه الذين أصبحوا أصدقائه وهم كثر ونجوما بارزة في الصحافة السودانية والعربية والدولية، لأن الدرس الأول الذي يلقنه لك فضل الله أن يقمع الصحافي غريزته الفطرية إلى النجومية، ويروِّض نفسه على أن مهمته أن ينقل للآخرين الأحداث والوقائع، وليس إخبارهم عن نفسه وطموحاته وآرائه.

> فضل الله الصحافي تجده يردد دائما أنه تلميذ للأستاذ محجوب محمد صالح حيث كانت خطواته الأولى في دار الأيام

وكان الدرس الثاني الذي يقدمه فضل الله أن كل المحاولات التي يبذلها الصحافي في الكتابة هي في طريق المساعدة في بناء الوطن. وكلمة السر عند فضل الله هي الجدوى، إذ لا خير في كتابة لا جدوى من ورائها، ولذلك كان يهتم بتأكيد أن يقدم الصحافي بقدر المستطاع بدائل عندما ينتقد الأوضاع، وأن يرتبط برؤية إستراتيجية وأن لا يشغل نفسه بمسائل ذاتية

عالمه وعصره

فضل الله محمد صحفي يتمنى أن يظل موصولا بعالمه وعصره قدر ما يتسع له الجهد والعمر. وقد تعجز عن وصفه، ولكنه يقول لك بكل تواضع إنه صورة حية للمواطن السوداني، الذي كد وكدح وصنع لنفسه مدارا يتحرك فيه، وينتصر لعقله وأفكاره.

ومع ذلك يصر أن فضل الله محمد واحدا من غمار الناس يحاول أن يكون مفيدا لأسرته ولمهنته ولمجتمعه والحكم في ذلك متروك للناس طبعا.

ويمضي فضل الله محمد زهاء خمسين عاما في دهاليز وبلاط صاحبة الجلالة يلبس عراقي وسروال الحياة السودانية ويعمل مع عمالقة الصحافة، وكل همه أن تكون الصحيفة التي يعمل فيها ناجحة من جهة الأداء المهني والتوزيع والتأثير في المجتمع.

أما الكتاب الذي لا يمل فضل الله محمد قراءته فهو المصحف الشريف، فهو المرجع المستدام عنده سواء بدوافع التعبد أو بدوافع التعلم والتبحر في اللغة والمعاني. وتجده كذلك تجده كثير الحرص على أن يكون ديوان المتنبي موجودا في متناول يده.

وقبل فترة طويلة حدثني بحسرة عن فقدانه طبعة بيروتية لديوان المتنبي في ورق مصقول وحروف بارزة، اتمنى أن يكون قد عثر عليها.

مدني السني

نسمات النيل الأزرق صيفية والأرض على ضفتيه عند مدينة مدني تكتسي باللون الأخضر أو الداكن الزرقة والبني المتدرج أو الأصفر، وحنين فضل الله محمد إلى مدني لا ينقطع، ويعبر عن هذا الحنين بلغة القانوني الذي لا يعرف الكلام المرسل ليقرر في لقاء إذاعي مع كاتب هذا المقال بثته (إذاعة القوات المسلحة):

(إذا كنت قد اكتسبت أي مزايا إيجابية، فالفضل فيها يرجع إلى بيئة ود مدني. وإذا كانت هناك سلبيات تكتنف مسلكي، فالسبب في ذلك ابتعادي عن ود مدني).

أجيال الخيبات

مع ذلك لا تحسبن أن جيل فضل الله محمد قد أعطي كل الفرص، بل على العكس قد يكون هو الجيل الذي نقش الحرف على الحجر لتستدل به الأجيال المقبلة وتقتفي أثره من دون أن تتبعه، ولكن لتجعله بوصلة لها.

ورغم كل ذلك أخشى أن أقول إن الصحفيين في السودان هم أجيال الخيبات الكبرى، فكثيرا ما حلمنا وحلمنا ثم حلمنا أكثر لنجد أنفسنا أمام واقع شديد القسوة لا يرحم الحالمين ولا يهوى سوى تكسير الأحلام وتحويلها إلى وهم. وكثير من أجيال الصحفيين تخلوا عن أحلامهم الكبرى والصغرى أو اكتفوا بما تمنحه الحياة. اكتفوا بالممكن فيما كان يحلمون بالمستحيل، كأن يكون الفضاء الحر أكثر من الهواء الخانق، أن يكون للصحافة مسافاتها التي تبعدها عن السلطة بدلا من أن تنام في حضنها أو في أحضان رأس المال الناشئ على دفن أحلام أجيال مقبلة من أبناء الوطن.

تقدير وعرفان

مقتضى الحال يستوجب أن ندون إشارة تفيد أن هذا المقال كان مجرد تلبية مقترح من أصدقاء وتلاميذ الراحل المقيم فضل الله محمد هم: بثينة عبد الرحمن حسن (سونا)، عثمان محمد علي نمر، فيصل محمد صالح، محمد محمود راجي، ومحمد الشيخ حسين، لإعداد كتاب مشترك يحكي قصة فضل الله محمد مع الصحافة السودانية ودوره العظيم أن يصل توزيعها اليومي مائة ألف نسخة، وهو عمل مازال ممكنا، بل يبث التفاؤل والحماس فضلا عن أنه مطلوب بشدة، ولولا خشيتي من (نقنقة سونا) لقلت أن ترتيب أسماء أصدقاء وتلاميذ الراحل فضل الله اقتضته القاعدة البرلمانية في الترتيب حسن السن.

وخير ختام أن نعيد على مسامع الصحافيين السودانيين بمختلف أعمارهم وأطيافهم سؤال الأستاذ محمد حسنين هيكل أحد المكرمين في رسالته لاتحاد الصحفيين العربية: كيف يمكن للمهنة وفي هذه الظروف أن تكون آخر ريشة في آخر جناح يقدر على الطيران في أجواء مضطربة، علها تكفر عن نصيبها من المسؤولية باكتشاف ممر مفتوح إلى مستقبل ممكن بدلا من مستقبل مستحيل؟

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

العثور على كتاب مغطى بجلد بشري في أحد المتاحف البريطانية

● عثر موظفو أحد المتاحف البريطانية على كتاب مغطى بجلد بشري، يُعتقد أنه يعود إلى ويليام كوردر، أحد أشهر القتلة في تاريخ البلاد، ومن المقرر أن يعرض على الجمهور داخل متحف «مويز هول» (Moyse's Hall) في مدينة بيري سانت إدموندز بمقاطعة سوفولك.

وأكد دان كلارك مسؤول التراث بالمتحف، أن الكتاب يتمتع بـ«قيمة تاريخية بالغة الأهمية»، مشيرًا إلى أنه لم يتلق أي شكوى بشأن عرض الكتاب الأول الذي وُضع سابقا ضمن مقتنيات المتحف منذ عام ١٩٣٣.

ويرتبط هذا الكتاب بجريمة «الحظيرة الحمراء» الشهيرة، التي وقعت عام ١٨٢٧ في قرية بولستيد، حيث أقدم ويليام كوردر على قتل ماريا مارتن بعد أن أوهمها بنيته الزواج منها والهرب سويًا إلى إبسويتش.

وقام كوردر بإطلاق النار على مارتن ودفن جثتها داخل الحظيرة، ليُقبض عليه لاحقا ويُعدم علنا في ١١ أغسطس ١٨٢٨.

وبعد وفاته، خضعت جثته للتشريح، واستُخدم جزء من جلده لتغليف كتاب يروي تفاصيل محاكمته.

ومؤخرًا، أثناء مراجعة فهرس مقتنيات المتحف، اكتشف المشرفون وجود كتاب ثان مغطى بجلد كوردر، تم التبرع به منذ عقود من قبل عائلة لها صلة وثيقة بالجرّاح الذي قام بتشريح جثته. الغريب أن الكتاب لم يكن محفوظا في مخازن المتحف، بل كان موضوعًا على رف في أحد المكاتب بجانب كتب أخرى بغلاف تقليدي.

وقال كلارك: «تُصنّف مثل هذه الحالات ضمن 'فقدان المتاحف'، أي المقتنيات التي تُفقد مؤقتا داخل أرشيفات المتاحف ولا يُعثر عليها إلا بعد مرور عقود».

وخلافا للكتاب الأول، يقتصر استخدام الجلد البشري في الكتاب الثاني على زوايا الغلاف فقط.

وتُعرف ممارسة تغليف الكتب بجلد بشري باسم «anthropodermic bibliopegy»، وهي ظاهرة ظهرت في القرن التاسع عشر غالبًا لعقاب المجرمين المعدومين أو كذكرى يحتفظ بها الأطباء.

في المقابل، وصف تيري ديري، مؤلف سلسلة «التاريخ المروّع» الشهيرة، هذه الكتب بأنها «قطع أثرية مثيرة للاشمئزاز»، داعيًا إلى حرقها. وأشار إلى أن كوردر أدين استنادًا إلى أدلة ظرفية فقط، مضيفًا أن تشريح الجثث بعد الإعدام كان يُعد عقوبة أكثر رعبًا من الإعدام نفسه.

وفي حين قررت جامعة هارفارد الأمريكية في مارس ٢٠٢٤ إزالة غلاف بشري من أحد كتبها لأسباب أخلاقية، أكدت إدارة متحف مويز هول أنها لن تتخذ الإجراء نفسه، وستواصل عرض الكتابين للجمهور.

وقال كلارك: «نرى بقايا بشرية في كل المتاحف تقريبًا. خلال الـ ١١ عامًا من عملي هنا، لم تصلني أي شكوى عن عرض الكتاب، بينما تلقينا اعتراضات على عرض قطط محنطة ضمن معرض عن السحر».

بريطانيا وفرنسا تبحثان إعادة المهاجرين غير الشرعيين

● تجري المملكة المتحدة محادثات مع فرنسا بشأن خطة تجريبية لإعادة المهاجرين غير الشرعيين الذين يعبرون القناة الإنجليزية على متن قوارب صغيرة، في خطوة تهدف إلى الحد من الهجرة غير النظامية وتعطيل شبكات تهريب البشر.

ووفقا لوزارة الداخلية الفرنسية، فإن الخطة تقوم على مبدأ «واحد مقابل واحد»، حيث تستقبل بريطانيا مهاجرين شرعيين في إطار لمّ شمل العائلات، مقابل إعادة مهاجرين غير مسجلين تمكنوا من الوصول إلى أراضيها انطلاقا من فرنسا. وتأتي هذه الخطوة في إطار مساع أوروبية أوسع لعقد اتفاقيات لإعادة المهاجرين بين دول الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة.

وأكدت وزيرة النقل البريطانية، ليليان غرينوود، أن الحكومة تجري بالفعل محادثات مع باريس بشأن الهجرة، لكنها رفضت التعليق على تفاصيل الاتفاق المرتقب، قائلة في تصريح لشبكة «سكاي نيوز»: «هناك مناقشات جارية لوقف هذه التجارة المروعة بالبشر عبر القناة الإنجليزية». وكانت صحيفة "فاينانشال تايمز" Financial Times أول من كشف عن هذه المحادثات، في وقت أشار فيه حزب المحافظين إلى أن إلغاء حزب العمال لاتفاق ترحيل طالبي اللجوء إلى رواندا أزال رادعا أساسيا للهجرة غير الشرعية.

من جانبه، قال كريس فيلب، وزير الداخلية في حكومة الظل، إن الخطة الجديدة «لن تنجح» بسبب محدودية أعداد المهاجرين الذين سيتم إعادتهم، مما قد لا يحقق الأثر الرادع المطلوب.

وصرّح بيتر والش، الباحث في مرصد الهجرة، لهيئة «بي بي سي» BBC أن نجاح الخطة يتوقف على أعداد المهاجرين الذين ستتم إعادتهم فعليا، موضحا أن الأمل يكمن في أن تؤدي إعادة أعداد كافية إلى ردع من يخططون لعبور القناة بشكل غير قانوني.

وفي عام ٢٠٢٣، أبرمت الحكومة البريطانية السابقة اتفاقا مع فرنسا ينص على تقديم نحو ٥٠٠ مليون جنيه إسترليني على مدى ثلاث سنوات، لتمويل نشر المزيد من ضباط الشرطة لمنع محاولات العبور غير الشرعي.

وقال لي أندرسون، النائب عن حزب الإصلاح البريطاني، إن التركيز يجب أن يكون على «تأمين الحدود وإغلاقها»، مؤكدا أن ذلك «سيكون أكثر فاعلية وأقل تكلفة من عقد صفقات مع دول أخرى».

بدوره، رحب الحزب الليبرالي الديمقراطي بالخطة المقترحة، واصفا إياها بـ«الخطوة الإيجابية» التي من شأنها أن تضع حدا للمعابر الخطرة، معتبرا أن الحكومة المحافظة السابقة «اكتفت بتصريحات حازمة دون معالجة حقيقية للمشكلة».

وكان زعيم حزب العمال ورئيس الوزراء الحالي، كير ستارمر، قد أعرب العام الماضي عن نيته السعي إلى اتفاق عودة على مستوى الاتحاد الأوروبي، غير أن جهود إبرام مثل هذه الاتفاقية لم تكلل بالنجاح حتى الآن، في ظل معارضة متوقعة من بعض الدول الأوروبية كالمجر.

وتواصل الحكومة البريطانية حاليا تعزيز جهودها في مكافحة تهريب البشر، حيث أعلنت في وقت سابق من العام الجاري عن تشريع جديد يجرّم تعريض حياة الآخرين للخطر في البحر، ويعاقب عليه بالسجن لمدة تصل إلى خمس سنوات.

وصرّح متحدث باسم وزارة الداخلية بأن المملكة المتحدة وفرنسا تواصلان العمل معا بشكل وثيق لمواجهة التحديات الأمنية والإنسانية المشتركة، مشيرا إلى نشر وحدة نخبة جديدة من الضباط على الساحل الفرنسي، وتعزيز التعاون الاستخباراتي، ومنح السلطات الفرنسية صلاحيات إضافية للتدخل في المياه الضحلة. وبحسب أحدث بيانات وزارة الداخلية البريطانية، فقد وصل ٧٠٥ مهاجرين غير شرعيين إلى دوفر على متن ١٢ قاربا يوم الثلاثاء، وهو أعلى عدد يومي حتى الآن هذا العام، مما يرفع إجمالي عدد الوافدين منذ بداية ٢٠٢٥ إلى ٨٨٨٨ شخصا، بزيادة بنسبة ٤٢٪ مقارنة بالفترة ذاتها من العام الماضي.

تخريب ٨٥ قبرا إسلاميا يثير غضبا في بريطانيا

● فتحت شرطة هيرتفورد شاير البريطانية تحقيقا في جريمة تخريب استهدفت ٨٥ قبرا في القسم الإسلامي من مقبرة «كاربيندرز بارك لون»، يُعتقد أن العديد منها يعود لأطفال رُضع وصغار.

وقد وصفت الحادثة بأنها «جريمة كراهية محتملة»، أثارت غضبا واسعا في أوساط الجالية المسلمة وأوساط المجتمع البريطاني عموما.

الشرطة أفادت بأنها بدأت دوريات أمنية إضافية في محيط المقبرة الواقعة بمنطقة «الأنهار الثلاثة»، في محاولة لطمأنة الأهالي وجمع المعلومات. وناشدت شهود العيان التقدم للإدلاء بأي تفاصيل قد تساعد في التحقيق.

وذكرت شرطة مانشستر الكبرى، في بيان رسمي، أنها تلقت بلاغا عن تخريب شواهد القبور وتدمير الزينة والزهور الموضوعة عليها، في واحدة من أكبر المقابر الإسلامية في المنطقة

هوية الجناة، مرجحة أن الاعتداء تم بدافع الكراهية الدينية.

وقال متحدث باسم الشرطة، «ندرك التأثير العاطفي العميق لمثل هذه الأعمال على العائلات والمجتمعات المتضررة. نحن نأخذ هذه القضية على محمل الجد، ونعمل على مراجعة تسجيلات المراقبة وجمع الأدلة».

من جانبه، أعرب المجلس الإسلامي في بريطانيا عن «صدمته العميقة» إزاء ما حدث، داعيا السلطات إلى تعزيز الإجراءات الأمنية في المقابر الإسلامية، واتخاذ خطوات عاجلة لضمان عدم تكرار هذه الحوادث.

ولم تقتصر ردود الفعل على الجهات الرسمية، بل انتشرت تعليقات متعاطفة ومستنكِرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حيث وصف المستخدمون الحادثة بأنها «اعتداء على حرمة الموتى»، مؤكدين تضامنهم مع العائلات وقالت إن التحقيقات لا تزال جارية لتحديد المفجوعة.

تعويضات بملايين الجنيهات لمعلمين بريطانيين أبرزها لمعلمة أُصيبت بـ «لابتوب»

● حصلت معلمة بريطانية على تعويض مالي كبير، بعد أن ألقى أحد التلاميذ جهاز حاسوب محمول على رأسها أثناء دوامها الرسمي، ما أدى إلى فقدانها للوعي وإصابتها بجروح بالغة.

ووفقا لما أوردته صحيفة "الإندبندنت" The Independent، تُعد هذه القضية واحدة من سلسلة دعاوى دعمها الاتحاد الوطني لمعلمي المدارس (NASUWT)، والذي أعلن عن حصوله على تعويضات تجاوزت ١٥,٢ مليون جنيه إسترليني لأعضائه خلال العام الماضي، نتيجة قضايا تتعلق بالإصابات، والتمييز في بيئة العمل، وسوء المعاملة المهنية.

وفي حادثة أخرى، نال أحد المعلمين تعويضا ماليًا بعد أن صدمته سيارة أثناء إشرافه على حركة المرور في موقف سيارات المدرسة، ما أدى إلى كسر في كعب قدمه اليسرى وخضوعه لعملية جراحية عقب سقوطه فوق غطاء المحرك وارتطامه بالأرض.

وذكرت النقابة أنها قدمت دعمًا قانونيًا لمُعلمة حامل، لجأت إلى محكمة العمل بعد تعرضها لمعاملة غير منصفة من قبل صاحب العمل، في خرق واضح لقانون المساواة لعام ٢٠١٠، الذي يحمي حقوق النساء خلال فترتي الحمل والأمومة.

كما ساعدت النقابة معلمًا آخر في الحصول على تسوية مالية كبيرة، بعد أن رفضت المدرسة منحه إجازة طارئة لظروف عائلية، رغم خدمته التي امتدت لثلاثة عقود. وتعرض المعلم لاحقًا لضغوط لفصل تعسفي ضمن خطة إعادة هيكلة لم يُعلن عنها مسبقًا.

وقال الدكتور باتريك روتش، الأمين العام لنقابة NASUWT: «لو التزم أصحاب العمل بواجباتهم القانونية تجاه موظفيهم، لما اضطررنا للجوء إلى القضاء. خلف كل قضية ناجحة، معلم عانى أشهرًا – وأحيانًا سنوات – من الضغط النفسي والقلق. بعضهم لم يعد قادرًا على التدريس نتيجة الإصابات الجسدية أو التأثير النفسي لما مروا به. لن نتردد في الدفاع عن حقوق أعضائنا في مواجهة الظلم والتمييز».

النساء يحتفلن بحكم تاريخي .. المحكمة العليا البريطانية: «المرأة» هي الأنثى بالولادة

● رحبت منظمات حقوق المرأة بفرح كبير بحكم تاريخي أصدرته المحكمة العليا البريطانية، والذي أكد أن تعريف المرأة يستند إلى الجنس البيولوجي.

وأصدر اللورد هودج نائب رئيس المحكمة، الحكم باسم هيئة مكونة من خمسة قضاة توصلوا بالإجماع إلى أن مصطلحي «المرأة» و«الجنس» في قانون المساواة البريطاني يشيران إلى الجنس البيولوجي وليس إلى الجنس المُكتسب.

ووضع الحكم نهاية لمعركة قانونية طويلة خاضتها منظمة «من أجل نساء اسكتلندا» النسوية، التي تُعرف بمواقفها النقدية للجندر، ضد الحكومة الاسكتلندية حول معنى تعريف المرأة.

وجادل الوزراء الاسكتلنديون بأن النساء المتحولات جنسيًا والحاصلات على شهادة الاعتراف بالجنس يحق لهن التمتع بنفس الحمايات القانونية التي تحصل عليها النساء المولودات كإناث بيولوجيا بينما أصرت منظمة «من أجل نساء اسكتلندا» على أن هذه الحمايات يجب أن تقتصر على من وُلدن إناثا.

وأوضح القاضي هودج في منطوق الحكم أن «السؤال المحوري في هذا الطعن يتمثل في معنى مصطلحي 'المرأة' و'الجنس' في قانون المساواة. هل يشيران إلى المرأة المولودة كأنثى بيولوجيا والجنس البيولوجي؟ أم أن مصطلح 'المرأة' يشمل المتحولة جنسيًا الحاصلة على شهادة اعتراف بالجنس؟»

وأكدت المحكمة أن القانون يُفسَّر على أنه يمنح الحماية للنساء على أساس كونهن إناثا بيولوجيا، مما أثار ترحيبًا واسعًا من قبل منظمات نسوية اعتبرت الحكم انتصارًا لمبدأ حماية المساحات والحقوق المخصصة للنساء البيولوجيات

ومن المتوقع أن يُحدث هذا الحكم تأثيرًا قانونيًا كبيرًا على السياسات الحكومية في اسكتلندا، وعلى الطريقة التي تُفسر بها القوانين المتعلقة بالمساواة بين الجنسين في المملكة المتحدة عمومًا.

قراءة في التغييرات الأخيرة وتأثيراتها الواسعة

هل تتجه بريطانيا نحو إغلاق أبواب الهجرة؟

● تشهد المملكة المتحدة تحولات جوهرية في سياسات الهجرة، بدأت مع مطلع عام ٢٠٢٤ وتعمقت بشكل ملحوظ في ٢٠٢٥.و في خضم هذه التغييرات، سجلت بيانات رسمية تراجعًا كبيرًا في عدد طلبات التأشيرات، لا سيما في فئة العمل والدراسة، ما يثير تساؤلات حول ما إذا كانت بريطانيا بصدد الانغلاق على نفسها أو إعادة تنظيم ملف الهجرة بصرامة غير مسبوقة.

أرقام تشير إلى تحول جذري

بحسب التقديرات الأخيرة، تراجعت طلبات التأشيرات إلى أقل من ٨٠٠ ألف خلال عام واحد، مقارنة بما يفوق ١,٢ مليون طلب في العام السابق – أي انخفاض بنسبة تقارب ٣٧٪.

هذا الانخفاض لم يأتِ من فراغ، بل كان نتيجة مباشرة لحزمة من السياسات الصارمة التي فرضتها الحكومة الحالية، والتي تركز على الحد من الهجرة وتقليص الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية.

تشديد على تأشيرات العمل: تضييق الخناق على الشركات والمهاجرين

من أبرز التعديلات وأكثرها تأثيراً ما طال تأشيرات العمل ورخص الاستقدام، حيث فرضت الحكومة قيوداً جديدة تضمنت:

رفع الحد الأدنى للدخل المطلوب للعمالة الماهرة إلى قرابة ٣٩ ألف جنيه سنوياً.

تقليص قائمة المهن المؤهلة للاستقدام، مع تشديد خاص على مهن الرعاية المنزلية.

تعقيد شروط منح رخصة استقدام (Sponsorship License) للشركات، ما جعل عملية التوظيف من الخارج أكثر تعقيداً وتكلفة.

فرض تدقيق أكبر على الشركات وإجراءات مراجعة صارمة، بما في ذلك مراجعة السجلات الضريبية والتاريخ الوظيفي.

وتسببت هذه الإجراءات في انخفاض طلبات تأشيرات العمل بنسبة تجاوزت ١٥٪، وتراجعت كذلك طلبات أفراد الأسر المرافقة بنسبة ملحوظة.

الطلاب والمعالون: الضحية الصامتة للتعديلات

سياسات الحكومة لم تقف عند سوق العمل فقط، بل امتدت لتشمل الطلاب الدوليين، حيث تم منع الغالبية العظمى منهم من اصطحاب عائلاتهم، باستثناء فئات محددة من برامج البحث العالي أو الحاصلين على منح حكومية.

وكانت النتيجة:

تراجع طلبات تأشيرات المرافقين بنسبة تفوق ٨٠٪

انخفاض في تأشيرات الطلاب الرئيسيين بنسبة تقدر بحوالي ١٠-١٢٪، وهو تراجع متوسط لكنه يحمل دلالات مقلقة لقطاع التعليم العالي البريطاني.

أثر مباشر على الاقتصاد وسوق العمل

وبالرغم من أن الحكومة تروج لهذه السياسات كخطوة نحو "تنظيم الهجرة"، فإن الواقع يعكس أزمة متنامية في اليد العاملة، خاصة في قطاعات مثل الرعاية الصحية، والخدمات الاجتماعية، والضيافة، والبناء.

ويجد أصحاب الأعمال أنفسهم مضطرين إلى:

رفع الرواتب بشكل كبير لتلبية الشروط الجديدة.

تقليص عملياتهم التشغيلية أو تأجيل التوسع.

أو في بعض الحالات، الخروج من السوق بالكامل بسبب عدم قدرتهم على جذب أو استقدام العمال.

مفارقة: انخفاض الهجرة رغم الحاجة المستمرة

وعلى الرغم من الانخفاض الحاد في أعداد المهاجرين الجدد، لا تزال المملكة المتحدة تسجل أرقامًا أعلى من مستويات ما قبل البريكست في استقبال المهاجرين من خارج الاتحاد الأوروبي، مما يشير إلى وجود طلب خارجي مستمر على الهجرة إلى بريطانيا رغم التعقيدات.

خاتمة: إلى أين تتجه بريطانيا؟

بوضوح، نحن أمام تحول استراتيجي في سياسة الهجرة البريطانية، يهدف إلى فرض رقابة مشددة وتقليل الأعداد، لكنه في الوقت نفسه يحمل معه مخاطر اقتصادية واجتماعية، خاصة إذا لم تُرفق هذه الإجراءات بحلول واقعية لسد فجوات السوق المحلي.

إذا كنت تخطط للهجرة أو الدراسة أو العمل في المملكة المتحدة، من الضروري متابعة هذه التغيرات بعناية والتفكير بشكل استراتيجي في الخيارات المتاحة

المستشار القانوني علي القدومي
عرب لندن

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ

SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

إضاءات

أهمية تطبيق نظم المعلومات في تنفيذ السياسات المالية والنقدية

أ. د. فكري كباشي الأمين العربي *

● نظم المعلومات تطبق وفقاً للسياسات المالية Fiscal Policy، فهي تصمم بتوافق تمام مع السياسات المالية لتحقق أهدافها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تدعم سياسة ولاية وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي على المال العام، حيث إنه بواسطة نظم المعلومات تتوفر للوزارة إمكانية إعداد موازنة الدولة، ومن ثم الإشراف على تنفيذها، والاطلاع على حركة الأموال العامة بداية من عمليات التحصيل وحتى مرحلة الصرف أو الإنفاق، وفي أي وقت وأي مكان، وبالتالي يتاح للوزارة إمكانية إحكام الرقابة على المال العام. كما أن نظم المعلومات تسهل تطبيق سياسة التخطيط الاقتصادي، بما توفره من معلومات مالية بدقة عالية وفي الوقت المطلوب.

ومن الواضح أنه من الضرورة بمكان لتطبيق السياسات المالية، أن تكون وزارة المالية على علم بالإيرادات الكلية، وإعمالاً لمبدأ الشفافية في تحصيل الإيرادات الحكومية، وضبط الصرف والإنفاق للمال العام، صممت الوزارة عدداً من أنظمة المعلومات المتكاملة لتحقيق هذه الأهداف، هذه النظم تتمثل في: نظام الدفع الإلكتروني (Sadad E. Payment) ومشروع التحصيل الإلكتروني (E15)، نظام حساب الخزانة الواحد (TSA)، ونظام تخطيط الموارد الحكومية (GRP) وحوسبة المرتبات (HR & Payroll).

حالياً لا يمكن لأي جهة إجراء تعامل مالي حكومي إلا عن طريق نظم المعلومات المذكورة آنفاً، وبالتالي فإن مخرجات هذه النظم توضح المعلومات المتعلقة بالإيرادات الكلية والمصروفات الكلية بدقة، وعلى كل مستويات الحكم.

وتدعم نظم المعلومات الرقابة على السياسات المالية، بما توفره من التقارير بأنواعها المختلفة، وبواسطة هذه التقارير يتاح لوزارة المالية معرفة ما تم إنجازه من السياسات، وما لم يتم إنجازه، وذلك في شكل بيانات ومعلومات مالية، وبالتالي تساعد في اتخاذ القرار المالي المناسب، كما أن تقارير الأداء الفعلي للعام الجاري التي تدعمها النظم، تستخدم في وضع خطط موازنة العام المقبل، وذلك فيما يعرف بموازنة الظل، وهي تحوي مؤشرات وموجهات سير أداء الموازنة، كما أن النظام المحوسب يقدم خطة آلية لموازنة العام المقبل، يتم اعتمادها أو التعديل عليها، والخطة الآلية للعام المقبل يضعها النظام بالاعتماد على مؤشرات تنفيذ وأداء موازنة العام الجاري، وبما أن معظم عمل مركز المعلومات يغلب عليه الطابع الفني، فقد قسم العمل داخل مركز المعلومات إلى مجموعات حسب الاختصاص، فهناك مجموعات المهندسين، حيث تقوم كل مجموعة بالإشراف على إدارة معينة، لمتابعة سير العمل، وإجراء عمليات الصيانة، وتقديم الدعم الفني لها، وهناك أيضاً مجموعات المبرمجين، حيث تكون كل مجموعة مسئولة عن نظام محدد ومتابعة سير عمله على محطات العمل (Work Stations)، أو عند الجهاز الخادم (Server)، هذا وفوق كل ذلك وضعت إجراءات أمنية مشددة لحماية البيانات في كل الأجهزة، ابتداء من الخادمات (Servers)، وحتى محطات العمل التي يعمل عليها المستخدمون (Work Stations) مما يتطلب الموافقة عند طلب أي معلومات ذات طابع خاص.

وكذلك الأمر بالنسبة للسياسة النقدية Monterey Policy والتي يصدرها بنك السودان، والتي قطعاً تحتاج إلى نظم معلومات متطورة، وبناء عليها يتم اتخاذ القرارات ومتابعة تنفيذها. ولذلك أصر وأشدد بأن تكون لبنك السودان الاستقلالية الكاملة في متابعة تنفيذ تلك السياسات النقدية، والتي تستهدف الصالح العام، لاعتقادي الجازم بعدم تمتع الحكومات المتعاقبة الظروف بصفة الرشد الاقتصادي المطلق، وحجتي في ذلك أن خضوع البنك المركزي للحكومة، وخاصة تلك التي تقوم على أساس حزبي، وبالتالي فإن سياسة البنك المركزي سوف تخضع للمآرب الحزبية، مما قد يضر بالمصلحة الاقتصادية العامة. كما أن خضوع البنك المركزي للحكومة يقدم لها أداة طيعة، في الوقت الذي ينبغي على بنك السودان أن تكون قراراته نافذة، وأن يكون صارماً في تطبيق كافة العقوبات المنصوص عليها في لوائحه، في حالة تجاوز الضوابط الموضوعة بإحكام لتنفيذ السياسات المالية والنقدية، من دون تدخل مباشر أو غير مباشر من السلطات التنفيذية الأخرى، وألا يكون هنالك استثناء إلا في حالات الضرورة القصوى والتي تقتضيها المصلحة العامة، والتي يجب أن تقرر بشأنها الجهات التشريعية أو البرلمانية أو ما يشابهها من أجهزه رقابية خلال الفترة الانتقالية.

ولذلك لا بدّ من أن يواكب تلك التطورات المزيد من الخطوات العملية من قبل بنك السودان، من خلال عمله على تهيئة البيئة القانونية والتنظيمية والإجرائية في ثلاثة محاور رئيسية، تتعلق بالتشريعات والقوانين المطلوبة لتنظيم الأعمال الإلكترونية، والتشريعات الخاصة ببطاقات الدفع، ونظام الصراف الآلي والتسويات والمقاصة، وتوفير وإعداد البيئة المناسبة داخل الجهاز المصرفي.

* خبير اقتصادي.

قلم تصحيح

شركات المساهمة العامة.. ضرورة ملحَّة

محمد المهدي *

● يمرّ الشعب السوداني بأزمات متتالية، ويعاني من شح في كثير من ضروريات الحياة، ما يترتب عليه ضرر بالغ على الناس في معاشهم وحياتهم وأعمالهم، ومن أبرز تلك الأزمات، مشكلة انقطاع الكهرباء عن ولايات كاملة الذي يستمر أياماً، وذلك بسبب استهداف مليشيا الدعم السريع سد مروي ومحطات الكهرباء باستمرار بالصواريخ والمسيّرات، وما ينتج عن ذلك من أعطال. وقد تكرر ذلك الأمر كثيراً. وها نحن في ولاية الخرطوم نعيش في انقطاع تام للكهرباء مدة أسبوع، وقد حدث قبل ذلك أن انقطع التيار أسبوعين متواصلين، وعاش الناس معاناة لا تحتمل.

الكهرباء هي مفتاح الحياة، فمعظم الخدمات مرتبطة بوجود الكهرباء، وقد اضطر المواطنون إلى شراء الماء الذي ينقل بالبراميل ليباع لهم بمبالغ كبيرة، وأصبح من المألوف رؤية الصفوف الممتدة وسهر الليالي بغرض الحصول على الماء.

من جانب آخر، هناك من توقفت أعمالهم تماماً، لاعتمادها كلياً على الكهرباء، مثل أعمال الحدادة، والنجارة، والخياطة، وهؤلاء الذين يمارسون تلك المهن غالبيتهم أرباب أسر، ولا مصدر لهم للصرف عليها إلا من هذه الأعمال، علماً بأنّ لديهم أبناء في المدارس والجامعات يحتاجون إلى مصروفات يومية.

فكيف تكون حياة هؤلاء الآباء وهم عاجزون عن توفير احتياجات أسرهم؟ وماذا يفعل الطلاب في مختلف المراحل الدراسية والامتحانات على الأبواب؟ وهم يأملون بحصاد عام درسوه تحت القصف والمعاناة وعدم الاستقرار.

إن الكهرباء لم تعد ترفاً، بل صارت ضرورة لا غنى لأحد عنها، لذا لا بدّ من ابتداع حلول عملية تقود إلى توفيرها واستدامتها، بدلاً من الوقوف مكتوفي الأيدي، في انتظار عودة التيار. ولا ننسى أنّ قطاع الكهرباء يعاني مسبقاً قبل الحرب من مشكلات متكررة، تؤدي إلى قطوعات مبرمجة وغير مبرمجة.

إنّ الحل الذي أراه أن هذه البلاد حباها الله بكثير من النعم، إذا أحسنّا استغلالها سنكون من أفضل دول العالم، في مستوى الدخل والرفاهية، ومنها هذه الشمس الحارقة، فهي مصدر رخيص للطاقة، وقد شهدنا تجارب عدد من الدول في الاستفادة من الطاقة الشمسية، وخاصة في مجال الزراعة، فتجربة الصين المبثوثة صورها في الوسائط جديرة بالاطلاع عليها والاهتداء بها.

ومن هنا أطرح فكرة إنشاء شركة مساهمة عامة في كلّ ولاية من ولايات السودان، تُطرح أسهمها للمواطنين للاكتتاب، تختص بمجال الطاقة الشمسية من ألواح وبطاريات، وشبكات، وتوصيلها للمشاريع الزراعية والمصانع والشركات والمؤسسات والبيوت.

وإذا صدقت النيّات وصحّ العزم، فستتبدل الحال، وستخضر الأرض، وستنتج المصانع الكثير من احتياجاتنا التي نستوردها الآن وهي في الأساس من خاماتنا التي نصدرها بأقل الأسعار ونستوردها مصنعة بأضعاف مضاعفة، وسيرتفع ميزان الصادر، ولن يجلس الحرفيون منكسرين أمام أسرهم دون عمل.

الكرة الآن في ملعب أصحاب الشأن من الخبراء وأهل الشأن والدراية، للشروع في إنشاء شركات مساهمة عامة، لتكون لكل ولاية شركتها للطاقة الشمسية. ثم تعقبها شركة أخرى للغاز الذي يعاني المواطنون أشد العناء من تكرار انعدامه وارتفاع أسعاره.

* مستشار التحرير وكاتب صحفي.

تطواف

مطار بورسودان.. وضعٌ مُزرٍ

عمر حسن غلام الله *

● نزلت الطائرة القادمة من الرياض بمدرج مطار بورسودان، وهي المر ة الأولى لي التي أرى فيها هذا المطار.. إذ كانت آخر مرة سافرت فيها إلى بورسودان في العام ١٩٧٩م قادماً من الخرطوم. وقد علمت أن ذاك المطار ليس هو هذا.. وتوقعت أن يكون فخماً واسعاً أفضل من المطار القديم بعشرات الأضعاف..

نزلنا من الطائرة وركبنا البص الذي توقف بنا أمام بوابة مكتوب على لوحة أعلاها: «صالة الوصول»، دلفنا منها إلى الداخل فواجهنا كاونتر الجوازات مباشرة، أي بعد خطوات من البوابة، مددت الجواز للموظف الجالس في الأول، فأخذه مني ومرره على سكانر وختمه وأرجعه لي.. لم يأخذ الأمر دقيقة.. ربما ١٥ ثانية فقط. سعدت بهذا التطور.. وقلت بصوت مسموع: ما شاء الله.. رغم سرعته في الإنجاز إلا أنني أعيب عليه جمود تعابير وجهه.. وهذا معتاد معنا نحن السودانيين، فلا ابتسامة هوليوود ولا حتى الابتسامة الميكانيكية المصطنعة للمضيفة البريطانية في طائرة سودانير أواسط السبعينات (حكيت عنها في سلسلتي «رحلات ابن بطوطة السوداني ما بين طنجة وجاكرتا)، ورغم سماعه تقريظي هذا لم يتبرع بابتسامة أو طرح وجهه.. ولكن يجب عليه أن يطرح وجهه على الأقل للأجانب.. إذ هو أول سوداني يقفون أمامه.. والانطباع الأول First Impression يظل في نفس الإنسان ما عاش، وهو هنا يمثل بلداً وشعبا.

أمام كاونتر الجوازات وعلى يمين الداخل، يوجد جهاز الكشف على الأمتعة بالأشعة السينية، الفاصل بينه وبين كاونتر الجوازات- ربما خطوة أو خطوتان- تضع حقيبتك في الجهاز وتستلمها من الجهة الأخرى، بعد الجهة الأخرى خطوتان أو أقل تجد سير العفش الذي يخرج من فتحة في الجدار.. ما بين تلك الفتحة ونهاية السير حيث يعود من حيث أتى، ربما خمسة أمتار.. يفصل السير- عند خروجه من الفتحة- عن الحمامات خطوتان.. لذا رائحة النشادر النفاذة تغطي مكان انتظار الركاب لحقائبهم.

باب صغير يقود إلى ردهة الحمامات- حمامان فقط لا ثالث لهما- منظرهما لا يسر السودانيين- المضطرين لدخوله- ولكنه كارثي لو دخله غير سوداني.. ولو سلمنا جدلاً بأنه ليس بالإمكان أفضل مما كان (حمامان فقط لصالة وصول مطار يسمى «دولي»)، فما تبرير عدم نظافته وتطهيره بالكلور أو الديتول؟

بحثت عن موقف عربات العفش فلم أجده.. ولاحظت أن بعض عمال يمسكون ببعض عربات قديمة معظمها مكسورة وبئيسة المنظر، وغصباً عنك تستعين به في نقل عفشك، لأنك لن تجد عربة لنفسك.. لن أقارن ذلك بمطار الرياض، ولا حتى بمطار أديس أبابا، ولكن لو قارنته بمطار كيقالي في رواندا- الدولة الأفريقية الفقيرة الناهضة حديثاً من براثن حرب أهلية قاسية- لكان البون شاسعاً، لدرجة صرف النظر عن المقارنة من أساسها. كيف تثنى لهؤلاء السيطرة على عربات نقل العفش الخاصة بالمطار والتي دفع ثمنها المسافرون؟ وأين إدارة المطار من كل ذلك؟

توجد طاولة الجمارك بنهاية كاونترات الجوازات وبعيد نهاية سير العفش بخطوة، تتعداها فتكون في مكان متسع قليلاً عبارة عن صالة ربما مساحتها ٦x٦ أو تزيد قليلاً، وقد مررنا بموظفي الجمارك والذين يراجعون ملاحظات زملائهم على العفش في طريقنا إلى بوابة الخروج.

مضطراً كنت قد طلبت من أحدهم أن ينقل عفشي (كرتونة واحدة) بعربته، وعند خروجنا إلى ساحات المطار، جاء من يعرض علينا استقلال سيارته بأجرة- لم أسأل كم هي- فاعتذرت بأن هناك من يستقبلني، فعرض عليّ تبديل عملة..

سألت عامل عربة نقل العفش كم يأخذ، فقال لي ٢٢،

يقصد ٢٢ ألف، وبعبارة أخرى ٢٢ مليون.. وعندما ضربتها في سعر الريال وجدت أنها تساوي- وقتها- ٣٢ ريالاً! وعندما وصل مستقبليّ أخبرتهم بما قال، فأعطوه ١٠ وقبل بها.. كان عايز يدقسني..

في المرة القادمة بمشيئة الله سأصف صالة المغادرة.

* قاص وكاتب صحفي.

مداد أخضر

في محراب الوجد

معتصم تاج السر *

● حين يسكن القلب عرش المحبة، وتضيق اللغة عن وصف الشعور، تبدأ الروح رحلتها الخالصة نحو النور.

حيث تسجد الأرواح طواعية لله، وتذوب الكائنات في حضرة محبة رب العالمين.

في هذا الدرب حيث القلوب تسير قبل الأقدام، والأنفاس تتهجد قبل الألسن، هناك حيث تنحني الأرواح خضوعاً في حضرة الجمال.

وتتهادى الأرواح بين لطف الخدمة وبهاء المحبة، وبين مقام العابدين ومقام العاشقين، وبين خُطى السالكين وهم يلهثون وراء رضا الرحمن.

قلوب غمرها النور فذاب فيها الوجود ولم يبقَ إلا الله.

كما قال ابن عطاء السكندري:

«قومٌ أقامهم الحق لخدمته وقومٌ اختصهم برحمته».

إنهم قوم عُبّادٌ وزُهّادٌ لا يعرفون للراحة طريقاً، يسيرون بين السجادة والمحراب يقيمون الليل ويُطهرون النهار بذكره.

فالخُدّام هم الزُهّاد العُبّاد، الذين صافحت جباههم أرض السجود، وذابت أرواحهم في طقوس الطاعة، جعلوا من أعمارهم وقفاً على باب الله، يحيون في ذكره ويموتون شوقاً للقرب منه.

ومن اختصهم برحمته قوم ذابوا حباً حتى نسوا أنفسهم، سكنت المحبة قلوبهم فأثروه على كل شيء، ورأوه في كل شيء، واستغنوا به عن كل شيء. أولئك هم المحبون العارفون، الواصلون الذين لا يعرفون لغير الله وطناً ولا سكناً.

إنهم قومٌ اختصهم الله بعطر محبته، فلم تعد أعينهم تبصر سواه، ولم تعد قلوبهم تهفو لغيره.

المُحب أثره على كل شيء، صارت الدنيا عنده عطراً باهتاً أمام عبير القرب.

والعارف من شهد الله في كل شيء، رآه في ابتسامة طفل، وفي غصن شجرة، وفي شروق شمس وخفوت نجم.

والواصل من استغنى بالله عن كل شيء، فلم يعد القلب يحمل غير اسمه جلّ جلاله، ولم يعد يخاف الفقد لأن الله وحده كفاه.

الكل مشمول بعطاء لا يُمنع، وفضل لا يُحجب، وحنان لا يزول، لأن الله بحُبه يمدّ الجميع.

الخادم والمحب، السائل والواصل، العابد والعاشق.

وفي فيض رحمته قال الحق:

(كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰؤُلَاءِ وَهَـٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً).

فلا أحد يُحرم من فيضه، ولا روح تُنسى تحت سمائه، الكل في رعاية عطائه، والكل محمول على جناح الرحمة.

لكن فوق كل هؤلاء هناك قلب واحد..!

قلبٌ خُلق ليكون حبيب الله، سيد العاشقين، إمام الواصلين، وتاج العارفين سيدنا وحبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم- رسول رب العالمين الرحمة المهداة والسراج المنير.

هو الرسول الخاتم، والعبد الكامل، صلى الله عليه وسلم، الذي جمع بين الخدمة والمحبة حتى صار العشق والعبودية فيه نوراً واحداً لا ينفصل. حينما سُئل عن تعب قدميه في قيام الليل، ردّ بقلب ذائب حباً لله:

«أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

هو المحب الأعظم الذي أحب ربه بلا شرط، واصطفاه الله بلا حد، وأشركه في سر القرب حتى صار «قاب قوسين أو أدنى»، وكأنه في كل لحظة يقول لنا:

إذا أردتم أن تعرفوا مقام الحُبِّ فاذكروا محمداً صلى الله عليه وسلم، فهو سيد المحبين وحبيب رب العالمين، قال تعالى:(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

يا لسحر هذا المقام...!

فكل العاشقين طريقهم يمرّ من قلبه الطاهر، صلى الله عليه وسلم، وكل العارفين لا يشهدون جمال الله إلا من خلال نوره هو باب المحبة، ومفتاح العشق، وصاحب القلب الذي وسع الكون رحمة.

صلى الله عليه وسلم سيد القلوب العاشقة، وسند الأرواح الظامئة، وشفيع الواصلين ومنتهى الأشواق.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيد المحبين حبيبك سيدنا محمد صلاةً تملأ قلوبنا نوراً، وتغسل أرواحنا حباً، وترويا من نبع عطائك الذي لا ينضب.

اللهم اجعلنا ممن أقمتهم لخدمتك، وممن اختصصتهم برحمتك، وممن ذاقوا طعم القرب منك حتى لا يهووا سواك، ولا يفتنهم عنك شيء يا كريم العطاء ويا واسع الرحمة.

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، واملأ قلوبنا بمراقبتك حتى نراك في كل شيء، ونذكرك مع كل نفس، ونسكن في ظل رضاك للأبد.

اللهم بجاه سيد المحبين وشفاعة الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، اجعلنا من المحبوبين لديك، المقربين إليك، ولا تجعلنا ممن غفل عنك، ولا من الذين حُجب عنهم نورك.

يا من وسعت رحمتك كل شيء، اجعلنا ممن تفيض عليهم عطاياك في الدنيا والآخرة، واختم لنا بمحبتك، واسقنا من يد نبيك، صلى الله عليه وسلم، شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

وصلى الله وسلم على سيد المحبين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* كاتب صحفي.

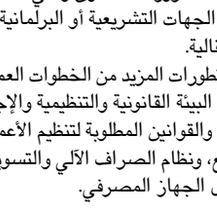

رؤى وتحليلات

طفولة سودانية تحت القصف: بين مأساة النزوح وحديث الأمل

أ. د. فيصل محمد فضل المولى *

● في ظل النزاعات المسلحة التي تعصف بالسودان منذ اندلاع الحرب الأخيرة في أبريل ٢٠٢٣، يعيش الأطفال السودانيون مأساة إنسانية مروعة، تتجسد في صورة طفولة تحت القصف وتحت القهر. تتداخل مشاهد الدمار والهروب مع صرخات الألم والحنين لحياة كان من المفترض أن يملأها اللعب والتعليم والحنان. إن قصة هؤلاء الأطفال ليست مجرد أرقام في تقارير الأمم المتحدة أو عناوين أخبار، بل هي واقع قاس يستحق وقفة جادة وتحركاً عاجلاً من مختلف أفراد المجتمع الدولي والمحلي.

واقع النزاع واللجوء: حين تتحول الطفولة إلى كابوس

منذ اندلاع النزاع في أبريل ٢٠٢٣، اضطر الملايين من سكان السودان إلى ترك منازلهم، حاملين معهم بقايا حياة كانت تسير على خطى الأمل. نساء وشيوخ، مرضى وشباب، إلا أن الفئة الأكثر هشاشة هي الأطفال؛ أولئك الذين لا يملكون لغة الدفاع عن النفس ولا خياراً في زمن تُقرّره البنادق. في خضم هذا الواقع المرير، يعيش الأطفال في بيئات غير آمنة؛ مدارس مدمرة، مخيمات اكتظاظية وخيام تعج بالخطر، وشوارع تنعدم فيها أيّ إشارات للأمان والاستقرار.

وفقاً لتقارير الأمم المتحدة، تجاوز عدد النازحين داخلياً في السودان منذ اندلاع النزاع الأخير أكثر من ٨ ملايين شخص، نصفهم تقريباً من الأطفال. هؤلاء يجدون أنفسهم محاطين بظروف تزيد من احتمالات تعرضهم للعنف بمختلف أنواعه، سواء كان جسدياً، لفظياً أو نفسياً. هذا الواقع المرير يتفاقم بسبب ضعف الدعم النفسي والاجتماعي، مما يجعل الأطفال عرضة لصدمات قد تمتد آثارها إلى سنوات طويلة.

العنف بأنواعه وآثاره: تجربة قاسية تتعدى الجراح الجسدية

لا يقتصر العنف الذي يتعرض له الأطفال على الحروب المباشرة والأصوات المدوية للمدافع، بل يمتد ليشمل العنف المنزلي الذي يحدث داخل البيوت التي من المفترض أن تكون ملاذاً آمناً. ففي سياقات النزوح، تتحول ضغوط المعيشة والصراعات النفسية إلى وابل من العنف داخل الأسرة، حيث يفرغ الآباء والأمهات المثقلون بالمعاناة إحباطهم على أبنائهم دون وعي أو قدرة على ضبط الانفعالات. تقارير من منظمات الطفولة تشير إلى ازدياد حالات الضرب والصراخ والحرمان من الغذاء والتعليم في مراكز الإيواء السودانية، في ظل غياب شبه تام للدعم المؤسسي والتوعية المجتمعية.

هذا العنف لا يترك فقط ندوباً جسدية، بل يترك أثراً نفسياً عميقاً؛ إذ يعاني الأطفال من قلق دائم، وكوابيس متكررة، وفقدان الشعور بالأمان والطمأنينة، مما يؤثر في قدرتهم على التعلم وبناء الثقة بالنفس. الأطفال الذين يشاهدون العنف ضد أحبائهم أو يتعرضون له بشكل مباشر، يصبحون ضحايا لصدمات مركبة، قد تمتد آثارها لعقود من الزمن، ليصبح مستقبلهم معتمداً على دعم نفسي واجتماعي لم يُوفر لهم حتى الآن.

اللجوء والشتات: تحديات جديدة لعالم الطفولة

لا يزال أطفال اللاجئين الذين تمكنوا من الفرار خارج البلاد يواجهون صعوبات جمّة، ففي دول الجوار تتعدد العقبات؛ من صعوبة الالتحاق بالمدارس، إلى العوائق أمام الحصول على الرعاية الصحية والتمييز الاجتماعي والاقتصادي. أطفال بلا وثائق وهوية قانونية يصبحون بسهولة فريسة للاستغلال، سواء كان ذلك من خلال العمالة القسرية أو الزواج المبكر للفتيات. ومع قلة الأنظمة الوقائية في بعض هذه الدول، يفقد هؤلاء الأطفال القدرة على المقاومة أو التعبير عن معاناتهم، مما يزيد من هشاشة وضعهم وتفاقم تداعيات النزاع في حياتهم.

الطفولة السودانية: صوتٌ يبحث عن حماية وإنسانية

في خضم هذا المشهد الكارثي، يحتاج الأطفال السودانيون إلى أكثر من مجرد نجاة؛ إنهم بحاجة إلى حماية شاملة، تؤمن لهم حق الطفولة في اللعب والتعليم والحنان. كما قيل في النص الإضافي الذي يصرّح:

«تحتاج الطفولة السودانية اليوم إلى صوت، إلى قانون، إلى حضن، وإلى مدرسة. تحتاج إلى قلوب تتألم لصرختهم، وعقول تفكر في حلول جذرية لا تكتفي بالمسكنات».

هذه الكلمات تؤكد الحاجة الملحّة إلى وجود تضامن إنساني يستمع إلى صرخات الأطفال، ويعمل على وقف أيّ شكل من أشكال العنف ضدهم، سواء كان ذلك في الخيام أو في البيوت التي كان يُفترض أن تكون ملاذاً لهم. قد لا نستطيع إيقاف الحرب غداً، لكننا قادرون اليوم على الوقوف مع أطفالنا، بإيقاف يدٍ ترتفع على طفل، أو نظرة قاسية، أو كلمة مهينة.

يمكننا أن نعيد بناء المعنى الحقيقي للأبوة والأمومة حتى في ظل الظروف القاسية؛ فلربما يكون السلام بعيد المنال، لكن زرع بذور التعاطف والرحمة في قلوب الناس، يمكن أن يخلق بداية جديدة لإنهاء دورة العنف. إن منظمات المجتمع المدني، والحكومات، والشتات السوداني، والشعوب المتضامنة حول العالم، جميعهم يمتلكون القدرة على لعب دور فعّال في حماية الطفولة السودانية، من خلال تبني سياسات تشريعية وإنسانية تتوقف عند حدود التعسف والعنف.

دعوة للتحرك: سياسات وحلول عاجلة

إن التحديات التي تواجهها الطفولة السودانية اليوم تتطلب سرعة البديهة، وتضافر الجهود على عدة مستويات. ومن الخطوات الفورية التي يمكن اتخاذها:

١. تفعيل مراكز الدعم النفسي والاجتماعي: يجب إنشاء برامج متخصصة في أماكن النزوح ومخيمات اللاجئين، مع تدريب كوادر متخصصة قادرة على التعامل مع الأطفال المتضررين من العنف النفسي والجسدي.

٢. حملات التوعية الأسرية: نشر مفاهيم التربية غير العنيفة من خلال ورش عمل وبرامج توعوية، توجه الرسائل الصحيحة إلى الأسر النازحة، مما يساهم في تقليل العنف المنزلي وتأثيراته المدمرة.

٣. تعزيز التعليم في حالات الطوارئ: إقامة مدارس مؤقتة آمنة، توفر بيئة تعليمية مستدامة ومحفزة للأطفال، تضمن لهم فرصة لمستقبل أفضل رغم اضطرابات الحرب

٤. دعم التشريعات الوطنية والدولية: العمل على سن وتفعيل قوانين تحمي حقوق الطفل، مع إعادة بناء آليات الحماية القانونية في السودان، لتكون بمثابة سد منيع ضد أي ممارسات تعسفية.

٥. حشد الدعم الدولي والداخلي: تنظيم حملات مناصرة دولية للضغط على الجهات المانحة والمنظمات الإنسانية، وتفعيل دور الشتات السوداني والمجتمعات المتضامنة في دعم حقوق الطفولة.

الأمل في وسط الظلام: بناء مستقبل جديد

رغم قسوة الواقع، يبقى الأمل متقداً في قلوب كل من يعمل على حماية الطفولة السودانية. إن الاستثمار في مستقبل الأطفال ليس مجرد خيار استراتيجي، بل هو التزام أخلاقي وإنساني يتجاوز حدود السياسة والحرب. من خلال التكاتف والعمل المشترك، يمكننا أن نصنع فرقاً حقيقياً في حياة هؤلاء الأطفال: فكل خطوة إيجابية تساهم في إعادة بناء الأمان والطمأنينة في حياتهم.

عندما نقول: «لا لتعنيف الأطفال... نحو طفولة آمنة رغم كل شيء»، فإننا نعلن بصوت مرتفع أن كل طفل يستحق أن يعيش بكرامة، ويسطع في سماء الأمل رغم غياب النجوم في سماء الحرب. إننا ندعو المجتمع الدولي والمحلي إلى أن يكونوا صدى لصوت الأطفال، يعملون دون كلل أو ملل من أجل حماية حقوقهم، وإعادة بناء مستقبل يعيد للعالم معنى الإنسانية.

إن مأساة الأطفال في السودان ليست مجرد معاناة فردية، بل هي قضية إنسانية عالمية، تستدعي منا الوقوف صفاً واحداً. إن حماية الطفولة ليست رفاهية في زمن الحرب، بل واجب أخلاقي وإنساني، يتطلب تضافر جهود الجميع. ما نحتاجه اليوم هو صدور حقيقية تنبض بالتعاطف والرحمة، ونظم قانونية تحمي الأبرياء من ويلات النزاع. إن الأطفال السودانيين هم حاضرنا ومستقبلنا، ومن خلال دعمهم وحمايتهم، نصنع غداً مشرقاً يعمه السلام والعدل.

بهذا التكامل بين تجارب الألم والمعاناة وآمال التغيير، يبدو الطريق أمامنا واضحاً: الطريق الذي يقودنا إلى وقف العنف، واستعادة حق كل طفل في أن يعيش حياة كريمة، بعيداً عن ظلمات الحرب وحدودها. هذا الكفاح من أجل الطفولة ليس مجرد قضية إنسانية، بل هو جسر نحو مستقبل يُعاد فيه بناء المعنى الحقيقي للأبوة والأمومة والرحمة، مهما اشتد الظلام حولنا.

* أكاديمي وباحث مستقل.

ثقافة قانونية

تحديات تطبيق العدالة الانتقالية في السودان بعد انتهاء الحرب

هشام صلاح فرنيب *

● إن مفهوم العدالةِ الانتقالية حديث الظهور، إذ إنه ارتبط أساساً بمعالجة قضايا الخرق الخطير والتجاوزات التي تتعرض لها حقوق الإنسان خلال الصراعات والأوضاع الناتجة عن العنف، واستعمال القوة في المجتمعات التي هي في طور التحول الديمقراطي، إذ إنها تهدف بالأساس إلى استعادة السلم المدني، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، فهي تحتاج إلى عدالة متعددة الأبعاد: قضائية تحقق سيادة القانون، وتصحيحية ترمم جراح الماضي، وتوزيعية تتصف بإعادة توزيع الثروات.

ويمكن تعريفها بأنها مجموعة من التدابير القضائية وغير القضائية التي تقررها بلدان مختلفة، لمعالجة الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان في أوقات النزاع المسلح، وهي عدالة انتقال أو انتقال عدالة تتطلب بعض الإجراءات الإصلاحية الضرورية، والسعي لجبر الأضرار لضحايا انتهاكات الحروب، وتحقيق مصالحة وطنية واجتماعية شاملة، بالإضافة إلى أن اتخاذ تلك الإجراءات يعني أنها جزء استباقي حمائي، تحسباً واتقاءً لأي انزلاقات على الصعيدين الأمني والاجتماعي.

أهمية العدالة الانتقالية

تتمثل في تبيان حقيقة ما حدث من انتهاكات، وإثباتها بأدلة قاطعة، والاعتراف بمعاناة الضحايا وآلامهم، ومحاسبة مرتكبي الانتهاكات قانونيًا، وجبر الضرر، وما يقتضيه من تعويض ذوي الضحايا، ووضع أسس وقوانين تفضي إلى منع الانتهاكات في المرحلة الانتقالية والمستقبل. فضلاً عن أنها الطريق لإنجاز المصالحة المجتمعية، وتضميد الجروح الاجتماعية

التحديات

إن تطبيق نظام العدالة الانتقاليةِ في السودان بعد انتهاء الحرب، يواجه تحدياً كبيراً بالنظر إلى تنوع الشعب السوداني، وتعقيداتِ الحربِ الدائرة حتى الآن، حيث خلفت عدداً كبيراً من الضحايا، لذلك يجب مراعاة كافة الظروف السياسية والاجتماعية عند تطبيق أهداف العدالة الانتقالية، وبشكل يتلاءم تمامًا مع الواقع المتشابك والمعقد الذي عاشه الشعب السوداني.

كما أن التحدي الأكبر الذي يواجه التطبيق، محاكمة المتورطين في العنف السياسي والعسكري، وبما يفضي إلى تحقيق العدالة، وضمان الاستقرار في الوقت نفسه، الأمر الذي يعقد عملية الانتقال السياسي، وذلك لما تحتويه العدالة الانتقالية من آليات وإجراءات معقدة في المحاكمات الجنائية،

ومن بين التحديات، الموازنة بين العدالة الإجرائية والموضوعية، والأولى تركز على ضبط آليات العمل بما يحقق العدالة، فيما الثانية تركز على المخرجات والنتائج. إذ لا بد من الالتزام بالأسس النظرية، والأخلاقية، والقانونية، والسياسية، والاجتماعية، من أجل إنشاء محاكم محلية تحظى بدعم دولي، ولضمان عدم تسييس المحاكمات.

وفي الختام بما أن الهدف السامي للعدالة الانتقالية هو تحقيق مصالحة اجتماعية ووطنية شاملة تحقق الاستقرار، فمن الأهمية بمكان تطبيقها رغم التحديات.

* محامٍ ومستشار قانوني.

خواطر

الناطقون في المهد

البراء بشير *

● خلق الله الإنسان وجعل حياته مراحل، أولها مهد، وآخرها لحد، وبينهما يتعلم الإنسان ضروريات الحياة إن مدّ الله في عمره ولم يمت صغيراً، فيستهل حياته بصرخة الحياة، ثم يكون الصراخ والبكاء نهجاً له في تواصله مع من حوله، وتكون حركته في بادئ الأمر يسيرة لا تتعدى حيّزه الذي يرقد فيه، ومع مرور الوقت تزداد حركته ويزداد نطاقها حتى يحبو ثم يمشي، وكذلك التواصل يأتي على مراحل، فهو يبدأ بالصراخ والبكاء كما أسلفت، والتوشوش بأصوات تشبه هديل الحمائم، حتى يبلغ مرحلة الكلام التي تسير هي ذاتها على مراحل حتى يبلغ الفصاحة في عمرٍ متقدم، وذلك ديدن البشر المعهود. ولكن اقتضت حكمة الله عزّ وجل أن ينطق أُناس في مهدهم كما ورد في الحديث، منهم المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)، وصاحب جريج العابد، ورضيع بني إسرائيل، ويضاف إليهم في بعض الرواياتِ المُختلف حولها ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف – الذي اختُلف في أمره هل هو طفل أم شيخ –، وطفل أصحاب الأخدود.

وسأتطرق إلى شأن ثلاثة منهم في هذا المقال:

أولاً: المسيح عليه السلام، وقصته كما وردت في القرآن الكريم أنّ الله أنطقه ليثبت براءة أمه العذراء مما اتهمها به قومها. وكذلك كان كلامه في المهد معجزة له، فهو نبي مرسل الآية: (قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا).

ثانياً: صاحب جريج وقد وردت قصته في حديث أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. ومضمون القصة أن جريجاً هذا –وهو رجل عابد من بني إسرائيل– كان يصلي وأتته أمه فدعته فقال: أجيبها أم أصلي؟ فاختار ألا يجيبها فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات. وبعد ذلك إذ هو في صومعته تعرّضت له امرأة بغي وكلمته فأبى أن يجيبها. فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فافترت على جريج كذباً ونسبت الغلام له. فأتى القوم جريجاً وأنزلوه من صومعته وحطموها وسبّوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي. ويبدو أن القوم حينها تداركوا أنفسهم وندموا على فعلتهم، وورد في الحديث أنهم قالوا له: نبني صومعتك من ذهب فقال: لا إلا من طين. وفي هذه القصة بيانٌ لعظم حق الوالدين، واستجابة الله لدعائهما لأبنائهما أو على أبنائهما إن كان بحق، وقال الشيخ ابن باز إنّ أمه قد دعت عليه لأنها رأت أنه قطع رحمها ولها حق عليه، فأجاب الله دعوتها ليُري عباده العِبر.

ثالثاً: الطفل الرضيع من بني إسرائيل، وقد وردت هذه القصة في الحديث الشريف ذاته، الذي ذُكر فيه عيسى – عليه السلام– وقصة صاحب جريج. وفحوى قصته أن امرأة من بني إسرائيل كانت ترضع طفلاً لها، فمرّ بها رجل من أكابر القوم وأشرافهم يركب على دابة فارهة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك الرضيع ثدي أمه ونظر إلى الرجل وقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل بعض الناس بجاريةٍ يضربونها ويقولون لها: زنيت، سرقت وهي تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل فقالت المرأة: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فأطلق الطفل ثدي أمه مرة أخرى ونظر إلى الجارية وقال: اللهم اجعلني مثلها. ثم تراجع الولد وأمه الحديث، وسألته أمه عن هذا الشأن، فأخبرها أنّ الرجل كان جباراً عنيداً، لذلك قال: اللهم لا تجعلني مثله. وأما الجارية فقد كانت طاهرة مظلومة مفوضةً أمرها لله، لذلك قال: اللهم اجعلني مثلها.

ولله عزّ وجل في كل قصة من القصص حكمة وبيان للناس.

* كاتب صحفي.

مدارات

القيادة كعنصر أساسي في الإدارة الناجحة

هيثم محمداني *

● تُعد الإدارة علمًا وفنًا يعتمد على مجموعة من الوظائف المتكاملة، التي تهدف إلى تحقيق أهداف المؤسسة بأعلى كفاءة وفاعلية. ومن أبرز هذه الوظائف: التخطيط، التنظيم، القيادة، والمتابعة أو الرقابة. وإذا ما أُتقنت هذه الأدوار الأساسية، فإن المؤسسة تقترب بنسبة كبيرة – تُقدّر بـ ٩٠٪ – من تحقيق النجاح المطلوب. وبين هذه الأدوار، تحتل القيادة مكانة محورية، باعتبارها الرابط الفعّال بين التخطيط والتنفيذ، وبين الأهداف والنتائج.

مفهوم القيادة

القيادة هي عملية توجيه وتحفيز الأفراد نحو تحقيق أهداف مشتركة، وهي لا تقتصر على إصدار التعليمات، بل تشمل القدرة على التأثير في سلوك الآخرين، وبناء الثقة، وخلق بيئة عمل إيجابية تحفّز على الإبداع والالتزام.

أهمية القيادة في العمل الإداري

تُعد القيادة الأداة التي تُحوّل الخطط والاستراتيجيات إلى واقع ملموس. فالقائد الفعّال هو من يستطيع أن:

يرسم رؤية واضحة للمستقبل، ويلهم الفريق لتحقيقها.

يوزّع الأدوار والمسؤوليات بطريقة عادلة وفعالة.

يتخذ القرارات الصائبة في الوقت المناسب.

يتعامل مع الأزمات والتحديات بحكمة ومرونة.

توزيع الأدوار والمهمات: مفتاح النجاعة

من أبرز عناصر القيادة الفعّالة توزيع الأدوار والمهمات بين أفراد الفريق بشكل مدروس. عندما يعرف كل فرد دوره بوضوح، وما هو مطلوب منه، تقل حالات التداخل والازدواجية، وتزيد الكفاءة. هذا التوزيع لا يُعتبر فقط تنظيمًا للعمل، بل هو أساس لنجاح الفريق ككل.

القائد الناجح يُشبه مدير أوركسترا؛ كل عضو في الفريق يؤدي دوره الخاص، لكن الجميع يعملون بتناغم كأنهم ماكينة واحدة متكاملة. توزيع المهمات بشكل سليم يؤدي إلى تعزيز روح التعاون، ويجعل الفريق يعمل بروح واحدة نحو هدف مشترك، مما يُحقق أعلى درجات الأداء والنجاعة.

صفات القائد الناجح

لتحقيق أداء متميز داخل المؤسسات، لا بد أن يتحلى القائد بعدة صفات، أبرزها:

القدرة على التواصل الفعّال.

التحفيز وبناء الروح المعنوية.

اتخاذ القرارات بناءً على معلومات وتحليل.

العدل في التعامل مع الموظفين.

الاستماع الفعّال وتقبّل الآراء.

إضافة إلى ذلك، يتميز القائد الناجح بأنه لا يستخدم أسلوب التهديد أو الترهيب، بل يختار التوجيه والإقناع وسيلة للتأثير.

القائد الناجح لا يهدد، ولكنه يوجه، لأنه يدرك أن القيادة تقوم على بناء الثقة لا الخوف، وعلى تنمية الولاء لا الفرض.

الفرق بين القيادة والإدارة

من المهم التفريق بين مفهومي «القيادة» و«الإدارة». فالإدارة تُعنى بتخطيط الموارد وتنظيمها ومتابعة الأداء، بينما القيادة تركز على التأثير الإنساني والتحفيز والتوجيه. فكل قائد يمكن أن يكون مديرًا، لكن ليس كل مدير قادرًا على أن يكون قائدًا ناجحًا.

خلاصة:

في ضوء ما سبق، تُعد القيادة ركيزة أساسية لنجاح أي مؤسسة. إنها العنصر الذي يُضفي الروح على باقي أدوار الإدارة، ويضمن تحقيق الأهداف بكفاءة وفعالية. ويُعد توزيع الأدوار والمهمات بين أعضاء الفريق من أهم عوامل نجاح القيادة، لأنه يُحقق الانسجام والالتزام، ويجعل الفريق يعمل ككتلة واحدة متماسكة.

كما أن القائد الناجح يُلهم، لا يُخيف؛ يوجّه، لا يهدد.

لذا، فإن تطوير المهارات القيادية داخل المنظمات يجب أن يكون أولوية، باعتبار أن القائد الناجح هو المفتاح لتحقيق التميز المؤسسي والاستدامة في بيئة الأعمال المتغيرة.

* كاتب صحفي.

أفكار

التعليم في السودان بين الماضي والحاضر

حسن عبدالرضي الشيخ *

● يستعرض هذا المقال ملامح تطور التعليم في السودان عبر مراحل زمنية مختلفة، بدءاً من إرث الخلاوي والكتاتيب، مروراً بالتعليم النظامي في العهدين التركي المصري والإنجليزي المصري، ووصولاً إلى التغييرات الهيكلية في العقود الأخيرة. ويتناول المقال التحديات التي واجهت النظام التعليمي، من ضعف البنية التحتية، وتدني التمويل، إلى تأثيرات السياسات المتعاقبة، دون إغفال محاولات المجتمع المدني والأفراد في سد الفجوات القائمة، في ظل غياب استراتيجية تعليمية مستقرة وشاملة. يعود التعليم في السودان إلى عصور قديمة، حيث أتقن السودانيون الكتابة منذ عهد مملكة كوش، ثم تطور عبر الكتابة المروية والخلاوي، التي ركزت على تعليم القرآن الكريم، واللغة العربية، وبعض مبادئ الحساب. ومع الحكم التركي المصري، بدأت المدارس النظامية، وتوسّعت في العهد الإنجليزي المصري، فأتيحت الفرص للفتيات، وأسهمت البعثات التعليمية والجاليات الأجنبية في نشر التعليم.

شهد النظام التعليمي تغييرات متكررة، حيث قُسّم التعليم العام إلى مراحل مختلفة عبر العقود. ففي عام ١٩٧٠، تم تعديل المراحل إلى ابتدائية (٦ سنوات)، ومتوسطة (٣ سنوات)، وثانوية (٣ سنوات). أما في عهد الإنقاذ، فتم دمج المرحلتين الأولى والثانية في مرحلة الأساس (٨ سنوات)، مع إبقاء المرحلة الثانوية (٣ سنوات)، مما قلّص سنوات التعليم العام إلى ١١ عاما. ثم أُعيدت المرحلة المتوسطة في وقتٍ لاحق، كما أُعيدت هيكلة التعليم العالي في عام ١٩٩٨، وفُرضت اللغة العربية لغةً للتدريس في الجامعات، تحت شعار «تأصيل التعليم».

زادت هذه التغييرات غير المدروسة من تعقيد المشهد، وأسهمت في تدهور النظام التعليمي، فظل التعليم في السودان يعاني من تحديات جسيمة، أبرزها الفقر، والحروب، والتسرب المدرسي، خاصة في الريف ومناطق النزاعات، حيث تواجه الفتيات، بصفة خاصة، صعوبات أكبر في إكمال تعليمهنّ. كما أصبحت مجانية التعليم «حديث خرافة»، إذ تُفرض رسوم دراسية في مختلف المراحل، ما يحرم العديد من الأطفال من حقهم الطبيعي في التعلم.

إن ضعف الإنفاق على التعليم أدى إلى تدهور البنية التحتية، إذ يدرس الطلاب في كثير من أقاليم السودان في العراء، أو في فصول بدائية، مع نقص الوسائل التعليمية والمرافق الأساسية. كما يعاني المعلمون من تدني الأجور، وضعف التأهيل والتدريب، مما ينعكس سلباً على جودة التعليم. إضافة إلى ذلك، تعاني المناهج من الحشو، وعدم مواكبة التطورات العلمية والتقنية، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مستوى خريجي الجامعات مقارنة بأجيال سابقة.

ومع التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدها السودان خلال العقود الأخيرة، ازداد الوضع تعقيداً، إذ لم تُمنح أولويات كافية للتعليم ضمن السياسات العامة. فالخطة القومية لتطوير التعليم، التي أعلنت في فترات متفرقة، كثيراً ما بقيت حبراً على ورق دون تنفيذ فعلي على الأرض. بل إن الشراكات الدولية مع منظمات التعليم العالمية، والتي كان يُؤمل أن تُسهم في إنعاش القطاع، اصطدمت بواقع إداري هش وفساد مؤسسي عطّل الكثير من المبادرات.

ورغم الصورة القاتمة، لا يزال الأمل معقوداً على الشباب السوداني، الذين أثبتوا في أكثر من مناسبة شغفهم بالعلم، وقدرتهم على تجاوز العقبات، سواء عبر التعليم الذاتي أو من خلال المبادرات المجتمعية الداعمة. إن الاستثمار الحقيقي في الإنسان السوداني يبدأ من قاعة الدرس، ويكمن في وضع سياسات تعليمية مستقرة، عادلة، ومستندة إلى البحث العلمي، لا إلى الأهواء السياسية أو الأدلجة العابرة. فبالعلم فقط، تنهض الأمم، وتنهض معها الشعوب.

* كاتب صحفي.

أبجد سوداني

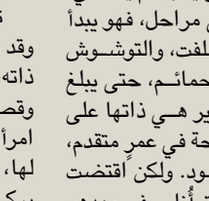

وليد جنا رحلة الهروب إلى أعلى

فريعابي محمد أحمد *

● وليد قل لي بربك من أوحى إليك أن ارتكازك الثريا،،، ومن علّمك أن ازدراء الخوف حياة فمشى الخوف منك٠٠٠٠ ومشيت نحو (مثواه) الأخير ممارسة البطولة والريادة تفرد لمثلك والرائد لقمان

سموت فتبرجت لمسراك الفخاخ وازهرت. الشظايا مهما فعلت أنت في هزيمة الموت الآن ٠٠٠ فستستطيع الفكاك من أبجدية الرصاص، فأنت في ضيافة هذا النهار٠٠٠٠ أمير على (حصتك) من المجد

كانَت قَناتي لا تَلينُ لِغامِزٍ // فَأَلانَها الإِصباحُ وَالإِمساءُ

وَدَعَوتُ رَبّي في السَلامَةِ جاهِداً // لِيُصِحَّني فَإِذا السَلامَةُ داءُ

(عمرو بن قميئة)

ما أنقى أن يكون المرء لا شيء.... مرة واحدة لا أكثر

ففي البطولة فلسفة... إنها صفة من صفات (الأمل)

وهي في بعدها (الجهادي).. رفع للمصادفة... إلى مرتبة الإعجاز

الموت ليس مصادفة

وأن تموت وحدك من أجل الكل

فأنت... الكل

لحظتها

ولك خيار ... الاختيار

أن تصبح أيقونة

أو تمسي (استيكة)

وأن أنت وحدك.. في ضيافة الجميع..

فكأنك في حاجة أكثر ... إلى ما هو أقل

وتلك هي (التضحية)

فالبطل إذا ما سقطت مهابته على (انكسارة عين).... فإن الجبان يراها (مرثية) للحياة

ولأن تكون وحيداً في الشموخ...

فهي تجربة ذاتية (التواضع)

فالعزلة في (العلياء)..

هي انتقاء نوع من الألم

والتدرب على تصريف أفعال الجوارح المفضية إلى (السؤدد)

لا أن تجلس وحدك كفكرة خالية من طعم (الجنون)

وأنت.. تضايق الموت في الطريق... ويكرهك جداً

امنحه (هنيهة)... ليسمع منك:

مَلَأنا البَرَّ حَتّى ضاقَ عَنّا // وَنَحنُ البَحرُ نَملأُهُ سَفينا

إِذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا وَليدٌ // تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا

كَأَنَّ الشُهبَ في الآذانِ مِنها // إِذا قَرَعوا بِحافَتِها الجَبينا

بِأَيِّ مَشيئَةٍ عَمرُو بنَ هِندٍ // تَقَدَّمُنا وَنَحنُ السابِقونا

عمرو بن كلثوم

* كاتب صحفي.

غابة الدليب

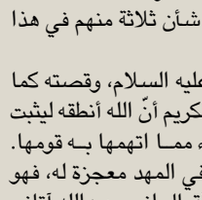

الموسم الزراعي في جنوب كردفان.. التحديات والفرص

د. خالد مصطفى إسماعيل *

● الزراعة تمثّل عماد اقتصاد المنطقة، في بلد دائماً ما يوصف بأنه بلد زراعي، وفي حالة الزراعة المطرية، يعمل المزارع البسيط في فصل الخريف ليكسب قوت عامه، يكتفي ذاتياً، ويدّخر ما تبقى منه لمقابلة بقية احتياجات الحياة.

وما أن يقترب فصل الخريف، حتى تجد المزارعين في حالة حركة دؤوبة، لمجابهة تحديات إنجاح موسمهم الزراعي، والذي يعتمد على عدة عوامل، منها مدخلات الإنتاج كالوقود، والتمويل، وقطع الغيار لصيانة الآليات الزراعية (البوابير،الزراعات، الحاصدات، أدوات الرش)، والزيوت، والشحوم، وتوفير التقاوي، والمبيدات الحشرية، ومبيدات الحشائش، والتأمين، وغيرها.

أيّ تأخير في هذه المدخلات أو العمليات الزراعية يسبب للمزارعين إزعاجاً غير عادي، لأن ذلك ربما يؤدي إلى فشل الموسم الزراعي، بالتالي إلى خروج المزارع من الموسم صفر اليدين، خاصة وأن الأمطار فترتها محدودة، والزراعة مقيّدة بفترة زمنية معينة.

فعدم توفر الأمن مثلاً يجعل المزارعين يتركون مساحات زراعية واسعة ومشاريع كبيرة دون أن تتم زراعتها، لعدم تعريض حياتهم وزراعاتهم للخطر، مما يقلل من الإنتاج.

ومن المعوّقات ضعف التمويل من البنك الزراعي، وحتى التمويل الذي يوفره البنك غالباً ما يتأخر ولا يأتي في الزمن المناسب، ولا ندري ما السبب في ذلك.

وأيضاً من المعوّقات عدم توفر الوقود، وارتفاع أسعاره في فترة موسم الزراعة، والمتاجرة والمضاربات غير الأخلاقية التي تتم في الوقود أثناء تلك الفترة تحديداً، مما يزيد من تكاليف الإنتاج، بطريقة تؤدي إلى خسارة المزارع. وهذا يؤدي إلى عدم تمكن المزارع من إتمام عملية الزراعة والحرث في الوقت المناسب، مما يهدد الإنتاج، كما أن ارتفاع أسعار الوقود ومدخلات الإنتاج الأخرى كالتقاوي والأسمدة والمبيدات، وعدم توفرها في الوقت المناسب، يقلل من المساحات المزروعة.

وتتمثل الحلول في الآتي:

١/ تأمين الموسم الزراعي بصورة شاملة، ويمكن أن يتم ذلك بإقامة معسكرات أو نقاط ثابتة للقوات النظامية داخل المشاريع الزراعية لتأمين مناطق الإنتاج. وكذلك فتح مسارات ومراحيل واضحة للرعاة لتجنّب الاحتكاك.

٢/ جمع السلاح العشوائي، وجعله فقط عند القوات النظامية.

٣/ وضع خطة شاملة لإنجاح الموسم الزراعي وزيادة الإنتاج، تضم وزارة الزراعة، والبنك الزراعي، وإدارة البترول والنقل، وذلك لتوفير مدخلات الإنتاج والتمويل في الزمن المناسب.

٤/ توفير طرمبات الرش لصغار المزارعين، وتوفير الأسمدة والمبيدات بواسطة مختصين زراعيين.

٥/ إدخال آليات زراعية حديثة.

٦/ أي حلول أخرى مناسبة من ذوي الاختصاص.

الاستعداد المبكر ووضع الخطط يساعد بصورة كبيرة في إنجاح الموسم الزراعي.

هذه إشارات وتنبيهات من أجل أن تولي الحكومة والجهات المختصة اهتماماً زائداً بهذا الموضوع المهم، والذي يمثّل شريان الحياة للناس. والسلام.

* كاتب صحفي.

إضاءة

أبناء السودان المغتربون.. ملاحم بطولية وانتصار عظيم في وجه الحرب اللعينة

محجوب الخليفة *

● في خضم الخراب والدمار الذي اجتاح الوطن جراء الحرب اللعينة، حيث سقطت المدن وتفككت مؤسسات الدولة، وهُجّر الملايين، وباتت الحياة في السودان معلقة على حبال الرجاء، برز أبناء السودان المغتربون كطوق نجاة حقيقي لشعبهم، وكحائط صدٍّ وطني جسور وقف في وجه الانهيار التام.

لم يتأخر المغتربون عن تلبية نداء الوطن، ولم يتخلّوا عن أهلهم في أحلك الأوقات. بل كانوا في مقدمة الصفوف، يمدّون يد العون كلما اشتد الخطب وضاقت السبل.

بادروا منذ الساعات الأولى للحرب بإرسال الأموال، والتكفّل بإعاشة أسرهم الممتدة، ثم وسّعوا دائرة عطائهم لتشمل الجيران، والأصدقاء، وكل من نالته المصيبة في محيطهم، داخل المدن المنكوبة وخارجها.

لم تكن مساعداتهم مجرد تحويلات مالية، بل كانت حملات منسّقة، مبنية على الإحساس بالمسؤولية الوطنية والإنسانية. نظّموا قوافل الإعانة، واشتروا ماكينات الطهي الجماعي، وزوّدوا الأسر بالمواد الغذائية والأدوية والمستلزمات الأساسية. أسّسوا شبكات دعم مجتمعية تعتمد على التواصل اللحظي والتنسيق المستمر مع الداخل، فكان المغترب أشبه بوحدة دعم كاملة تقف خلف عشرات من الأسر المحتاجة.

ومع ازدياد القصف، وامتداد رقعة النزوح، تصدى المغتربون لمهمة الترحيل، فتكفلوا بإخراج آلاف الأسر من مناطق الخطر، واستأجروا المركبات، ونظموا الرحلات من مناطق الاشتباك إلى بقاع أكثر أماناً. لم يكن ذلك سهلاً أو رخيصًا، لكنه كان واجبًا وطنيًا دفعوا فيه من جيوبهم ومن قلوبهم، ما لا تقدر عليه حتى الحكومات المستقرة.

ثم كانت المهمة الأعظم

إعادة الحياة.

في المناطق التي انسحبت منها المليشيا، والتي باتت خالية من أبسط مقومات العيش، تحرك أبناء الوطن من الخارج ليعيدوا ما تهدم.

اشتروا محطات الطاقة الشمسية لضخ مياه الشرب في القرى والمناطق المحررة، وهي مبادرة ذات بعد استراتيجي، إذ إن المياه تعني الاستقرار، وتعني عودة الحياة إلى طبيعتها. لم ينتظروا منظمات دولية، ولم يعوّلوا على المؤسسات الغائبة، بل صنعوا الأمل من العدم.

وساهموا في تأهيل المدارس التي دُمرت بفعل القصف أو نُهبت أثناء الاجتياحات. وفروا المقاعد، والمراوح، والمواد التعليمية، بل وساهموا في دفع أجور المعلمين المحليين لتستأنف العملية التعليمية في ظل ظروف صعبة. لم يكن اهتمامهم قاصرًا على التعليم، بل امتد ليشمل إعادة تشغيل المراكز الصحية عبر توفير الطاقة، والأدوية، وبعض المعدات الأساسية، في محاولة بطولية لدرء الكارثة الصحية عن كاهل الشعب المنكوب.

ما قام به أبناء السودان المغتربون لم يكن مجهودًا فرديًا فقط، بل ظهر في شكل تنظيمات تطوعية وكيانات مبادرة تضم شبكات من الخيرين الذين يعملون بصمت، ويوصلون الدعم لآلاف المحتاجين دون أضواء أو مقابل.

كانوا سفراء للضمير الوطني، وأبطالاً حقيقيين على مسرح المعاناة، حيث كانوا يرسلون الخير بدلا عن الرصاص، ويغرسون الأمل في أرض تنزف من كل الاتجاهات.

وقد تنوّع دعمهم من ولاية إلى أخرى، ففي ولاية الجزيرة، وولاية سنار، وولاية الخرطوم، ساهموا في إعادة النبض إلى المدن والأرياف، وأثبتوا أن الانتماء للوطن لا يرتبط بالمكان، بل بالإحساس والمسؤولية والولاء الحقيقي. تحمّلوا عبء ما كان يفترض أن تقوم به الدولة، وقدموا نموذجًا فريدًا في التضامن والتكافل.

أثبت أبناء السودان بالخارج أنهم لم ينسوا وطنهم لحظة واحدة، وأن الغربة لم تُذهب عنهم مروءتهم، بل زادتهم ارتباطا بوطنهم وأهليهم. كانوا رجالاً ونساءً في مقام العظماء، كتبوا تاريخًا جديدًا من البطولات الصامتة، التي ستُروى للأجيال القادمة بفخر وعزة.

لقد آن الأوان أن تُرفع لهم القبّعات، وأن يُسجّل ما قاموا به كوثيقة خالدة في سجل الشرف السوداني، فقد كانوا – ولا يزالون هم الأبطال الحقيقون الذين يستحقون التقدير، وأن تقدم الدولة لهم كافة التسهيلات، وتستجيب لكل طلباتهم الضرورية.

* كاتب صحفي.

VOICE of sudanese community
صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - مستقلة
www. thesdvoice.com
رئيس التحرير
الناجي صالح
Editor In Chief : Elnagi Salih
VOICE - WEEKLY INDEPENDENT NEWSPAPER
أول صحيفة سودانية إلكترونية تصدر من لندن
نائب رئيس التحرير
الشيخ أحمد الشيخ
مستشار التحرير
محمد المهدي الأمين
الإعلانات
VISION Creative Media Group
info@thesdvoice.press
الآراء الواردة في الصحيفة وأعمدة الرأي لاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة او موقفها
المراسلات باسم رئيس التحرير :
editorial@thesdvoice.press
للاشتراك في مجموعات الواتساب امسح الكود

همس الحقول
تصدر عن حركة السودان الأخضر

حكاية وطن أخضر

رؤية المستقبل: التغيير الإيجابي الانسيابي الإبداعي الأخضر

العودة الخضراء

إعداد: معتصم تاج السر

□من بين ركام المدن وأحزان القرى التي مزقتها الحرب اللعينة تلوح في الأفق بشائر الأمل وبزوغ عهد جديد في السودان حيث تتهيأ الأرض لاستقبال أبنائها النازحين واللاجئين بعد سنوات من الفقد والشتات والمعاناة.

هذه العودة المنتظرة ليست مجرد عودة لأرض مألوفة أو جدران قديمة بل عودة لروح السودان الخضراء لعهد جديد يعيد بناء الوطن على أسس راسخة من السلام، الإنتاج، العدل، والاستدامة.

في هذا السياق تطرح حركة السودان الأخضر رؤيتها الشاملة لما تسميه بـ «العودة الخضراء» وهي ليست فقط مشروع إعمار ما دمرته الحرب بل مشروع وطني حضاري متكامل لإعادة صياغة الوعي والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية في كل شبر من السودان على قواعد جديدة تضمن العدالة البيئية، والسيادة الغذائية، والتنمية المستدامة.

فلسفة العودة الخضراء

العودة الخضراء ليست شعاراً عاطفياً عابراً بل رؤية عميقة تنطلق من قناعة أساسية مفادها: أن الحرب دمرت الحجر والبشر معاً وبالتالي فإن البناء يجب أن يبدأ من الإنسان قبل أن يصل إلى الجدران..!

وتؤمن حركة السودان الأخضر بأن كل عودة إلى قُرى ومدن وولايات السودان يجب أن تحمل مضموناً جديداً في كيفية العيش والتفكير والتخطيط حيث يصبح احترام البيئة، والمصالحة المجتمعية، وتحقيق السيادة الغذائية وهو حجر الأساس في رسم معالم المستقبل.

مرتكزات العودة الخضراء

أولاً:
الاقتصاد الأخضر المنتج:

العمل على تحويل كل قرية وكل حي إلى وحدة إنتاجية مستقلة تعتمد على مواردها المحلية.

دعم الزراعة العضوية كأساس لإنتاج غذاء نظيف وصحي يلبي احتياجات الإنسان ويحترم الأرض.

تحفيز الصناعات التحويلية الصغيرة والمتوسطة القائمة على منتجات الأرض مثل التمور، الصمغ العربي، الفواكه، الحبوب، الأعشاب الطبية.

دعم منظومات الاقتصاد الاجتماعي التضامني كبديل حقيقي للأنظمة الريعية والهشة التي جعلت الاقتصاد السوداني عرضة للتقلبات والحروب.

وكما كانت البداية العملية لهذا التوجه، أطلقت حركة السودان الأخضر مبادرة بنك البذور التي شرعت فعلياً في تنفيذ مرحلتها الأولى الإسعافية حيث ركزت المبادرة على رفع المسغبة وتخفيف معاناة آلاف النازحين في مراكز الإيواء بالمدارس، والأعياد المدنية، والقرى، بمختلف ولايات السودان.

وقد حققت هذه المبادرة أثراً عميقًا اقتصاديًا واجتماعياً حيث أسست عملياً لمفهوم العودة الخضراء وقدّمت نموذجاً واقعياً للاكتفاء الذاتي من خلال «حوش المنزل» ليكتشف النازحون بأن بإمكانهم إنتاج غذائهم بأقل جهد ومن أقرب مساحة متاحة لهم مما فتح لهم أبواب الأمل وخفف عنهم الشعور بالعجز ورسّخ لديهم قناعة تامة بأن التنمية تبدأ من حيث يقفون ومن حيث يعيشون وبإمكانهم أن يكونوا منتجين حتى في أقسى الظروف.

ثانياً:
تعليم أخضر معاصر :

إدماج مفاهيم البيئة والتنمية المستدامة وأخلاقيات العيش مع الطبيعة في المناهج الدراسية بدءاً من التعليم الأساسي وحتى الجامعي.

تأسيس مدارس إنتاجية إبداعية خضراء في القرى والمدن، تقوم بدور مزدوج كبيئة تعليمية ومزرعة تطبيقية نموذجية، تدمج بين التعلم والإنتاج والمواطنة البيئية.

الاستثمار في الشباب وتمكينهم علميًا وعمليًا ليكونوا قادة المستقبل ورواد التنمية الخضراء في مجتمعهم.

ثالثاً:
صحة خضراء وقائية :

إعادة بناء النظام الصحي على أساس وقائي وليس علاجي فقط مع التركيز على الغذاء العضوي الصحي كمصدر أساسي للوقاية من الأمراض.

تطوير البنية التحتية الصحية في القرى والمدن وفق معايير صحية بيئية حديثة تضع النظافة، التهوية، والتخطيط الأخضر في قلب التصميم.

دعم برامج الرعاية الصحية المجتمعية والتوعية البيئية لمكافحة الأمراض الناتجة عن التلوث وسوء التغذية.

رابعاً:
بيئة خضراء متجددة :

إطلاق مشاريع قومية كبرى لإعادة تشجير المدن والقرى واستصلاح الأراضي المتدهورة بسبب الحروب والرعي الجائر والتصحر.

حماية الموارد الطبيعية من النهب والاستنزاف العشوائي ووضع خطط وطنية لإدارتها بصورة مستدامة.

تحويل كل مجتمع إلى شريك في حماية البيئة عبر حملات توعية وتشجيع السلوكيات البيئية المسؤولة.

خامساً:
نظام اجتماعي متماسك :

ترسيخ قيم السلام والتسامح والتعايش، ونبذ العنصرية والجهوية.

تشجيع العمل التعاوني والمبادرات المجتمعية في الإعمار والإنتاج.

بناء شبكات دعم اجتماعي قوية تعزز التكافل والتكامل بين العائدين.

وتعتمد حركة السودان الأخضر في رؤيتها على إرساء المصالحة المجتمعية القاعدية الشاملة التي تنطلق من القرى والأحياء ومجتمعات النازحين، وتبنى على الاعتراف، العدل، جبر الضرر، والتسامح الحقيقي، كمدخل أساسي لإعادة لحمة المجتمع وترميم النسيج الوطني الذي مزقته الحرب ليعود أكثر تماسُكاً وصلابة أمام التحديات.

سادساً:
مبادرة «شتلة لكل عائد»:

وفي إطار دعم العودة الخضراء وترسيخ ثقافة البناء بالأمل والعمل تعلن حركة السودان الأخضر عن طرح مبادرة جديدة تحت شعار: «شتلة لكل عائد».

تهدف هذه المبادرة إلى أن يعود كل نازح ولاجئ إلى بيته، مدينته أو قريته، وفي يده شتلة شجرة مثمرة، يرعاها في ساحة منزله أو حديقة قريته، لتكون رمزاً حياً ودائماً للسلام، والإنتاج، والاستمرارية.

هذه الشتلة ليست مجرد نبتة شجرة بل رسالة بأن العودة تبدأ بزرع الأمل، وبأن البناء والإعمار لا ينطلق فقط من الطوب والحجارة، بل من الشجرة، ومن كل بذرة خضراء تمنح الظل والثمر، وتعيد الارتباط العاطفي والوجداني بين الإنسان وأرضه.

«شتلة لكل عائد» تمثل وعداً جديداً وعهداً أخضر بأن مستقبل السودان سيُزرع بالأيدي السودانية، وسيثمر للأجيال القادمة.

رؤية الشعب هي أساس البناء

تضع حركة السودان الأخضر الشعب السوداني في صميم رؤيتها وتؤمن بأن:
«الشعب هو أساس التغيير، وهو سيد التغيير، وهو مرجعية كل تخطيط للحاضر وصناعة كل تفاصيل المستقبل».

وتُؤكد الحركة التزامها الكامل بفلسفة شعارها:
«ما يخصني لن يكون بدوني»
في تأكيد واضح على أن لا قرارات فوقية، ولا مخططات قسرية بل تغيير تشاركي ينبع من صميم المجتمع وبإرادته ليصنع هو مستقبله بنفسه ويعيد كتابة قصة نهوض السودان بيده وعقله وقلبه.

الوعد والمنى

العودة الخضراء ليست مجرد تحرك سكاني نحو الديار بل هي مشروع وطني متكامل لإعادة الحياة بصورة صحيحة ومستدامة تنطلق من الوعي بالموارد، والإيمان بالقدرات المحلية، والعمل المشترك بين الإنسان وأرضه ومجتمعه.
هي دعوة لعودة جديدة في المفهوم والسلوك، نحو سلام حقيقي، تنمية عادلة، وإنتاج نظيف، يصون السودان وطنًا وشعبًا وأرضًا.

التحرير الأخضر قادم والعودة الخضراء حتمية بالارادة والادارة والعلم والعمل.
تفجير الطاقات البشرية بالعلم والوعي وامتلاك وتسخير الآليات والتقانات الحديثة لاستغلال الموارد العظيمة المتاحة بمنهجية علمية واساليب ابداعية مبتكرة نحقق من خلالها التطور والنماء والازدهار في كل المناحي ارتقاءاً لحياة حرة كريمة.

التحرير الأخضر قادم والعودة الخضراء حتمية.
والمستقبل لنا طالما آمنا أن السودان لا يُبنى إلا بسواعد أبنائه وبحبهم لهذه الأرض الخضراء.

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

يحتل المرتبة الخامسة في القائمة

سرطان المبيض.. يغزو و يدمر الخلايا المجاورة له

دكتور - عصام صالح

● يحتل سرطان المبيض المرتبة الخامسة في قائمة أنواع السرطان التي تصيب النساء. لكنه، من حيث عدد الوفيات السنوي، يأتي في الدرجة الثانية عقب سرطان الثدي. فموقع المبيضين، المنزوي، يجعل كشف سرطانهما عسيرا جدا في المراحل المبكرة لذلك يسمى (القاتل الصامت) حيث لا يتم إكتشافة إلا في المراحل المتأخرة

• في المملكة العربية السعودية سجل المركز الوطني لإحصاء السرطان ٢٠٥ حالة في السنة لكن نظرا للتقصير في تسجيل كل الحالات من كافة المراكز الطبية في المملكة فإن عدد الحالات الحقيقي أكبر من هذا الرقم.

يتكون أي عضو في جسم الإنسان من مجموعة من الأنسجة و التي تتكون بدورها من مجموعة من الخلايا. و طبيعي أن تنمو تلك الخلايا و تنقسم حتى تكون خلايا جديدة عندما يحتاج الجسم إلى ذلك. و بعد مدة عندما تصبح الخلايا قديمة فإنها تموت و تحل محلها خلايا أخرى جديدة. و في بعض الأحيان يحدث خطأ أو اضطراب ما في تلك العملية الطبيعية. حيث تبدأ تكوين خلايا جديدة في حين أن الجسم لا يحتاج إليها. كذلك الخلايا القديمة التي يجب أن تموت لا تموت و تظل باقية. و تكون تلك الخلايا كتلة من نسيج و هو ما يُعرف بالورم. و هذا الورم إما أن يكون ورم حميد أو خبيث (سرطان) .

الفرق بين الورم الحميد و الورم الخبيث

الورم الحميد:
• لا يعتبر سرطانا.
• لا يؤدي إلى الوفاة إلا في حالات نادرة جدا.
• عادة يتم استئصاله و لا يتم تكرار الإصابة به مرة أخرى بعد الشفاء.
• لا ينتشر إلى الأنسجة المجاورة له.
• لا ينتشر إلى أجزاء أخرى من الجسم.

الورم الخبيث:
• يسمى سرطانا.
• أكثر خطورة من الورم الحميد حيث أنه يهدد الحياة.
• يمكن أن يتم استئصاله لكن في بعض الأحيان يتكاثر مرة أخرى و تعود الإصابة به.
• يقوم بغزو و تدمير الخلايا المجاورة له. ففي حالة سرطان المبيض قد تنتقل الخلايا السرطانية إلى قناة فالوب و الرحم.
•يمكن أن تنتشر الخلايا السرطانية إلى أجزاء أخرى من الجسم، حيث تنفصل بعض الخلايا السرطانية و تنتقل خلال الدم أو الجهاز الليمفاوي لتصل إلى أعضاء أخرى بالجسم و تبدأ بتكوين كتل سرطانية أخرى و تدمير أعضاء الجسم. و هذا ما يسمى الورم الثانوي أو الانتقالات. ففي سرطان المبيض قد تنتشر الخلايا السرطانية خلال الجهاز الليمفاوي لتصل إلى العقد الليمفاوية في منطقة الحوض، البطن، الصدر.
و أيضا قد تنتشر خلال الدم لتصل إلى الكبد و الرئة

أنواع سرطان المبيض

يعتمد نوع السرطان علي الطبقة التي ينشاء منها ويقسم إلي :
*سرطان المبيض الناشئ في خلايا الأنسجة الطلائية (الذي يمثل غلاف المبيض): ويصيب هذا النوع، عموما، نساءً في عمر ٥٠ فما فوق. وهو أخطر أنواع سرطان المبيض، وأيضا أكثرها شيوعا: إذ يمثل تسعة أعشار حالات سرطان المبيض.
* سرطان المبيض الناشئ من الخلايا التناسلية: وهذا النوع يصيب الخلايا التي تنتج البويضات. وعلى العموم، يطال فتيات وشابات يافعات، بخلاف النوعين السابق والتالي. لكن، لحسن الحظ، فإنه لا يمثل سوى نسبة ضئيلة من مجموع حالات سرطان المبيض.
* سرطان المبيض الناشئ من خلايا الأنسجة الضامة: ويصيب هذا النوع خلايا الأنسجة الرابطة، أي تلك التي تربط أجزاء المبيض وعناصره المختلفة في ما بينها. وهو أيضاً، مثل النوع الأول، يصيب على الأكثر نساءً في سن ٥٠ فما فوق.

عوامل الحماية التي تمنع حدوث سرطان المبيض

لوحظ في دراسات أمريكية حديثة عوامل الحماية من سرطان المبيض وهي كالتالي:
١- العمر:
أ- الحمل المبكر لدى السيدات صغار السن في العقد الثاني و الثالث يحمي السيدات من سرطان المبيض
ب- السيدات اللاتي يحدث لديهن الحمل في سن متأخرة كذلك يشكل حماية من سرطان المبيض

٢. حبوب منع الحمل: سواء لمنع الحمل أو لغايات تنظيم الدورة الشهرية بكميات قليلة حيث يبدو أنه يقلل من نسبة حدوث سرطان المبيض.

أسباب سرطان المبيض

١. حدوث خلل في الجين «براكا ١ - BRCA١» و «براكا٢ - BRCA٢» فيحدث سرطان الثدي او المبيض
٢. التأريخ المرضي لبعض السيدات اللاتي أصيبت إحدى قريباتهن بهذا النوع من السرطان أو بسرطان الثدي
٣. تلازم سرطان القولون أو الثدي أو المعدة لدى النساء القريبات - يمكن أن تدق ناقوس الخطر للإصابة بسرطان المبيض . وتسمى هذه بمتلازمة لينش
٤. عوامل غذائية: تزيد فرص حدوث هذا السرطان لدى السيدات المصابات بالسمنة وزيادة الوزن بشكل أكثر من غيرهن.
٥. عوامل أخرى : تظهر بعض الدراسات ولكن ليس بشكل قوي أن هناك عوامل قد تزيد من فرص الإصابة بهذا السرطان مثل استعمال البودرات المختلفة (بودرة التالك)، التعرض المباشر و اليومي لمادة الاسبست وشرب الكحول لسنوات عديدة والتدخين وتناول القهوة
٦- عوامل بيئة :حيث تزيد نسبة هذا السرطان في الدول الصناعية لأسباب غير واضحة

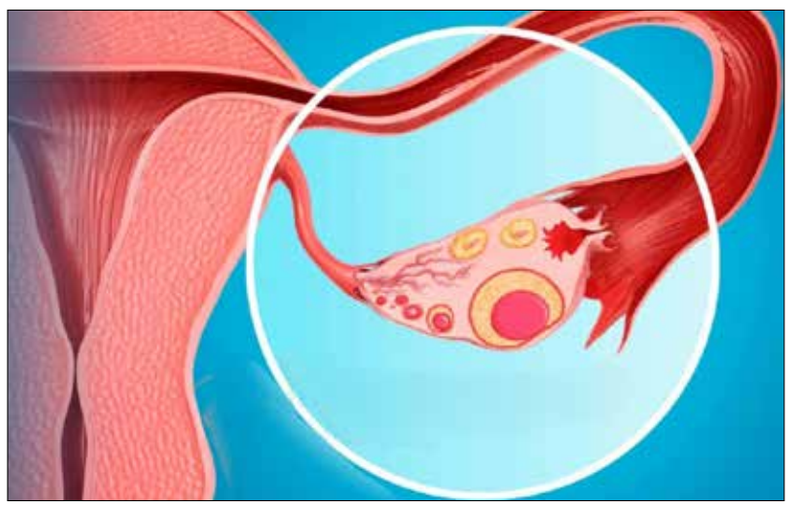

٧- أدوية علاج العقم : مازالت الدراسات متعارضة

أعراض سرطان المبيض

في البداية تكون أعراض سرطان المبيض غير واضحة لكن مع تقدم مرحلة المرض تبدأ ظهور بعض الأعراض. و تتمثل أعراض سرطان المبيض في الآتي:
• الشعور بضغط أو ألم في البطن، منطقة الحوض، الظهر، أو الساق.
• انتفاخ بالبطن.
• غثيان و عسر هضم.
• إمساك أو إسهال.
• فقدان الوزن دون وجود سبب.
• أعراض أخرى أقل انتشارا مثل: ضيق التنفس، زيادة عدد مرات التبول، نزيف مهبلي غير معروف السبب (زيادة غير طبيعية في دم الطمث أو نزيف في سن اليأس بعد انقطاع الطمث).
• أعراض عامة : مثل فقدان الشهية , فقر في الدم, اكتئاب , جلطات في الأوردة الدموية.

تشخيص سرطان المبيض

يتم تشخيص سرطان المبيض من خلال:
• الفحص الطبي:
يقوم الطبيب بالفحص الطبي الشامل لكافة أجزاء الجسم و منها فحص البطن للبحث عن أي أورام أو استسقاء) تجمع سوائل بالبطن .(كما يقوم الطبيب بفحص منطقة الحوض لتقييم المبيضين من حيث الحجم و الشكل و إذا كان بهم أي تغيرات غير طبيعية.
• اختبار الدم:
يتم قياس نسبة عامل بروتيني يسمى CA-١٢٥. و هو موجود طبيعي في الخلايا الطبيعية للجسم لكن تزداد نسبته بالدم في حالة سرطان المبيض لأنه يتواجد على سطح الخلايا السرطانية للمبيضين. و لا يتم الاعتماد على هذا الاختبار وحده لتشخيص سرطان المبيض، لكنه يستخدم أثناء العلاج لتقييم استجابة المريضة للعلاج و لاكتشاف عودة السرطان مرة أخرى بعد العلاج.
• أشعة الموجات فوق الصوتية :
يتم عمل أشعة الموجات فوق الصوتية (السونار) من خلال البطن أو من خلال المهبل .حيث يمكن رؤية المبيضين و تحديد وجود سرطان بالمبيض.
. استئصال للورم
إجراء عملية استئصال للورم ذلك من خلال فتح جراحي بالبطن أو من خلال منظار البطن. ثم يتم فحص النسيج أو السائل بواسطة أخصائي علم الأمراض للبحث عن وجود خلايا سرطانية

مراحل سرطان المبيض

كي يتم تحديد خطة علاج سرطان المبيض يجب تحديد مرحلة المرض و معرفة إلى أي مدى انتشر إلى الأعضاء الأخرى بالجسم. و يقوم الطبيب عادة بعمل بعض الفحوصات كي يستطيع تحديد مرحلة السرطان و مدى انتشاره بالإضافة إلي استئصال الورم. و مثال ذلك:
الأشعة المقطعية:
يتم عمل أشعة مقطعية على منطقة الحوض و البطن.
أشعة سينية على الصدر:
حيث يمكن أن تبين وجود أورام أو تجمع سوائل
حقنة الباريوم الشرجية:
يتم حقن حقنة شرجية من خلال فتحة الشرج تحتوي على باريوم و هواء، ثم يتم عمل أشعة بعدها لرؤية أي بقعة غريبة.
منظار القولون:
يقوم الطبيب بإدخال المنظار من خلال فتحة الشرج و يتم فحص المستقيم و القولون كاملا لرؤية إذا كان السرطان قد أنتشر إلى القولون و المستقيم أم لا.
مراحل سرطان المبيض :
• المرحلة الأولى : الخلايا السرطانية تكون موجودة في أحد المبيضين أو كليهما. و قد تظهر الخلايا السرطانية على سطح المبيضين أو في السائل الموجود بالبطن الذي يتم أخذ عينة منه
المرحلة الثانية : تنتشر الخلايا السرطانية من إحدى أو كلا المبيضين إلى أنسجة أخرى في منطقة الحوض مثل قناتي فالوب، الرحم، أو أي أنسجة أخرى بالحوض. و قد تظهر الخلايا السرطانية في السائل المتجمع من البطن
المرحلة الثالثة : تنتشر الخلايا السرطانية إلى أنسجة خارج منطقة الحوض (البطن، الغشاء البريتوني) أو العقد الليمفاوية. و قد تتواجد الخلايا السرطانية في السطح الخارجي للكبد.
المرحلة الرابعة : تنتشر الخلايا السرطانية في الأنسجة خارج منطقة الحوض و البطن. فقد تتواجد الخلايا السرطانية داخل الكبد، الرئة، أو أي أعضاء أخرى بالجسم

علاج سرطان المبيض

بعد تحديد مرحلة الورم ونوعيته يقرر الطبيب على خطة العلاج.
في أغلب حالات سرطان المبيض يتم استخدام العلاج الجراحي و العلاج الكيميائي. و في حالات قليلة جدا يتم استخدام العلاج الإشعاعي.
١- العلاج الجراحي لسرطان المبيض
يقوم الطبيب الجراح بعمل شق جراحي طويل في جدار البطن و يقوم باستئصال المبيضين و قناتي فالوب ، الرحم ، جزء من الغشاء الدهني في الحوض المحيط بالمبيضين، و العقد الليمفاوية المجاورة. و إذا كان السرطان قد أنتشر يحاول الجراح استئصال أكبر قدر ممكن منه.
أما في حالة المرحلة الأولى من سرطان المبيض (إصابة إحدى المبيضين فقط بالسرطان (فيعتمد اختيار حدود الجراحة على رغبة السيدة في الإنجاب بعد ذلك. ففي بعض الحالات تكون السيدة لها رغبة في الإنجاب و لذلك يقوم الجراح باستئصال إحدى المبيضين و قناة فالوب و يترك المبيض الأخر و قناة فالوب الأخرى حتى تستطيع السيدة الإنجاب بعد ذلك.
و يجب على المريضة أن تعلم أنها بعد الجراحة يمكن أن تُعاني من أعراض سن اليأس (سن انقطاع الطمث) بسبب عدم إفراز الهرمونات الأنثوية بعد استئصال المبيضين. و من تلك الأعراض الشعور بنوبات سخونة بالجسم، فرط التعرق أثناء الليل، جفاف المهبل.
٢- العلاج الكيميائي لسرطان المبيض
عبارة عن أدوية (مواد كيميائية) مضادة للسرطان تقوم بتدمير و القضاء على الخلايا السرطانية سريعة النمو و إيقاف نموها و انقسامها. فالخلايا السرطانية تنمو و تتكاثر و تنقسم بصورة سريعة فيعمل العلاج الكيميائي على عرقلة عملية انقسام الخلايا السرطانية و القضاء عليها. و أغلب السيدات المصابات بسرطان المبيض يستخدمن العلاج الكيميائي بعد العلاج الجراحي.
و عادة يتم استخدام أكثر من عقار. و يعطى بعدة طرق:
• حقن في الوريد: حيث يتم وضع أنبوبة صغيرة في الوريد من خلال الجلد (عادة في الذراع) و تكون ملحقة بكيس يحتوى على الدواء الكيميائي فيمر الدواء من ذلك الكيس إلى الوريد و بالتالي إلى الدم. و من خلال الدم يصل الدواء إلى جميع أجزاء الجسم و يبدأ في مهاجمة الخلايا السرطانية.
• عن طريق أنبوبة رفيعة يتم إدخالها في البطن.
• عن طريق الفم: في صورة أقراص أو كبسولات أو شراب.
٣- العلاج الإشعاعي لسرطان المبيض
عبارة عن استعمال أشعة ذات طاقة عالية للقضاء على الخلايا السرطانية ومنعها من النمو. في حالات قليلة جدا يتم استخدام العلاج الإشعاعي في بداية علاج سرطان المبيض. لكن قد يستخدم للتخلص من الألم و المشاكل الأخرى التي تعاني منها المريضة.

المتابعة

بعد العلاج تحتاج السيدة إلى المتابعة الدورية حتى و إن تم الشفاء تماما و لم تشعر بأي أعراض للسرطان. لأنه في بعض الأحيان يعود السرطان مرة أخرى بعد العلاج. و تتضمن المتابعة الدورية: الفحص الطبي لمنطقة الحوض، اختبار قياس نسبة العامل البروتيني CA-١٢٥، بعض اختبارات الدم، و بعض الأشعة
يتم المتابعة مرة كل ٣ أشهر في أول سنتين حيث يتم اخذ التاريخ المرضي والفحص السريري وإجراء بعض فحوصات الدم والأشعة وعينة من أعلى المهبل
في العام الثالث تكون المتابعة مرة كل ٦ أشهر ومرة في العام الربع والخامس
يتم إعلان شفاء المريضة بعد مرور ٥ سنوات

نسب النجاح والفشل

تقاس نسبة نجاح العلاج والشفاء بقياس فرص وجود المريضة على قيد الحياة بعد مروره٥ سنوات من العلاج حسب مرحلة السرطان التي تم التشخيص عندها كما يلي :
٢- المرحلة الأولى : ٨٠٪
٣- المرحلة الثانية : ٦٠ ٪
٤- المرحلة الثالثة : ٣٠ ٪
٥- المرحلة الرابعة : ١٠٪

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

رحلة متعمقة في كتابات الراحل محمد خير عبد الله (١-٢)

تحقيق: نبوية سرالختم

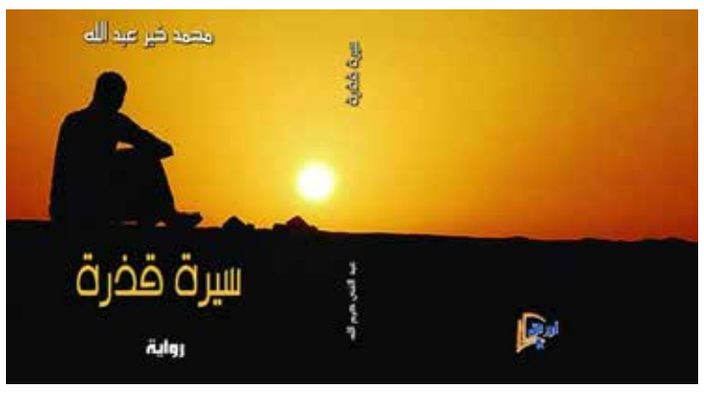

○ الموت.. تحقيق لقيم الصدق والمواجهة والتحرر

الراحل : كلما اقتربت من الموت أشعر أنني أحرر نفسي من ثقل السنوات

المفكر والكاتب الراحل محمد خير عبد الله لم تكن وفاته مجرد حدث عابر في حياته الأدبية بل تجسيد لرؤيته التي عاش من أجلها فالموت في كتاباته أداة للتأمل في الحياة ووسيلة لفهم العبثية والوجود الانساني وأداة لمقاومة القمع والظلم كانت وفاته بمثابة اختتام طبيعي لفكرته عن الموت كوسيلة للإرتحال والتحول بل وايضاً إعادة تشكيل الفهم الأعمق للوجود لهذا كان مستعداً للموت ، ليس كخوف ، بل كتحقيق لقيم دافع عنها مثل : الصدق، المواجهة، التحرر.

كان الراحل محمد خير مستعداً للموت بإعتباره جزء من دورة الحياة المؤلمة التي لا مفر منها وقد ظهر الموت في الكثير من كتاباته كمفهوم مركزي يشكل تصور متكامل عن الحياة والوجود يرسم من خلاله طريق ذي معالم واضحة لكيفية التصالح مع هذه النهاية الحتمية يقول في مؤلفه «سيرة قذرة» : «إننا نعيش لنبني أنفسنا، ولكننا نموت لتكون النهاية الحقيقية قد بدأت. الموت ليس نهاية، هو فقط تحول آخر في معركة لم ننتصر فيها.» وايضاً: «الموت ليس النهاية؛ إنه الفرصة الوحيدة لإعادة اكتشاف المعنى، الذي ضاع في المعركة.»ويعتبر الراحل ان الموت ليس الا اختبار وجودي للشخص ولكن ليس هو النهاية الحاسمة اي انه فقط نهاية جسدية ويظهر الراحل الموت في بعض اعماله بأنه طريقة للتخلص من القيود والظلم الاجتماعي فيقول «كلما اقتربت من الموت، كنت أشعر أنني أحرر نفسي من ثقل سنوات ومن الألم غير القابل للتحمل» وأيضاً «في النهاية، نجد أن الموت هو من يعيد التوازن للعالم، فهو لا يميز بين الطيب والشرير، بل يُظهر الحقيقة كما هي.» اذ اجمع العديد من النقاد ان شخصياته التي ظهرت في معظم كتاباته كانت تفضل الموت على الحياة في ظروف قاسية بإعتبار ان الموت نوع من انواع التحرر من معاناة الحياة وقد قالها بشكل صريح في روايته الساخرة «ليلة قتلني الرئيس» : «قد أختار الموت في لحظة ما، لأنني لا أستطيع العيش في هذا السجن الذي يُسمى حياة.» فهنا الموت لم يكن نهاية بل نوع من الخلاص من الظلم والقمع الذي كانت يعيشها الراحل سواء كانت معاناة مع القيود الوجودية التي تفرضها

الأنظمة السياسية او كتعبير عن ازمات شخصية مر بها فقال في ذات الرواية :»الحياة تحت وطأة الكذب لا تستحق أن نعيشها. الموت الحقيقي هو التحرر من هذه الحياة.» وأيضاً «في هذا البلد، الموت ليس موتًا فرديًا، بل موتٌ جماعي. الموت هنا يشير إلى أن الشعب لم يعد يملك القوة لتحمل الواقع القاسي.» ثم يذهب إلى أبعد من ذلك بالقول «أدركت أخيرًا أنه لا شيء في الحياة يستحق العناء. الموت يلاحقنا كظل، ولسنا إلا مجرد محطات عبور.» وأن «الموت ليس نهاية. إنه البداية لحقيقة لا نعرفها إلا عندما نصل إليها.»

كان الراحل يكتشف ذاته من خلال تجربة الموت التي مر بها في كتاباته إذ ان الموت لايأتي فجأة كما هو متعارف عليه بل هو محك ومختبر لحياة الشخص وهو يظهر في كتابات الراحل كمرآة لحياته الشخصية بل فهم عميق لمغزى وجوده هو رحلة مكاشفة مع الذات تسقط فيها الاقنعة التي يتدثر خلفها الشخص طوال حياته ففي مؤلفه المانوس يقول الراحل : «كلما اقتربت من الموت، شعرت أنني أكتشف وجهي، أكثر من أي وقت مضى. هناك شيء ما في الموت يكشف لنا ما كنا نجهله في حياتنا.» ويؤكد الراحل على ايمانه بأن الموت ليس حدث مفاجئ بالقول انه مثل الظل يتنقل مع الناس طوال حياتهم بإعتباره جزءاً من مسارهم الوجودي بالتالي هو امر حتمي لايمكن الهروب منه فهو موجود ومراقب ومتربص ففي روايته «لعنة الحنيماب» يقول : «الموت يلاحقنا أينما ذهبنا، وكأننا نركض وراءه في لعبة لا نعرف قواعدها.» هذه الفكرة عن الموت جعلت الراحل في توقع وقلق مستمر من ظل يلاحقه في مباراة غير واضحة القواعد فيقول :»الموت هو الكلمة الأخيرة لمن لا يمكنهم الاستمرار في هذه اللعبة الظالمة.» والمتأمل في النص يجد ان الراحل يتحدث عن انه يركض وراء الموت لا الموت يركض وراءه في إشارة إلى قبوله وتسليمه التام بالموت كحقيقة مطلقة يسعى لها فيقول : «الموت، الذي طالما خفت منه، بات الآن الأمل الأخير لي. لأنه في هذا العالم المليء بالظلم، لا شيء يمنحك العدالة سوى الموت.» وهذا النص يؤكد ان الراحل كانت لديه رغبة دائمة لإستكشاف حقيقة الموت والتصالح معه وهذه الجزئية تأتي كإمتداد لأراءه الشخصية حول الحقيقة والوجود والتي يمكن ان نقول انها أظهرت الموت بشكل عميق ومعقد وصلت إلى انه كان يستخدمه أحياناً كاداة لفحص الروح والتفاعل مع الواقع المأساوي الذي عاشه فيقول:»الموت ليس النهاية الوحيدة في حياة كنا قد وقعنا في فخها. بل هو الحل النهائي للهرب من عوالم لا تمثل إلا المزيد من السجون «

البروف سعد يوسف عبيد يكتب لـ (فويس): النكبة (٩)

أ.د. سعد يوسف

الحلقة التاسعة

○ (الهواجس) ○

عند وصولي طرف الشارع إندلع فجأة إشتباك عنيف عند الخور .. وبدأت القذائف المختلفة الأشكال والألوان و الأصوات تتطاير من فوقنا .. فأسرعت إلى الاحتماء بحوائط المنازل و تحركت ملتصقاً بها محاولاً الوصول إلى البيت . كنت أتحرك خطوة أو خطوتين ثم أتوقف لفترات طويلة أتسمع فيها أصوات الأعيرة النارية حتي أتمكن من تحديد موقع وزمن الخطوة التالية و تلك ثقافة أكسبتنا إياها أيام الحصار قسراً .. وصلت رفاقي تحت الشجرة .. لم يسألني أحد عن شيء لأنني عندما غادرتهم اعتقدوا أني دخلت البيت .

تواصل الاشتباك بذات العنف في المنطقة الفاصلة بين حينا و حي الدوحة .. في ذات المكان الذي توقعت أن يكون فيه الولدان ..فطاف بي طائف ثقيل .. خليط من مشاعر الرعب و القنوط وفقدان الحيلة فقلت لجلسائي وكأنني أحادث نفسي : إذن فقد مات الولدان فمن لم يمت منهما بعيار طائش مات بقذيفة مقصودة .. سارع أحد جلسائي لنفي هذه الفكرة من أساسها بتأكيده على أنهما لا بد أن يكونا قد تجاوزا منطقة الاشتباك قبل وقوعه بزمن طويل .. نظرت إليه متشككاً فاعتصم بالصمت .. ثم فتح جليس آخر موضوعاً مغايراً فلم أشاركهم فيه بكلمة واحدة .. كنت بينهم لكنني لم أكن معهم لأنني كنت أسير هواجسي .

خيم الصمت والحزن على كل شيء تحت الشجرة .. حتى أوراقها توقفت عن الحركة وتلبدت السماء بغيوم كثيفة .. مر زمن لا أعرف مقداره فغابت الشمس وتوقف الاشتباك ولم يعد الولدان فازدادت هواجسي .. سمع كل من كان بالمنطقة بالخبر فتواصلت زياراتهم لنا محاولين مواساتي و تطميني بأن الولدين لا بد أن يكونا قد أمنا نفسيهما في البيت عند بدء الاشتباك و لا يستطيعان الخروج ليلاً خوفاً من القناصة و أنهما حتماً عائدان مع شروق الشمس ..

مع ازدياد عتمة الليل لم يبق معي سوى واحد من جلسائي .. كنا صامتين واجمين .. لم نتناول ذلك اليوم وجبة الليل المكونة من ما وفرناه من وجبة النهار من خبز وعدس .. و قبل أن يغادرني جليسي الوحيد حاول إقناعي بترك المنزل تلك الليلة والمبيت معهم في الشارع المجاور .. رفضت الفكرة .. فاستبدلها بفكرة أخرى تتلخص في أن ينتدب أحد الشباب للمبيت معي فرفضتها أيضاً .. وقف جليسي و تمهل قليلاً قبل أن يتحرك علي أوافق على إحدى فكرتيه .. ثم تحرك عني متكاسلاً حتى غاب عن بصري .

قضيت ذلك الليل وحدي في البيت و ربما في الشارع كله .. لم أنم ..بل لم يلامس جسدي السرير .. كنت في حركة دائبة بين غرفتي والشارع .. كانت تلك الليلة طويلة طولاً مملاً كأن الزمن توقف .. و كانت الطبيعة من حولي مشحونة بالكآبة .. السحاب كثيف أسود اللون .. فلا نجوم ولا قمر .. الرعد يزمجر بين الحين والآخر لكنه لا يمطر .. أصوات القذائف تسمع بين الحين والآخر .. حتى آذان الفجر سمعته أو خيل إلي أنني قد سمعته كأنه آت من قاع جب لم أتمكن من تحديد مكانه .

بعد صلاة الفجر أعددت لنفسي قهوتي المعتادة شارد الذهن فلم أنتبه إلى أني نسيت أن أضع فيها بعض السكر إلا بعد عدة رشفات .. لم أعالج الأمر و واصلت ابتلاعها في جرعات كبيرة .. ثم انتظرت حتى أشرقت الشمس بضوء باهت تسلل من بين ركام السحب و قررت أن أذهب إلى نقطة إرتكاز القوات الغازية التي تبعد عنا حوالى كيلومتر ونصف الكيلومتر لأسألهم عن مصير إبني و رفيقه لأعرف إن كانا قد لقيا حتفهما في اشتباك الأمس أم لا ..

خرجت من المنزل بذات الذهن الشارد متوجهاً نحو شارع الأسفلت.. وقبل أن أضع قدمي على الأسفلت سمعت صيحات عالية بلغة لا أعرفها و.. نواصل

كلمات متمردة

غربة وألم

سارة عبدالمنعم *

○ ... ورفيق يلقي على صباحي ابتسامة؛ وحده من ظل وصاله وصلاً لا ينقطع، وإن تماديت في تمنعي عن الكتابة، فلم أراسله. ليته يعلم أن صباح الخير تعني حقاً أن صباحنا خيراً، بما أن هناك أحدٌ يتمنى لك ذلك ويمنحه لصباحك ..

في الغربة لا شيء يجمعنا سوى هاتفٍ محمول، وضحكاتٍ مرسومة، ووجهٍ أكثرت من فيضها دموعه، فصرنا حين نحزن منَ البلاد نحاكي دُموعاً أجاد من رسمها بشيء من الهزل، وحزن ينافق!

ليتني ما تركت البلاد منذ خمسة أعوام مضت. كنت في بلادي ملكة البهجة ومتعة الحياة. رغم أنف كل حزن، كانت ابتسامتي أجمل ما أملك، عطاء لا ينفد. منذ خمسة أعوام كنت في أحضان بلادي وأخي، ومنذها صرت متسولة عطف وحنان، فشتاء الغربة يَشلُ عزمك إن نويت فيه الخروج، وليل الغربة كما قال الشاعر (الليل يبقى ليل). حقا ليل الغربة واحده بثقل ألف ليلة من أيام الله.

يهمني الصباح، نسمات باردة؛ سكون .. وبداية حركة، وزقزقة العصافير، ودموع المطر. وشمس صباحها لا خير فيه إن غاب عني وجه حبيبي، وحضن بلادي. ترى إلى أين ستذهب أحلامي؟! وما قصة العُمر الذي تقتات منه أيام الغربة وأعوامها؟! يا إلهي! أين ضاع وطني وأمسه مني؛ وضعت بيقين أنني لن أجده كما كان منذ خمسة أعوام. أخشى أن أموت دونه، وأخاف من أن أدخل إليه وأجده وطناً مقطعة أطرافه من خلاف، فكل صُنّاع الحرب فيه من بني رحمه!! تباً للبلاد! إندلقت قهوتي .. قلتُ «خيراً»، كجدتي. وأعلم أن أصابعي المرتجفة غضباً، هي من دفعت قدح القهوة على فعلته.

صباحُ الغربة صباحُ حالي، إذن هو الاجمل. وبلادي صارت بنت ذاكرة. صورة جميلة لن نحتمل رؤيتها بوجه دمار قبيح. إذن، لن نرى مطار الخرطوم قريباً، وربما يختار البعض قرار نسيان الرجوع إلى الأبد.

متى سأعود؟! وإلى ماذا؟! لا شيء لي فيه. بلاد، كعادتها، سارقة أحلامنا، ولكن تعدى الأمر ذلك. صرنا بلا مقتنيات وأموال حصاد اغتراب واجتهاد. سرقوا كل شيء. سرقوا حتى ابتسامتي. من أين جاءت البلاد بهذه القسوة؟! صفقنا كثيرا في أيام كانت مليشيا المتمرد الحالي مصدر قوتنا. هللنا لهم، وكبروا معنا، ثم ذبحونا جميعا. والآن حان دور التصفيق لحامي البلاد، لا أعلم أين كانوا حتى أصبح الأوباش في بيوتنا يسكنون، بل أين كانوا حين صفقنا لهم؟ ولماذا أشتم فيكم دماء يوم حزين كانت دماء الأبرياء في ساحتكم، فأي إعدام يكون عقابا لمن يحلمون الخير لبعضهم، والحب في الله، ومن أجل البلاد؟ تبا وعدت أمي أن لا أستمع للساسة، وأن لا أصفق لحامل وعُود وسلاح، وأن أشطب من ذاكرتي أنه كان لي بالأمس حياة أجمل. لكني، لن أجدها وإن عادت حلاوتها بالغربة. وذاكرتي، أظنها، لن تكمل الأربعين عاماً معي، وهي نشطة، وليس النسيان بقسوة التوهان. أتمنى أن أفقد من ذاكرتي صور موت، ودماء، وجراح كثيرة. أظنني الآن مصاب صباحي بحمى الشوق لدار بعيدة. صنعتُ في غربتي غرفةً تشبه تلك التي في ديارِي البعيدة، ولكن وجدت الفرق في أن كل شيء هناك يحمل قيمة، فرحاً، وراحة، لا ثمن يوازي قيمتها.

تعبت. الوقت للقهوة. وصباحي خير، وأنا منشغلة عن البلاد، فلم أجد سوى الرحيل عنها، وعن أهل الحب والصحبة فيها. قدري فراق كل جميل. كان لي في شارع بيتنا شابٌ جميلٌ، كنت رفيقة دروبه، وكنا دائماً نتقاسم البهجة والضحكة. لكنه في بلد الحرب فقد ذاكرته، وأنا. وسمعت أنه استعادها في بلادٍ عربيةٍ غير بلاده، ولكنه لم يختبر رجوعها بلقاء ينفض رهق فكر وجسدٍ انتحل من التوجس والترقب والخوف من طول الانتظار.

صدقا، لست بعاشقة للألم وتجديد ذكراه. لا حزن سيفاجئني بعد ما فعلته بنا البلاد!

* كاتبة روائية.

عوض الكريم الصائغ.. (صياغة الذهب و الأدب)

بقلم : زين العابدين الحجّاز

○ ولد عوض الكريم محمد هندي عام ١٨٨٠ م فى مدينة بربر فوالده من أصول مغربية هاجر الى ليبيا ثم أقامت أسرته فى صعيد مصر . كان الضابط محمد هندى والد عوض الكريم ضمن جيش محمد على باشا الذى أتى الى السودان وأنجب ابنه في مدينة بربر. هاجر عوض الكريم من بربر الى أم درمان في مطلع القرن العشرين وامتهن حرفة الصياغ التي تعلّمها من الأرمن والأغاريق . تلقّى العلم على يد الشيخ ود البدوى في بربر كما درس على يد الشيخ محمد عبد الماجد وقد جمع بين الحرفة و العلم و الأدب والفن فكان دكانه ملاذا للفنانين والعلماء والادباء . عمل صائغاً بسوق أم درمان في نفس المكان الذي يعرف الآن بشارع الصياغ و لم يكن عمله وقفا على الصياغة فحسب بل امتد الى الزخرفة والتصميم وخراطة العاج والأبنوس . سكن بجوار سوق أم درمان في حي الركابية فكان آية في الكرم وفعل الخيرات وكان يقوم بتجهيز طعاماً كثيراً في شهر رمضان ويضعه في الطريق فإذا انصرف الناس من السوق وقت الإفطار اعترض طريقهم وعزمهم على الإفطار معه وكان الفقراء والعجزة والمساكين من أهل السوق يأتون أيضاً لمائدته اليومية . ملأ عقله بالمعرفة وأينع روحه بالإيمان والإحسان وعكف على القراءة والمطالعة وكما كان صائغا للذهب والفضة كان صائغا للعلم و الأدب .

ولما ملأت سمعته الآفاق تهافت عليه في دكانه محبو الفنون من الاجانب و المواطنين والعاشقين للجمال والإبداع . وهو الذى طعّم سيف الإمام محمد أحمد المهدي بمئة أوقية من الذهب الخالص عندما قدمه ابنه عبدالرحمن المهدى الى الملك جورج الخامس ملك انجلترا عام ١٩١٩ . عرف بوطنيته وتميّز بابتعاده ونفوره من المستعمر وقد أشاد به المجاهد الوطنى حاج الشيخ عمر دفع الله مفجّر مظاهرات عام ١٩٢٤ فأطلق عليه لقب (الوطنى العبقري المخلص) . كان يستورد كتبه وصحفه ومجلاته من مصادرها في مصر والشام والعراق والمغرب والهند . قرأ كثيرا و ناصر الدعوة الإسلامية واليقظة العربية واهتمّ بالقضايا الوطنية و الحوادث والوقائع والتقلبات التي حدثت في السودان قديماً وحديثاً حتى سنة ١٩٤٤م فجمع تلك الأشتات فى سفره الرائع (مختارات الصائغ) فكان مرجعا فى أحداثه ورجاله وأعلامه و دائرة معارف كانت فريدة فى عهدها مقارنة بالكتب التى ظهرت فى السودان فى تلك الحقبة . أثّر كتاب (مختارات الصائغ) فى مسار الفكر السوداني فهو كتاب متعدد الأغراض والموضوعات و جامع لصنوف المعارف والآداب وقد اشتمل على أبواب عديدة من التفسير والفقه والحديث والتصوف والشعر والحكم والأخبار والتراجم والتاريخ والطب والأخلاق وغيرها وهو بهذا يصنف ضمن ما يطلق عليه (كتب المحاضرات) ولا يزال التصنيف في هذا النوع من الأدب مستمراً حتى اليوم . والذي يميّز كتاب (مختارات الصائغ) من كتب المتقدّمين هو المزج بين النقول والتجارب الذاتية الأمر الذي لم يفعله أكثر المتقدّمين فجاءت حكاياته وأخباره وأشعاره متفردة لا شبه بينها وبين تلك الأخبار المكرّرة في كتب المتقدمين . وقد جمع الصائغ مادة كتابه من ثلاثمائة وستين كتاباً من مختلف الفنون والأغراض كما هو مبيّن في غلاف الكتاب الداخلي ولم يكتف بذلك بل توسّع في الأخذ من الصحف والدوريات التي كانت تصدر

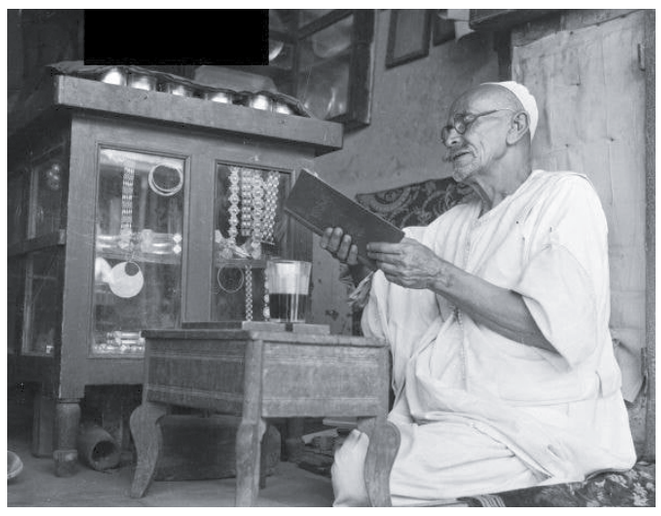

في زمانه وأضاف عليها من مجرباته وملاحظاته الشيء الكثير فجاء الكتاب آية في التنسيق والترتيب و أعجوبة في العرض والتناول و مثقلاً بالفوائد التي قلّ أن يجدها القارئ مجتمعة في كتاب واحد كل ذلك بلغة سهلة تصل في بعض المواضع إلى التعبير بالعامية . تحدّث عوض الكريم عن نفسه في أكثر من موضع من كتابه حين روى تجاربه ورحلاته ولقائه بأعيان السودان من حكّام وقوّاد وأدباء وشعراء وغيرهم وربط الأحداث التاريخية بسيرتهم الذاتية فهو يقول في مقدمة الكتاب : (أنفقت في جمعه نفيس الليالي التي هي عندي أثمن من اللآلئ .. هجرت لذّاتي في ليلي أما نهاري في مكابدة حرفتي .. جاهدت بجمعه اثنا عشر عاماً اكتحلت بلياليها السهاد وأقللت الرقاد وتصفحت لأجله أضخم المجلّدات وأحسن المؤلّفات بعد كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، مع التبرع بألفي ريال جمعتها من كدّي وعرقي لطبعه وانتشاره في العالم الإسلامي ، والمؤلفات التي ابتعتها أو استعرتها لا تقل قيمتها عن ألفي ريال وأقدّر أتعابي فيه بعشرة آلاف ريال هذه جميعها أدّخرها عند الله تعالى ليوم الثواب والحساب .. والله شاهد على ما أقول أن تلك الليالي هي زهرة شبابي وملعب أترابي ولو كان عملي فيها لغير الله لاستبدلتها . يعلم الله . بعشرات الألوف من الجنيهات فضلاً عن الريالات وقد ابتدأت به وأنا في السابعة والعشرين من عمري و قاربت الأربعين حين شرعت في تبييضه وأنا الآن بحمده تعالى مسرور بعملي مغتبط بتوفيقي أترنح طرباً بما وفّقني مولاي إليه) .

ومن محاسن كتاب المختارات تلك الفصول التي عقدها الصائغ عن الطب والمجرّبات الشعبية فقد أورد منها طائفة مع ذكر لقاءاته بأطباء (اسبتالية) أم درمان من الخواجات والمصريين والأحاديث التي جرت بينهم في الطب ومن أراد أن يؤرخ لمستشفى أم درمان الحالي فلن يجد أفضل من (مختارات الصائغ) مرجعاً له .

وعلى غرار كتب المتقدّمين فإن كتاب المختارات لم يخلو من بعض المجون المحبب إلى النفس لكن مؤلفه كان دائم الاستدراك على ما ينقله بورع شديد وتديّن ملحوظ . قسّم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أجزاء مستقلة في كل قسم فهرس خاص بمحتوياته وللكتاب طبعتان الأولى سنة ١٩٢٥م بمطبعة التوفيق الأدبية بالقاهرة والثانية سنة ١٩٤٩م بمطبعة زهران بالقاهرة أيضاً .

قال الكاتب المصري المعروف نجيب محفوظ في حوار تلفزيوني عقب حصوله على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٨م إنه تأثر في تكوينه الأدبي بكتاب (مختارات الصائغ) للكاتب السوداني عوض الكريم هندي . أديب عالمي في قامة نجيب محفوظ يقول هذا الكلام عن الكتاب ويشهد أمام الملايين بأن الذي شكّل بداياته الأدبية وقاده إلى جائزة نوبل رجل سوداني الجنسية وأدباء السودان ودولة السودان بأجهزتها الثقافية لم يلتفتوا ولم يسمعوا لا بالرجل ولا بكتابه بعد !! أليس هذا أمر محير حقاً ؟ .

عائلة عوض الكريم محمد هندى ضمّت العديد من المتفرّدين فإبنه الأديب هندي عوض الكريم أفنى زهرة حياته فى جمع وتصنيف الأغانى السودانية في كتاب وتم طبعه وتوزيعه في أوآخر الخمسينات فكان رائدا في ذلك المجال لذا فهو يستحق بكل جدارة لقب (أبوالفرج السوداني) !! . وابنه البروفسير عبد الشكور عوض الكريم بكلية الهندسة في جامعة الخرطوم الذي زاملني الدراسة في المرحلة الوسطى و الثانوية و الذى بعزمه و مثابرته استطاع أن يقفز من أسفل قائمة أقرانه التلاميذ الى أعلاها . لن أنسى عندما كنت أصطحبه الى سينما الوطنية أم درمان وهو يحمل كتاب مادة الجبرا و أثناء استراحة الفيلم يفتحه و يواصل مذاكرته في مشهد فريد قلّ ما نجده في دار للسينما ... له منّي عاطر التحايا و لبقية الأسرة الكريمة بما فيهم المهندس توفيق حسين ورمزى حسين وكيلانى و الطبيب عبدالجليل الصائغ والدكتورة فاطمه هندى . توفّى عوض الكريم محمد هندي عام ١٩٥٩ م رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجعل البركة فى ذريته وأهله .

لم يبق لنا بعد هذا الكلام الموجز عن هذا الأديب الصائغ إلا التنقيب عن المجهولين والمغمورين من أدبائنا الذين ضيّعهم الزمان فربما نكتشف في سوق أم درمان أدباء عطّارين أو جزّارين في قامة الشيخ عوض الكريم الصائغ .

قصيدة جديدة

ما يحدث...

عبد المنعم عوض

إشارة :
« الرؤيا المنامية ، علامة لموقف ما حدث في الزمان والمكان المعين (زمكاني).»

«١»
على ما يبدو في مسرح الرؤيا
رأيت أمي وأبي
في ثياب العرس ،
يجلسان على تل من الماء.
تأملتهما جيداً
«جميلين»
مثل طوق الياسمين
«قمرين»
يضيئان ظلمة البحر
والضفتين ،
فتحدثنا طويلاً ،
«دون صوت»،
في إمور عائلية...»
«لم أتذكر حينها
كل التفاصيل الخفية».
ثم إنتقلا الى مقعدين من الخضرة
يتشاطران الإنسجام ، ،
في الحديقة الخلفية .
«كانا يعشقان الأنس،
والتمر مع القهوة المرة،
والضحكة العفوية».

«٢»
في آخر الليل ،
رأيتهما ينصتان الى حوار النجوم البعيدة :
«- الحرب تحدث أخبارها
- وتنذر بالشر
من أشعل نارها».

«٣»
لم احسن الاستماع الى حديثهما معي ..
كأني في عجلة من أمري
فالرصاص المزدحم في الفراغ المندس
في الماسورة المعدنية
أشعل الظلمة بالفوضى البدينة
فأغواني الإنتباه المنسي
لأنساق وراء المسافات الرهينة.

«٤»
«كنت استلقي تحت ظل البندقية»
أستطلع الأخيلة ،
شدني الى الهدنة حبل الخوف
من الموت
فإنتبهت الى صراخ البندقية .

«٥»
«كانت المدينة مترهلة بالرعب المنزلي
عن حكايات ما يجري»
«في البيات الشتوي
للبقاء البشري
تحت الأرض».

جائزة الطيب صالح واستعادة الحياة

محمد الكاظم*

○ لم أزر السودان سوى مرة واحدة، ففرص الحياة لم تسمح بغير ذلك. وكنت منشغلاً بهمّي العراقي ووجع بغداد الذي امتد لعقود، واعترف بأني لم أجهد نفسي بما فيه الكفاية لأعرف الكثير عن السودان. وكنت اكتفي بما تقوله القنوات الفضائية وما يقوله كتاب الجغرافيا الذي درسته في المدرسة، لذلك بقيت معلوماتي عن هذا البلد العزيز بسيطة لا تتعدى المعلومات الأولية التي يتداولها الاعلام.

عشت في تسع عواصم عربية لم تكن الخرطوم من ضمنها. وكانت هذه العواصم سبباً آخر لأكون مشغولاً عن الخرطوم بالتعرف على أخواتها. الخرطوم شديدة الحياء ايضاً، فهي مختلفة عن العواصم الاخرى التي تدخل علينا الى بيوتنا بأفلامها ومسلسلاتها واغانيها وكتبها وفعالياتها ومهرجاناتها.

وجاءت الفرصة للقاء مدينة الخرطوم عندما كنت أحد الفائزين بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في مجال القصة القصيرة في احدى دوراتها الاولى. وكنت متشوقاً للقاء هذه السمراء التي يحتضنها النيل العظيم، ومتلهفاً للقاء اهلها المضيافين. لكن بُعد المسافة، وطول الطريق بين بغداد والخرطوم، وزيارة مدينة جديدة لم أزرها سابقاً، وتعثر بعض الإجراءات الروتينية أقلقني قليلاً وأوحى لي بأن هذه السمراء تتمنع عليّ لعدم وجود حبل للتواصل بيننا، لكن ذلك التمنع تحول فيما بعد الى عشق دائم، وقلق دائم ايضاً.

هناك مدن تحبها من أول نظرة، الخرطوم من هذه المدن القريبة الى القلب. ربما بسبب وجود النيل، فانا قادم من أرض دجلة والفرات، ونحن في بلادنا معتادون على رؤية النهر طوال ساعات يومنا، رؤية النيل جعلني اشعر انني في بلدي. بصراحة، لقد عشقت هذه المدينة قبل ان اراها منذ ان استمعت الى صوت الاديب الكبير مجذوب عيدروس الامين العام لجائزة الطيب صالح وهو يحدثني عبر الهاتف ليطمئن بنفسه الى اجراءات السفر، رغم ان الاخوة والاخوات الموكلين بهذا الأمر كانوا يدققون في أصغر التفاصيل التي تضمن وصول الضيوف بسلام وراحة. لكن حرصه على انجاح الفعالية جعله يطمئن الى ان كل الأمور تسير بطريقة صحيحة، هذا الحرص تجلى منذ وصولنا حتى مغادرتنا حيث حرص مجذوب ان يرافقنا طيلة الوقت ساهراً على اقامتنا واحتياجاتنا. حتى اشفقنا على صحته. كان الرجل متفانياً في حرصة على سمعة الجائزة وفعالياتها.

كنت استمتع باتصالات مجذوب الذي يطمئن على الصغيرة والكبيرة رغم انه الأمين العام للجائزة وكان يمكن ان يوكل امر الأمور اللوجستية الى مساعديه. أحببت اتصالات مجذوب لسبب آخر فانا اعلامي اعمل في مجال الاذاعة والتلفزيون، وقد شدتني تلك النبرة العميقة في صوته قبل ان التقيه. ولا اغالي إذا قلت ان الأستاذ مجذوب عيدروس كان لوحده وزارة اعلام وثقافة لبلده، وكان محرك الجائزة الذي لا يهدأ وعلامتها المميزة.

كانت الابتسامة السودانية والكرم والحفاوة تجعلك تشعر أنك تعرف الجميع منذ سنوات طويلة. وطيبة ونبل

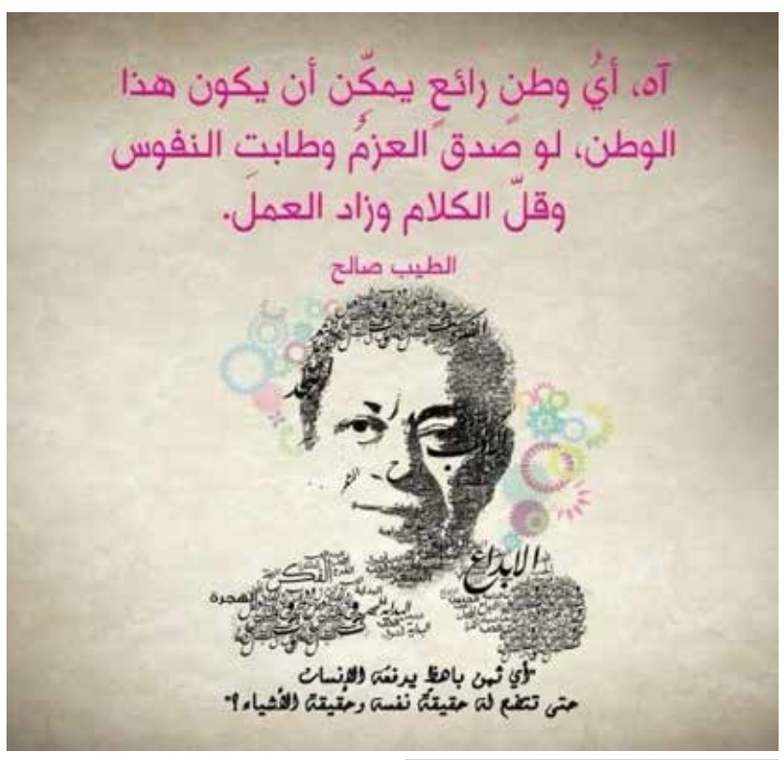

يمتلكها السودان كما شعرت بحجم حاجة السودان الى الحضور العربي (الإيجابي) الذي يبني ويدعم مشروعات التنمية ويحرك عجلة الاقتصاد. لا الذي يعرقل ويسيء الى الاستقرار ويضع

ابناء هذا البلد الكريم تشعرك بأنك بين اهلك واصدقائك.

في اول اطلالة لي من نافذة الفندق شعرت بحجم الامكانيات السياحية والاقتصادية والزراعية والبشرية التي

حياة الناس وثروات البلاد على المحك، كما شعرت بخصوصية السودان التي لا يمكن وضعها في قالب أيديولوجي فالسودان طائر له جناح عربي إسلامي وجناح آخر افريقي، وهناك نسيج ثقافي متشابك معقد يربط الجناحين.

كانت احتفالية جائزة الطيب صالح مناخاً لتلاقح الافكار وتواصل العقول والمشاعر، وفرصة طيبة لفهم سودان آخر غير السودان الذي تصوره القنوات الفضائية والتحليلات المتشائمة التي تقول ان السودان سيضيع وينتهي الى الابد.

من المهم الإشادة بجهد العاملين على انجاح جائزة الطيب صالح سواء الشركة الراعية للفعالية وهي شركة زين السودان التي حرصت على ان تكون رائدة في دعم الثقافة والابداع العربي والتواصل الفكري، عبر دعمها لهذه الجائزة المهمة، كما هي شركة رائدة في مجال التواصل الانساني في الإطار الحضاري للثقافة

اثناء تلك الزيارة وجدت في السودان حباً واحتراماً فطرياً للأدب والفن، وكان الاخوة في امانة الجائزة يحرصون على اطلاعنا على الابداع والفن والثقافة السودانية الاصيلة وعلى التراث الموسيقي والاجتماعي للسودان وعلى اشكال مختلفة من الانماط الثقافية التي تزخر بها أرض السودان. هذا الفيض من الفن والوجد والابداع والسماحة والاصالة اثار اعجاب واحترام جميع الضيوف لأهل هذا البلد المحب للفن والحياة. وبدا لي واضحاً ان جمال هذا البلد في تنوعه، وقوته تمكن في هذا المزيج الرائع من الثقافات.

كما نظرت باحترام كبير للحضور الواسع المدهش للمرأة السودانية في مختلف الانشطة الثقافية والحياتية، كما اعجبني ايضا اهتمامات المثقف السوداني بما حوله ميله للدفاع عن هويته وانتماءه بمواجهة التحديات التي يواجهها، فالسوداني مولع دائماً بحمل هموم ثقافية منتجة تضاف الى همومه اليومية وهموم بلاده.

لقد حققت الجائزة نجاحاً كبيراً، وطالما كانت مدار حديث بين الادباء العرب الذين كنت التقيهم في فعاليات أخرى في البلاد العربية، نظراً لأنها تتمتع بأهم العناصر التي تحتاجها مثل هذه الجوائز الأدبية؛ اسم الطيب صالح ورمزيته، وضيافة الانسان السوداني وسماحته، وحسن الادارة والتمويل، والاهتمام بالتفاصيل، اضافة الى اهم نقطة تحتاج الجوائز الابداعية الى توفرها وهي النزاهة.

لقد اشتركت شخصياً في عدد من الجوائز كبير من الفعاليات والجوائز الثقافية العربية ككاتب متنافس، أو كمنظّم، أو كعضو في لجنة تحكيم، وأستطيع ان أقول بضرس قاطع ان جائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي كانت من أكثر الجوائز العربية نزاهة وتنظيماً وتأثيراً، وقد كنا نشعر بالحزن لتوقفها نتيجة للظروف القاسية التي عاشتها البلاد، ونتمنى ذلك اليوم الذي تعود فيه تلك الجائزة لرفد الابداع العربي بالمزيد من الوهج والتألق، ولربط البلاد بحركة الحياة وانتشالها من مرارة الحرب، لقد عشتُ ظروف الحرب في بلدي العراق، وأعرف ان الحراك الثقافي والابداعي يمكن ان يساهم في إعادة الحياة، ويساهم في دعم الاستقرار، ويساهم في استعادة الأمل والشعور بالثقة تجاه المستقبل، ويشجع الاستثمار ودوران عجلة الاقتصاد، ويتيح مجالاً أكبر للحوار وتعزيز المشتركات، ومغادرة مرحلة الحرب الى مرحلة بناء قيم التعايش. وبما ان ذكرياتي بالسودان كلها مرتبطة بجائزة الطيب صالح يجب ان أقول ان عودة جائزة الطيب صالح للإبداع وغيرها من الفعاليات الثقافية خطوة في هذا الاتجاه. أدعو الله ان يحفظ السودان وأهله وان يجنبهم كل مكروه.

* كاتب عراقي.

قصائد جديدة

ماجدة عدلان

١/ ذات ضياء

بجوار نافذتي المواربه
قفز شيطاني من نافذته
تجاه البحر قبالة نافذتي
وتجرع من كأسي ما تبقى
من وعد ودلق ما تبقى منه
في الارض واصبح زهره

وطوى وسادتي المملوءة
صبراً وقذفها في نهر الحظ
لم ينسى ان يحمل تيه
ظنوني وانفعالاتي ويحولها
في الهواء الى مزامير راقصه
وافرغ شيطاني ما تبقى من
كأسي في جسدي فأصبحت
كائن لا يحتويه المكان

وهرب شيطاني من نافذته
ملوحاً بالبهاء

٢/ كائنات

انا اترقب الوقت
كي اسرق الساعات والدقائق
والثواني
واخفيها خلف نافذتي
بحذاقه
ربما تجد الازهار نفسها في
حالة عصيان
زهرات اللوتس وزهرة الصبار
يمضيان الى اعلى بإنتظار
دفقات الحب للإرض التي
طالت غربتها
الارض لم تقبل المهادنه
بغير الحرب او الحب
وشيئ من انكسارات الحياة
فوق التربة اللزجه

الان الاشجار يمكنها ان
تهرول بشغف بعد ان ضاعت
جذورها وان تقفز في الهواء
اول مره منذ الخليقة

أسئلة الكتابة والهوية... القاصة والروائية الجنوب سودانية استيلا قايتانو:

اتهمت بالخيانة الوطنية بسبب مجموعة «العودة»

□ تعد القاصة والكاتبة الجنوب سودانية الدكتورة الصيدلانية استيلا قايتانو من أكثر الأصوات الشبابية شهرة وحضوراً في الساحة الثقافية في السودان ودولة جنوب السودان؛ إذ كان ميلادها في السودان وتزوجت منه وذات صباح- كما كتبت بعد انفصال الجنوب- استيقظت من نومها في الحاج يوسف في الخرطوم بحري لتجد نفسها أجنبية من دولة جنوب السودان وزوجها وأطفالها مواطنون سودانيون.

وأصبح تنقل الأسرة الواحدة بجوازات مختلفة وجنسيات مختلفة بين الدولتين.

وقد امتازت كتاباتها بالغوص في حياة الأحزمة الفقيرة التي تلتف حول المدن وصراع الهوية وتحقيق الذات، صدرت لها «زهور زابلة» «والعودة» وارواح إدو وإيريم وتناول العديد من النقاد والكتاب اعمالها بالدراسة، وتمت ترجمة بعضها للغة الإنجليزية والاسبانية

قال عنها الكاتب الكويتي أ. د. فهد سالم الراشد برعت القاصة استيلا قايتانو «الجنوب سودانية» في الوصف والتصوير، ونجحت في سبر أغوار الشخصيات، وتفوقت في حديث النفس «المنلوج» وكانت ماهرة جداً في الالتفاف حول فكرة الموضوع «الثيمة» وقد جسدت في قصصها ورواياتها نماذج لشخصيات منسية من قاع المجتمع مهملة..
التقينا وكانت بيننا فضاءات من الحوار .

حوار : محمد نجيب محمد علي

● القصة القصيرة في تراجع مستمر في زمن الانفجار الروائي.. كيف تقرأين المشهد القصصي عالمياً؟

– شتى ضروب الإبداع كالكائنات الحية، تمر عليها لحظات ازدهار وركوض، ولكنها لا تموت أبداً، البيئة العالمية ملائمة للرواية، رغم أن الواقع وكل التحاليل تؤكد أن الإنسان المعاصر إنسان عصر السرعة واللهث خلف الومضات السريعة ومن ثم قد لا يكون صبوراً لقراءة النصوص الطويلة، قد يكون تحليلاً ملائماً للحالة، ولكن الواقع يوضح احتياج هذا الإنسان المنطلق بسرعة الصاروخ إلى الانسجام والغوص اكثر لمعرفة الذات الإنسانية وإيجاد تفاسير مرضية لكل التحديات التي تواجه إنسان اليوم، وليس هناك ما هو ملائم أكثر من الرواية للإجابة عن بعض الأسئلة الوجودية التي تراود إنسان اليوم القلق على مصيره ومصير العالم، في عصر غلب فيه العنف واهتزت فيه الكثير من المسلمات.

● تميزت مجموعاتك القصصية بشعرية سردية وسرد خشن.. كيف الملاءمة بين الشعرية والواقعية؟

– على ما أظن هذه واحدة من واجبات الإبداع، إعادة سرد لبعض الوقائع في قالب جمالي تخفف على المتلقي قبح الأحداث وقبح الفعل الذي تم في الواقع أو الخيال، وأظن أن مجموعة «العودة» حملت الكثير من الأحداث الخشنة التي حدثت مؤخراً، فاستعنت ببعض الكلمات والألفاظ الشعرية في وصف المكان والحالة النفسية للشخوص لإبراز الهوية الجمالية للنص طالما أنه غارق تماماً في المرارة. فالشعرية السردية فعل إسعافي استعنت به لإيجاد الوقع المناسب للنصوص على فكر وروح المتلقي.

● الانتماء لثقافة والاندماج في ثقافة أخرى.. ما مقدار العنت الذي رأيته في تقبل الكتابة بلغة الوطن الأم؟

– ليس هناك عنت بالمعنى الحقيقي، ولكنه محاولة لرتق حالة التشظي التي تتملك كاتباً يحمل عبء الانتماء لأكثر من ثقافة وقد لا يملك لغة أم بل أمهات من اللغات يوظفها في عمله المبدع، ولا بد أن يظهر ذلك جلياً في شكل تناوله الأدبي لبيئته ومجتمعه الذي ينتمي له ثقافياً وعرقياً، بالإضافة لبيئة ومجتمع آخر ينتمي له أيضاً بحكم الظرف ويكتسب كل ذلك ويصبح بوجدان مختلف ووعي صقلته التجربة والمعايشة، ليتخذ اللغة جسراً واصلاً بين تلك الشظايا، حينها يصبح التنقل بين الثقافتين كاللهو في لعبة مليئة بالأنفاق ولكنك تعلم أن كل تلك الأنفاق سوف تنتهي بعمل قد يكون مفارقاً ولكنه لا يخرج عن المسار.

● هل كتابك «العودة» بشارة برفض الانفصال والعودة إلى الوحدة على مساحات الثقافة الواسعة؟

– لا هذا ولا ذاك، أعلم أن اسم المجموعة استفزت العقول السياسية واتهمت على اثرها بالخيانة الوطنية في الجنوب، وتوجت كأيقونة للوحدة في الشمال، ولكن المعنى واضح لمن يقرأ المجموعة مجردة من التشخيص السياسي في الزمن المعين.

● تأخذ القصة القصيرة من الواقع سردية الواقع اليومي.. لماذا استأذنت القصة بالغياب عن المشهد الكتابي؟

– القصة موجودة، الآن في السودان أجد أن هناك الكثير من الأجيال الجديدة منشغلة بكتابة القصة القصيرة، والكثير من المنابر والمراكز مهتمة بإطلاق المسابقات (عبدالكريم ميرغني متمثلة في جائزة الطيب، وجائزة الطيب صالح شركة زين، جائزة غادة، والكثير).. هذه أعمال ضخمة وتجارب صغيرة سوف تتربع على عرش القصة القصيرة قريباً إذا وجدت الرعاية ووجدت طريقها للجمهور عبر الطباعة والنشر بطريقة مشجعة.

● التنوع الثقافي في دولة جنوب السودان تهزمه الحروب.. ما دور المثقف في إطفاء الحريق الاجتماعي؟

– في أجواء الحرب يتم إبعاد المثقف غصباً عنه من اللعبة برمتها ويتم عزله ومطاردته بالتهم ونفيه في أحيان أخرى، والغريبة من المعسكرين، فحملة السلاح يحترمون بعضهم دائماً ويتفقون أن المثقف مجرد كائن مزعج يجب إسكاته ليستمتعوا بأصوات طلقاتهم وقنابلهم.

ولكننا دائماً نوصل أصواتنا بطريقة أو أخرى من أجل إعلاء خيار الحوار فوق صوت البنادق، من أجل السلام وكرامة الإنسان الجنوبي المهدر في الملاجئ، من استقرار للوطن والمنطقة، وسنظل نردد أن الحرب خيار مكلف ومجرب من قبل. نتمنى لعب دور أكبر في تقريب وجهات النظر بين الخصوم.

● ما بين الصيدلة والسرد تركيبة من جزئيات الكلام والدواء.. ما العلاقة بين بناء النص وتركيب الدواء؟

– كيمياء النص تشبه كيمياء الدواء من حيث التفاصيل الدقيقة والجميلة والمعقدة ويعتمد ذلك على ذكاء الكاتب في تجميع كل هذا التعقيد في نص جمالي واحد يقرأ في جرعة واحدة، أثر النص الجمالي يحاكي أثر الدواء العلاجي صغيراً ولكنه فعال.

● كيف تنظرين لمشروع الكتابة في ظل كل هذا التشظي الإنساني الذي يعم العالم؟

– الإنسان تائه بين قيم تبناها من قبل وانقلبت ضده ولا يدري كيف يهرب منها سوى بالخرق المتواصل، العالم انفلت عن مساره وأصبح ينتظر مصيره في حيرة، في هذه الأجواء تصبح الكتابة مهمة، وثم ما يصرخ بداخلي بأن الكتابة هي الثورة التي تحتاجها الإنسانية.

● ماذا تقولين عن القصة القصيرة جداً؟

– القصة القصيرة جداً ضرب جميل ويحتاج إلى الكثير من التأمل لوضعه في قالب سردي كثيف وتعطي أثرها بضربة جملة واحدة، وهناك نشاط ملحوظ في هذا المجال من قبل كتاب أفذاذ كعمر الصائم وعلي إدريس وبهجة جلال وآخرين، وسوف يتبوأ مكانة أيضاً في فضاء السرد.

● شهادتك عن تجربتك الإبداعية في جائزة الطيب صالح العالمية وجدت قبولاً كبيراً.. ما سر ذلك التجاوب الذي استقبل به الجمهور هذه الشهادة؟

– قد يكون الصدق والجرأة وكمية الغضب الذي فيها، جاءت أيضاً في وقت مفصلي وحساس وكانت مشاعر الناس في حالة غليان، وفي حاجة لمن يقول كلاماً مختلفاً يسبح عكس التيار يعترف يصدق بكل الأخطاء ومعرياً للحقيقة، لم يكن الغرض منها دغدغة مشاعر الناس بقدر ما كانت تنفيس لألم يخصني قبل الآخرين ولكن الخاص صادف العام.

● بعد الانفصال أصبح الوضع مختلفاً عن ما قبله.. ماذا عن الجيل الجديد وكيفية التعامل ثقافياً وتربوياً وما انعكاسات التغيير في المناهج التعليمية مثلاً عليه؟

– كل جيل له ظروفه وسوف يتلاءم معه بالطبع، وسيبتكر طرق نجاته، فنحن أجيال الحروب الطويلة والسياسات الخرقاء والهزائم، أجبرنا لنركز في شأننا الخاص على المستوى المحلي ولم نعط لأنفسنا فرصة كسر القيد والانفتاح، هذا الجيل بحكم العصر يجري العالم على سطح هاتفه المحمول، وله أدواته الخاصة للتعبير، أجيال حرة، متحررة من قيد الجغرافيا والانتماءات الضيقة، بأسئلة مختلفة، قادرة على التعبير والتحليق والحوار.

● صدرت لك «زهور زابلة» و«العودة» بترجمة للغة الإنجليزية من دار رفيقي بدولة جنوب السودان.. وصدرت لك ايضا ترجمات لاعمال اخرى هل الترجمة هي الطريق للوصول للعالمية؟

– بالطبع نحن نبحث عن القارئ الآخر، لابد من أن نسعى لتوسيع دائرة المتلقين حتى نعلم أين نحن من العالم؛ الترجمة طريق لكل الإنسانية، البريطاني أنطوني كالدربانك ترجم مجموعة «العودة» وهو من قام بترجمة أعمال لنجيب محفوظ وصنع الله إبراهيم. والدكتورة عائشة موسى السعيد ترجمت مجموعة «زهور زابلة» وهذه الترجمات موجودة في السودان وجنوب السودان ودول شرق إفريقيا.

● استيلا الآن تكتب الرواية.. هل هذا تحول أم رؤية وأنت عُرفت ككاتبة قصة؟

– أحاول مجاراة العصر، وفي اعتقادي أن كتابة القصة مهمة وأيضاً الرواية مهمة، ربما يكون ذلك نوعاً من التجريب، الكثيرون من النقاد والكتاب شجعوني لكتابة الرواية لظنهم أن قصصي تحمل روح الرواية، ولا أرى أن هناك ما يمنع.

● أخيراً رسالتك للماجستير والذي حصلت عليه مؤخراً من جامعة الأحفاد في الصحة العامة آثار الإهداء الذي كتبته في مقدمة البحث الأساتذة المناقشين: «إلى أقوى امرأة عرفتها.. إلى استيلا قايتانو.. إلى أنا».. ما السر وراء هذا الإهداء؟

– نعم.. أهديت لنفسي لأنها تستحق مني الحب والتقدير، دراسة الماجستير كانت إلهاءً للنفس حتى لا أرتكب حماقة، كنت أعبر بفترة سوداء مرت ببطء شديد.. نعم.. الحمد لله. الآن أتعافى لأني أقوى امرأة عرفتها ووراء كل قصة مؤلمة سؤال يحتاج لإجابة وسؤال آخر.. هذا الإهداء إجابة لجروح لاتزال تنزف وشفاؤها في الإبداع والكتابة.

VOICE of sudanese community

السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

نقد النقد.. عبد الرحمن منيف مشرحة الملتزم فيصل دراج (٣/٣)

بقلم: عامر محمد أحمد حسين

● اللهاث السردي ●

يقول الدكتور فيصل دراج .عن رواية حين تركنا الجسر « تتضمن الرواية في سردها اللاهث المتوتر خطاباً احتجاجياً على معركة اسيء الإعداد لها ، بل على معركة لم تقع وحسمت قبل الذهاب إليها، لأن الذين يعطون الاوامر يوهمون بالمعركة ولايخوضونها .لكن الاحتجاج الذي يواكبه شعور بالعار ،لايلبث ان يتحول سريعاً إلى اتهام ذاتي ، فلو لم يقع الخصاء على المقاتلين الذين انتظروا اوامر لم تصل ، لكانوا تمردوا ودافعوا عن « قضية الجسر « ولم يتخلوا عنها ، ولعل إرتفاع نبرة الإتهام الذاتي عن سارد يندد « بالسادة الزائفين والرجل المخصي والعيون المهترئة « هو الذي يضع في الرواية غضباً مستطيراً ،شاسعاً ، لايفصل بين ضوء النهار والكوابيس المروعة .كشف منيف وهو ياخذ بتقنية المونولوج او « الحوار الداخلي « عن موهبة فنية شبه فريدة كاشفاً عن معنى العجز في كلام العاجز وحركاته والصور التي تمر في ذهنه والاطياف التي تكتسحه وفي كلامه المتقطع المتفكك الذي يوجهه الى ذاته وإلى الاشجار والسماء والكلب الأليف الذي يزامله— دراج عبدالرحمن منيف ورواية الالتزام « والموهبة شبه الفريدة للروائي الملتزم الدكتور عبدالرحمن منيف لم تصل إلى «مرحلة القدرة الفريدة، حسب التعريف، هي جوهر ما تحب أن تفعله وتفعله بشكل أفضل . إنها مجموعتك الخاصة من المواهب الطبيعية، والشغف الذي يغذيك للمساهمة بالطرق التي تحفزك أكثر. عند صياغتها، فإنها تصف «أنت» الذي يجعلك ما أنت عليه.» وقبل ان نبارح الموهبة شبه الفريدة للروائي الملتزم الدكتور عبدالرحمن منيف ، يمضي بنا دكتور فيصل دراج إلى « إستطاع منيف الذي لايميل إلى التنظير والكلمات المعقدة ، ان يتعامل مع المونولوج بموهبة مدهشة ، تشق عالم المخذول من هذيانه العالية أو كنتيجة لفقر الدم..فإذا تركنا الحالة الكلبية إلى الحالة السردية للدكتور منيف ، وهو يعبر الجسر ، وبوصف دراج « اللاهث المتوتر – وهو يشارك في معركة « اسيء الإعداد لها ، بل على معركة لم تقع وحسمت قبل الذهاب إليها – لأن الذين يعطون الأوامر ، يوهمون بالمعركة ولايخوضونها .لكن الاحتجاج الذي يواكبه شعور بالعار لايلبث ان يتحول إلى إتهام ذاتي عنيف عنوانه الخصاء،فلو لم يقع الخصاء على المقاتلين الذين إنتظروا اوامر لم تصل – دراج»

ثانياً : تبدو حالة الالتزام بقراءة دراج لاتفرق بين العمل السردي للكاتب والروائي عبدالرحمن منيف، وحالته الشعورية عندما كتب الرواية ، لذلك كان الإسقاط على الشخص الملتزم سياسياً والمناضل مجمدالنشاط السياسي التنظيمي واللاهث سردياً والمثال على ذلك يثبته دراج «ولعل إرتفاع نبرة الإتهام الذاتي عن سارد يندد « بالسادة الزائفين والرجل المخصي والعيون المهترئة « هو الذي يضع في الرواية غضباً مستطيراً شاسعاً – كشف منيف وهو ياخذ بتقنية المونولوج .والمونولوج في تعريفه : أو حديث النفس أو النجوى هو حوار يوجد في الروايات، ويكون قائما ما بين الشخصية وذاتها أي ضميرها. بمعنى آخر هو الحوار مع النفس، نقول المونولوج هذا المصطلح الذي يطلق على نوع من المسرح ومصدر الكلمة يوناني مونو، يعني أحادي، ولوجوس تعني خطاب- ويكبيديا « يحاور الروائي منيف إلتزامه القومي، وهو يحس بالنضال السردي ويعيش كوابيس ضوء النهار ، وحسب وصف دراج : كوابيس مرعبة .وبهذه النهارات وكوابيسها يؤكد دراج بان منيف « كشف وهو ياخذ بتقنية المونولوج والحوار الداخلي « عن موهبة فنية شبه فريدة ، كاشفاً عن معنى العجز في كلام العاجز وحركاته والصور التي تمر في ذهنه، والاطياف التي تكتسحه ،وفي كلامه المتقطع المتفكك، الذي يوجهه إلى ذاته ، وإلى الاشجار والسماء والكلب الأليف الذي يزامله— دراج عبدالرحمن منيف ورواية الالتزام « والموهبة شبه الفريدة للروائي الملتزم الدكتور عبدالرحمن منيف لم تصل إلى «مرحلة القدرة الفريدة، حسب التعريف، هي جوهر ما تحب أن تفعله وتفعله بشكل أفضل . إنها مجموعتك الخاصة من المواهب الطبيعية، والشغف الذي يغذيك للمساهمة بالطرق التي تحفزك أكثر. عند صياغتها، فإنها تصف «أنت» الذي يجعلك ما أنت عليه.» وقبل ان نبارح الموهبة شبه الفريدة للروائي الملتزم الدكتور عبدالرحمن منيف ، يمضي بنا دكتور فيصل دراج إلى « إستطاع منيف الذي لايميل إلى التنظير والكلمات المعقدة ، ان يتعامل مع المونولوج بموهبة مدهشة ، تشق عالم المخذول من هذيانه

وعبثه بقواعد الكلام ،إذ الطيور عرجاء ، والحقول اقزام مشوهة ، والطريق داعر واهن العضلات ، لم يطبق منيف في روايته « حين تركنا الجسر، مبدأ الحوار الداخلي بل انتجه بشكله النموذجي كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية – فيصل دراج – الكتاب «

ثالثاً : يطوف بنا دكتور فيصل دراج في فتوحاته النقدية، واللغوية وفي فقرة تجد ان موهبة منيف « شبه فريدة» أي لم تصل مرحلة جديدة في الكتابة تجعلها فريدة، وقبل ان نقرأ من اين اتى وصف شبه فريدة يخبرنا دكتور فيصل بان موهبة منيف « موهبة مدهشة « وقبل الوصول إلى الإندهاش والدهشة نكتشف بان الكاتب الكبير عبدالرحمن منيف « لم يطبق منيف في روايته « حين تركنا الجسر « مبدا الحوار الداخلي بل انتجه بشكله النموذجي كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية « ونحن في حيرة مابين موهبة شبه فريدة، وموهبة مدهشة، وموهبة اتت في الكتابة السردية مالم يصله كاتب من قبل ومن بعد « إنتاج مبدأ الحوار الداخلي بشكله النموذجي كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية — ياسلام «

..كيف انتج منيف حواره الداخلي .

يقول فيصل دراج عن عبقرية منيف في انتاج حواره الداخلي بشكل نموذجي كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية « عبر الروائي عن وحدة البنية الفنية ،والخطاب الإيديولوجي ، مؤكداً التقنية الفنية مرجعاً للخطاب ومنتجاً له ،بعيداً عن المباشرة الايديولوجية في موضوع يغوي بها غواية كبيرة .ولهذا يتكشف معنى « الهزيمة القومية « في هذيان المهزوم العاجز الذي يدور حول ذاته المهزومة التي تبدأ بالكلام وتنتهي به من دون ان تغير شيئا «

يدخل الدكتور فيصل دراج إلى الخطاب وتفكيكه بمساندة مباشرة ملتزمة بالخط العريض الملتزم للروائي المنتقل من موقع شبه الفريد، إلى ساحة الموهبة المدهشة، التي تصل إلى مرحلة انتاج التقنية الفنية كمرجع للخطاب ، وإنتاج الحوار الداخلي بشكله النموذجي، كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية.. وكل هذا التعب المرهق للروائي من اجل كشف « الهزيمة القومية « وصورتها في هذيان المهزوم – وهنا الهذيان ينسب للكاتب والروائي عبدالرحمن منيف الذي وصل مرحلة جديدة في الكتابة تجعلها فريدة وهو شبه فريد ينتج طريقة فنية تجعله في» هذيان المهزوم العاجز الذي يدور حول ذاته المهزومة التي تبدأ بالكلام وتنتهي به من دون ان تغير شيئا « وقد يفترض القراء الكرام – افتراضات مدهشة – بان الناقد والكاتب فيصل دراج ، يصف حالات ابطال منيف وإحالاته هذه مرتبطة بالتغيير المنشود من الهزيمة القومية – وصورتها في هذيان العاجز الذي يدور حول ذاته المهزومة التي تبدأ بالكلام وتنتهي به من دون ان تغير شيئا –والمعلوم بالضرورة ان دراج قد وصف منيف بشبه الفريد والموهبة المدهشة ، ومنتج حواره الداخلي بشكل نموذجي كما لو كان شخصية واضحة من شخصياته الروائية « وماذا يمنع ان يكون هو المخذول ، المعبر عن وحدة البنية الفنية، والخطاب الإيديولوجي المؤكد للتقنية الفنية مرجعاً للخطاب ومنتجاً له وكذلك بعيداً عن المباشرة الايديولوجية في موضوع يغوي بها غواية كبيرة وبعد الغواية يتكشف او ينكشف معنى الهزيمة القومية – في هذيان المهزوم العاجز الذي يدور حول ذاته المهزومة التي تبدأ بالكلام وتنتهي به من دون ان تغير شيئا « ويمضي دراج ملتزما وقائلا : حين تركنا الجسر « شهادة على وعي جيل عربي ممزق حلم بالانتصار ووصل إلى غيره ، وشهادة فنية عالية المستوى ، تبرهن ان معنى الالتزام السياسي المسؤول يعثر على معادل له في الممارسة الكتابية « ..هكذا ؟ يلتزم الكاتب سياسيا ويعبر الجسر إلى القراء الكرام وهو يمارس الغش التجاري، ويدس برنامجه الأيديولوجي داخل النص الروائي، وكل هذا العنت من اجل « البرهان على ان (الالتزام السياسي المسؤول يعثر على معادل له في الممارسة الكتابية» ومغرق الدكتور فيصل دراج بالشهادات ومنيف يكتب» شاهد اثبات على رفاق وصلوا الى السلطة السياسية ولم يلتزموا بالديمقراطية؟؟؟ – ورواية حين تركنا الجسر « شهادة على وعي جيل عربي ممزق حلم بالانتصار ووصل إلى غيره « جيل حلم بالانتصار ووصل إلى» الهزيمة القومية «

..الاستبداد وتوليد السجن الموسع..

تحت هذا العنوان كتب الدكتور فيصل دراج قائلاً : اسباب متعددة تجعل من رواية منيف « شرق المتوسط – ١٩٧٥» العمل الروائي العربي الاكثر شهرة .فهي بيان من اجل الديمقراطية في شكل روائي ، استهلها كاتبها بالتذكير ب « حقوق الإنسان « تلك الحقوق التي لايستثنى منها احد، مهما كان لونه وعرقه ودينه ، ارسل الروائي بيانه الديمقراطي الذي استقر في رواية وثيقة إلى الشعب العربي ، مكتفيا كعادته بالتلميح إلى المكان من دون التصريح به ذلك ان في شرق المتوسط بلداناعربية كثيرة،وإذا كان في التحديد الجغرافي مايضع جنوب المتوسط « ويضيف دراج «استأنف منيف في روايته – شرق المتوسط– المنددة بالقمع السياسي ، التزامه السياسي ، مستعيضا عن قاعدة « التنظيم « بالكتابة التحريضية وعن « الحزب الثوري « المجهض بالجمهور القاريء الذي يمكن ان يشكل في المستقبل حزبا يجمع بين الثورة والديمقراطية– الكتاب – دراج « الطرائق التي تستجيب لرغبة الدكتور دراج، في تأكيد التزام الراحل منيف ، تجعله اي فيصل دراج ،منغمس انغماساً لدرجة الهوس بابدال كل ادوات الكتابة الابداعية لكي تفي باطروحة الكتاب(منيف الملتزم) وهو التزام لتثبيته يجب التنازل عن الخيال، والتخييل والذائقة، والذوق والإنسانية من اجل ان تبرهن الإحداثيات المتبعة صحة الهدف– والدليل عند دراج.– استأنف منيف في روايته– شرق المتوسط – المنددة بالقمع السياسي، التزامه السياسي – مستعيضا عن قاعدة التنظيم بالكتابة التحريضية – وعن « الحزب الثوري « المجهض ، بالجمهور القاريء .والسؤال لماذا كل هذا الإصرار الثوري من منيف ؟ تأتيك اجابة من دراج – وعليك ان لاتأتيك خاطرة او وسواس، بان الدكتور عبدالرحمن منيف قائد فصيل منشق عن حزبه الثوري ، هو كاتب روائي يراه البعض مجيدا، ووصف دراج اعلاه بان رواية شرق المتوسط اشهر الروايات العربية وبقراءة الحالة الثورية للكتابة الملتزمة فإن شرق المتوسط – بيان عن حقوق الإنسان ،وبيان عن الديمقراطية، وكتابة تحريضية تسعى في المستقبل لتكوين حزب ثوري ديمقراطي ، ومن باب الالتزام يجب ان نبحث عن شكل حزب منيف وشكل الديمقراطية، ديمقراطية ليبرالية، ام ديمقراطية مركزية ملتزمة الخيال في السياسة ،والروماسية السردية ،وان يكون الحاكم شاعرا مثل ليبولد سنغور – ثوريا ديمقراطيا وشاعرا مجيدا حكم بقوة الفرانكفونية والاستلاب الشعري ،وخلف من بعده من لم يعرف عنه الثقافة، او الشعر وكان طويل القامة « عبده ضيوف– وفي رواية ديوف « والسؤال في دولة منيف المفترضة هل سيكتب فيصل دراج « الشعر الملتزم« ليمثل الحزب الثوري الديمقراطي الشعري النقدي التفكيكي السردي..

من البلكونة

(دا ...الجنني)

ملكة الفاضل *

○ معقول؟ رئيس العالم الأول يكون مثل دكتاتور العالم الثالث ، يضيع الفرصة وراء الفرصة وهو على سدة الحكم؟ واي حكم !؟ ديمقراطية تهفو لمثلها الشعوب العطشى او تظن انها كذلك حتى يتبين لها ان ما حسبته ماءا طلع (رهاب رهاب). والديمقراطية تلك الحسناء المشتهاة من سالف الزمان تصدر لهم كل قمئ، يبين لك كم هي متوحشة تلك الحسناء. . واي زمان يملك الدليل والبينة مثل زماننا هذا واي عالم لا يعوزه البرهان مثل عالمنا اليوم؟

نحن على الرغم من الطفرة التكنولوجية الكبرى وعلى الرغم من التقدم العلمي الذي يشهد العالم وعلى الرغم من تعدد أدوات البحث عن العدالة والمساواة وسيادة القانون وارتفاع صوت الحق او المنادين بالحق في شتى بقاع العالم تنقطع قلوبنا كلما طالعنا اخر نشرات الاخبار وتفعل بنا الصدمات ما تفعل ونحن نرى تحول مشاهد استهداف الماضي والحاضر تتحول إلى استهداف المستقبل ممثلا في صغار لم يتسنى لهم حتى فهم ما يدور حولهم ليذهبوا ضحية اخر اختراعات القتل والتدمير والابادة التي تعمل فيهم بمباركة من بي

أتت بهم ثقة المنتمين لافضل الانظمة التي تتطلع لها الشعوب المحبة للعدالة والحرية

والحال هكذا اجد نفسي في حالة عدم تصديق لا اخر لها. تخطينا مرحلة الصدمة واخذتنا مرحلة الترويع، ومرحلة اللامبالاة التي المت بغيرنا ممن يمتلكون زمام الأمر والقرار تبدو فاغرة فاها لتحدث «الجغمة» الكبرى وعذرا لراندوك الحرب الذي انتشر بسرعة ربما اذهلت مطلقيه. و(الجغمة) الكبرى نقصد بها هذا الانغماس في اللامبالاة الذي طال الكبير والصغير وتضرر منه ضحايا حرب الابادة في كل مكان ممن كتب عليهم الاصطلاء بنار القوى المدججة بالسلاح وتلك المدججة بالقرارات

واغرب تلك القرارات على الإطلاق قرار إزالة شعب متمسك بارضه وفيها بيته وداره ومدرسته ومستشفاه وبجرة قلم يقرر احدهم ان تصير كل تلك مدنا ومنتجعات سياحية اطلق عليها اسم الحرية.

اللهم أعنا على الفهم وتبين حقائق الأشياء فكل شيء صار صعب الاستيعاب. ولولا ان المنابر التي اطلقت منها تلك الوعود والتصريحات لا تقبل الإنكار ولا التكذيب لاعتبرت تلك التصريحات لا تخرج عن سياق (المكاواة) التي يخالطها الاستهبال بعيدا عن الرصانة والجدية

عموما ليست امة وحدها المبتلاة فربما يكون الكلام ليك يا (المنطط عينيك) وربما عليك ان تكون اكثر وعيا بحقيقة انه لا ثوابت في السياسة ولا منطق في ممارساتها ولا جدية حين تكون الجدية هي المقياس وان من تركن إلى معاييره اليوم يركن إلى معايير عدوك غدا وانك في واقع الامر ستظل نهب الحيرة والعجب والتوهان كلما طالعت اخر الاخبار وان المغني هو من يجعلك تغني معه الان « دا الجنني».

* كاتبة وروائية.

قصيدة جديدة

اعتراف

محمد نجيب محمد علي

الآن في شيخوختي
ودمي يُغامِرُ في دمي..
ما زلتُ أركضُ خلفَ صعلكةِ الفؤادِ.
ما زلتُ أبحَثُ في جُنُونيَ عن بلادي.
ما زلتُ أشتاقُ لأُنثى تُشعِلُ الحربَ معي،
ثُمَّ تلعبُ مثلَ قِطَّتِنا القديمةِ في جُنُونِ أصابعي..
ما زلتُ أحمِلُ جُرحَ أيَّامي على كتفي
وأضحَكُ مِلءَ صوتي،
وأُنكِرُ يا أحبَّائيَ موتي.
أشتهي في كلِّ يومٍ
أنْ أُغامِر..
أن أخوضَ النَّارَ والبحرَ وألعَنَ كيفما شِئتُ
ومَن شِئتُ بِلا وَجَلٍ ولا أَحَدٍ
يُكابِر.
إنَّني لعنةُ هذا العصرِ، خَيبتُهُ أنا
ودليلُهُ الحيُّ عليَّ..
فأنا المشنوقُ من عُنُقي وقلبي ويدي..
قتلوني قبلَ أنْ أُقتَلَ حتَّى جسدي،
سألوني قبلَ أنْ أفعلَ شيئاً قبلَ أنْ أسألَ بلدي..
علِّقوني مِن أصابعهمْ
إذْ قيَّدوا وجهي بأصفادِ اللَّهبْ..
أنكَرُوني، وأنا ابْنُ التَّعبْ..
يا للعجبْ!
ألآنَ في شيخوختي
ودمي يُغامرُ في دمي

قصة قصيرة

كشف عذرية

نفيسة زين العابدين – شيكاغو

○ تظاهر بتأمل ذرات الغبار السابحة في خيوط ضوء الشمس المتسللة عبر النافذة الزجاجية الشفافة في ذلك المقصف الهادئ وفي حقيقته كان يبحث في عقله وذاكرته عن كل المواقف التي وصف نفسه فيها بالشجاعة ويهتف في داخله باسم رجولته ويستنفر كل مبادئه الصالحة والطالحة، وظنونه الحسنة والسيئة، محتشدا شجاعته لينطق بجملة واحدة يستجمع قبلها تركيزه ويعاني كي لا تفوته قراءة ملامح وجه خطيبته الحسناء، وردة فعلها حينما تسمع ما سيقوله. فرك عينيه يتخلص من تأثير أشعة الشمس التي جعلت كل الأشياء في عينيه تبدو ظلالاً قاتمة. عاد إليه توازنه وظهرت ملامح الوجه الجميل الذي يجلس قبالته قلقة متسائلة. ضغط على أصابع يديه المتوترتين وهو يجمل قبح ما سيقول بافتراض النوايا الحسنة. تململت الفتاة في جلستها وهي تنتظر الأمر الهام الذي طلب لقاءها لأجل أن يخبرها به. ضاق من ترديده ونظرة الانتظار في عينيها.. همس بصوت مهزوز:

– ستذهبين معي للطبيب كي تجري كشف العذرية.

جفلت، ثم ارتجفت، ثم شعرت بقشعريرة في جلدها وأن مكان يده الممسكة بمعصمها تنبت أشواكا صغيرة تؤلمها. بحثت عن دموعها فلم تجدها. عيناها جافتان، حلقها جاف، يباس وجفاف أصاب حتى مشاعرها، والأشواك الصغيرة على جلدها تنبت أكثر وتتمدد أكثر وتوخزها بقسوة.. ويعود صوته لأذنيها بجملة جديدة:

– أنا لا أشك بك.

ثم يعود ويقول في خجل:

– بلى.. أنا أشك بكل جنس النساء.

ثم يبرر:

– لك أن ترفضي، لكن هذا شرطي لإتمام زواجي منك، أو من أي فتاة كانت.

اختبرت قدرة أناملها المتعرقة على الحركة رغم برودة المكان، وخلعت خاتم الخطبة من بنصرها، وألقت به على الطاولة قائلة بصوت مخنوق:

– أنت دون شك شخص مريض.

ثم تابعت وقد شعرت ببعض الراحة حينما ظهر حزن عميق على ملامحه:

– هل من اختبار أثبين به عذريتك كذكر؟

سؤالها أيقظ اشمئزازه من نفسه ومن مجتمع كامل يتهمه في أعماقه بقلة الشرف وفساد الأخلاق. نهضت، تأملها وهي تبتعد بخطوات رغم سرعتها تبدو مرتبكة وغاضبة. لم تكن لديه أي رغبة باللحاق بها أو الاعتذار لها. لوهلة بدت له كواحدة من فتيات عديدات فرطن في عرضهن وما زلن يرتدين قناع الفضيلة. مرت على ذاكرته أشكال وألوان وأجساد لإناث من أعمار مختلفة. آنسات وعازبات ومتزوجات، كلهن تركن في حياته صورا خدشت ثقته بأن تكون هناك أنثي بكر لم تلوث براءتها بعد. وحتى حينما ظن أنه قد عثر عليها انتابته الشكوك من جديد. يعتبر نفسه رجلا سيئ الظن دوما بنوايا الآخرين لكنه يدعى النزاهة رغم ذلك. كان يعتزم إخبارها عن كل نزواته وصولاته وجولاته مع الجنس الآخر دون أن يتوقع منها أن تخبره شيئا عن ماضيها، ولا يريد أن يعرف من ذاك الماضي سوي أنه سيكون الرجل الأول في حياتها بشهادة طبية. شعر بالحزن عليها. حتى وإن كانت نظيفة وطاهرة فإنه لن يقتنع لأن في أعماقه قد نحت رجل مشوه لا يأتمن أي أنثي على عرضه ما لم يتأكد أولا. هو دوما يشعر بالراحة حينما يقدم له الآخرون دليلا على حسن نواياهم، وهذا ما كان يريده منها. دليل على أنها بكر عذراء. رفع عينيه عن تأمل خاتمها الذهبي الصغير الملقي على الطاولة وألقي بنظرة سريعة على كوب عصير البرتقال خاصتها والذي كان على حاله لم تمسه شفتاها حتى. أشعل سيجارة ثم رفع يده للنادل طالبا فاتورة مشروباته. وبينما كان مشغولا بمراقبة المارة في الشارع من النافذة الزجاجية أخبره النادل بأن إحداهن قد قامت بدفع حسابه. وأشار إلى ركن قريب في المكان. فتاة تجلس وحيدة، رفعت يدها تحييه ثم غمزت له مبتسمة، نهض وجلس قبالتها ليشكرها وليرد إليها ما دفعته معتذرا أنه لا يقبل أن يدفع الغرباء عنه. أعادت إليه نقوده، وبحركة دلال أخبرته أنهما يمكن أن يتعارفا وذلك ليس صعبا. أخبرته باسمها، ثم اعترفت له أنها كانت تراقبه هو ورفيقته على الطاولة، وإن فتاته تبدو وكأنها قد هجرته، ثم سألته بفضول عن السبب. نظر إليها بخبث وهو يجيبها أنه سألها أن كانت ستقبل بالارتباط برجل يتمسك بكشف العذرية كشرط أساسي للزواج.. ضحكت باستخفاف وهي تبادله نظراته الخبيثة واصفة إياه بأنه رجل ساذج، ضحل، ضيق الأفق ورجعي التفكير. ضحك قائلا بصوت خافت يحمل دلالات ومؤثرات يعرف مداها جيدا على مستمعيه: (تظلمينني كثيرا) وبرقت عيناه وهو يتأمل مفاتنها المطلة من بين ملابسها الجريئة والنظرة المثيرة القابعة خلف عينيها المرتديتين لونا مصطنعا، وفي أعماقه كان يشعر بالأسف على التي رحلت عنه معترفا لنفسه أنه رجل سيئ النوايا، رجل مزدوج المعايير، لكنه معذور.

قصة قصيرة جداً

الخرقة التي قصمت ظهر الصبي

رقية طه المغربي – القاهرة

○ يقف بشفاهه المتشققة من آثار العطش، وعلى جسده قميص مرقعٌ وقذر، يواري –بالكاد– عظام قفصه الصدري البارزة، يتراءى على سحنته هدوءٌ مصطنع، يخفي في دواخله أزيز نيران حقد وحنقٍ لا يضاهيه سوى لهب شمس يوليو الاستوائية الحارقة هذا، هيئته الرثَّة وسنه الصغير لا يتسق وأحلامه الكبيرة.

يحمل في يده خرقة صفراء بالية يمسح بها نقاط العرق المتصبب على أخاديد جبهته جرَّاء الوقوف تحت الشمس، ثم يطويها ويهوي بها على زجاج السيارات الفارهة ما أن تتوقف أمامه في إشارة المرور التي يتخذ منها مقراً لعمله، يحرِّك يديه بحركات دائرية فيشير له السائق بيده ليتوقف، يتجاهله ويواصل بإصرار مسح الزجاج، ثم يُتبع حركة يديه بدعواتٍ يستجدي بها جنيهات السائق، فيشير الأخير بيده بحزمٍ أكثر هذه المرة، ليبدأ الصبي بالاستجداء أكثر، ولا بأس من ذرف بعض الدموع ليكتمل المشهد، ثم لا يلبث أن يتحول الدعاء إلى لعناتٍ يقذف بها في ظهر السائق، حين لا تنطلي الدموع عليه، ويمضي دون أن يدفع ثمن التمثيلية الرديئة هذه، يعلم الصبي أن اللعنات ستصيبه، وربما تبعتها بضعة سياط، حين يعودُ لأبيه حاملاً في يده جنيهاتٍ قليلة، لم يعد يفلح في الاختباء خلفَ والدته التي تهبُّ للدفاع عنه أمام زوجها لتلقي السياط اللاهبة بدلاً عنه، فقد كبُرت على الأذى والضرب، وكبُر هو على الاختباء خلفها، وأباه لم يزل على حاله بعد أن فقد ساقه منذ سنوات، يجلس في فراشه طوال النهار محتضناً (المذياع) القديم، يسبُّ ويلعن كل من يمر من أمامه، ثم يتجرع من قارورة الخمر البلدي النتن الرائحة، الذي يأتي له به ابن بائعة (العرق) كل يوم، ويدفع ثمنه من عرَق أبنائه وزوجته التي تنكفئ –رغم مرضها – على موقد الحطب لعمل (الكسرة)، ثم تذهب لبيعها في الشارع العام، وإن لم يفلح في أخذ الأموال منها عنوةً، يبيع كل ما تقع عينه عليه من أثاث البيت، وحتى المذياع الذي لا يفارقه لم ينجُ من يد البائع حتى أعادت زوجته المال واستعادته منه، فهو على قدمه ورداءة صوته، يُفلح في أن يَشغله عنهم لبضع ساعاتٍ قبل أن تدور الخمر برأسه.

الصغير لا يزال يذرفُ دموعه وعرَقه تحت الشمس الحارقة، التي لاتزال تتسلط بحرارتها اللاهبة على جبين الصبي، حتى إذا انتصف النهار أوى وزميله في المهنة إلى ظل شجرة هزيل لا يكاد يغطي أجسادهم المتفحِّمة قرب إشارة المرور، يفترش وصديقه بقايا وجبة الطعام التي قذف بها في وجوههم أحد السائقين، فأسرَّ للصديق أنه قد عزم على الهروب من قسوة الظروف إلى(أوربا)، سيبدأ رحلته بالذهاب إلى خاله في مدينة (الجنينة) ومنها إلى (تشاد)، ومن هناك عبر عصابات التهريب إلى أوربا، فهكذا فعل ابن خاله الذي سبقه بذات الطريق إلى هناك، مع نفر من أبناء قريتهم، مات بعضهم في الطريق غرقًا وجوعًا، وحالف الحظ والحياة البعض الآخر فنجوا، ووصلوا إلى تركيا ثم تسلَّلوا عبرها إلى اليونان حتى استقرَّ بهم المقام في فرنسا، وابن خاله هذا يعمل الآن طباخًا في مطعم فرنسي كبير، و يجني أموالًا طائلة كما أخبرَ خاله.

مالت الشمس للمغيب والصغير لايزال يحكي عن أوربا والطريق إلى الجنة التي تنتظره، ما أن يجمع ثمن تذكرة الحافلة إلى (الجنينة) والمال لبقية الرحلة.

– سأكمل تعليمي وأجني مالاً كثيراً أخلص به أمي وأخوتي من سياط والدي.

–ربما تموت في الطريق .

قذف صديقه في وجهه ممتعضاً بهذه العبارة وهو يهم بالوقوف لمواصلة العمل في مسح زجاج السيارات واستجداء سائقيها، مسح الصغير العرق عن جبينه وأجاب في هدوء :

– هل تسمي هذه التي نعيشها حياة؟ لقد لفظتنا الحياة يا صديقي منذ زمن، وتخلت عنا مع سبق الإصرار والتعنت، نحن أمواتٌ دون شهادة وفاة، وأحياء دون شهادة ميلاد، ربما لو نجحتُ في الوصول، أستطيع إكمال تعليمي إلى الجامعة ودراسة الهندسة، تعلم أنني كنتُ أجيد الرياضيات قبل أن أترك المدرسة، سأعود و أشيِّد مدرسة في الحي لأبناء الفقراء مثلنا مجاناً دون أن تسحق كرامتهم حال عجزهم عن سداد الرسوم مثل ما حدث معي،لا أستطع نسيان اليوم الذي منعني فيه مدير المدرسة من الدخول لأن أبي لا يملك المال لتعليمي، خرجتُ يومها قبل الأمتحان بأيام ولم أستطع العودة إلا بعد أن باعت أمي جزءاً من أثاث منزلنا لسداد مستحقات المدرسة، قال لي المدير يومها :

ما حاجتك للتعليم ؟ اذهب للعمل حتى تعين والدتك، ثم أشاح بوجهه عني ضاحكاً حين أخبرته أني أريد دراسة الهندسة، لا يزال دويَّ ضحكته المجلجة تلك يخترق أذنايَ حتى الآن، ولا أستطيع نسيان كلماته التي قذف بها في وجهي أمام الطلاب وهو يهز رأسه يمنة ويسرة متعجباً يقول:

– قال هندسة قال!

لم أخطُ بعدها أمام المدرسة، أنا ميتٌ منذ ذاك الصباح ، قتلتني كلماته تلك التي تفوه بها دون اكتراث،

ما الفائدة يا صديقي من أن تتشبث بحياة لا تريدك ؟ ووطن لا يعلم عن وجودك ؟ سيكون لي هناك سكني الخاص، ألقي بنفسي على فراشٍ وثيرٍ لا يشاركني فيه أحدٌ من أخوتي، وحمَّام لا تنقطع عنه المياه.

بعد أشهرٍ تلت هذا الحديث الحالم كان الصبي يختبئ داخل شاحنة بضائع متوجهة إلى (تشاد)، و السيارة تمضي مثيرة حولها الغبار في طريقها إلى الحدود بين الدولتين، كانوا ثلاثة صبية لهم نفس السحنة ويحملون ذات الحلم، دفعوا في سبيل امتطاء هذه الشاحنة حصاد عملهم لأشهر وبعض مدخرات ذويهم، أما صاحب السيارة الذي تقاضي مبلغاً سخياً مقابل أن يعبر بهم الحدود يعلم أن ما من أحد سيعترض طريقه، فهو معروفٌ لديهم ويمر من هذا الطريق كل أسبوعين، أخبرهم أنَّ مهمته تقتضي بأن يعبر بهم الحدود فقط، وهو غير مسؤول عنهم في حال ألقي القبض عليهم بعد ذلك، منه وسيلتقطهم من الحدود سائق شاحنة آخر، يعبر بهم إلى الميناء حيث يزج بهم آخر في ظلمات البحر.

أعدت أمه الشاي ووضعته على الطاولة أمام جارتها ثم رمت بجسدها المنهك على الكرسي قبالها، فبادرتها الجارة بالسؤال:–مافي أخبار من الولد؟

ابتلعت الأم غصة حلقها قائلة إن أخباره قد انقطعت منذ دخوله الأراضي التشادية، وأن الرجل الذي أوصلهم إلى هناك أخبرهم عن وصولهم بسلام ولا يعلم أين ذهبوا بعد ذلك، حاولت الجارة مواساتها وهي تقول :–كثيرون اختفوا ثم عاودوا للظهور بعد سنوات.

أمه تمسي وتصبح ملتصقة بهاتفها النقال في انتظار مكالمة منه ، امتنعت عن الخروج من المنزل خشية أن يعود في غيابها، يخيلُ إليها أحياناً أنها تراه عائداً محملاً بالنقود والهدايا فتحتضنه وتسجد لله شكراً على عودته.

لكنها لا تعلم أنه يرقد الآن جثة هامدة داخل مشرحة باردة، بمستشفى حكومي في العاصمة الليبية (طرابلس)، يحمل بطاقة (مجهول) ورقماً دون هوية، في انتظار من يتعرف عليه .

VOICE of sudanese community
السبت ١٩ أبريل ٢٠٢٥م - ٢١ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 19 APRIL 2025 - ISSUE No. 30

سجل بوكايو ساكا هدف الافتتاح بعد أن أضاع ركلة جزاء مبكرة

«المدفعجية» يقصون حامل اللقب ويعبرون

● حقق أرسنال فوزًا إجماليًا 5-1 على حامل اللقب ريال مدريد، منهيًا انتظاره 16 عامًا للوصول إلى نصف النهائي، حيث تعافى ساكا من إضاعته لركلة جزاء مبكرة ليسجل الهدف الأول في طريق فريقه نحو انتصار ساحق.

ملخص المباراة: أرسنال يمر بسهولة

بينما بدأ أرسنال بنفس تشكيلة فوزه 3-0 في الذهاب بلندن، أعاد ريال مدريد أوريليان تشواميني بعد إيقاف ليحل محل إدواردو كامافينجا المحظور، وأشرك لوكاس فاسكيز مكان لوكا مودريتش مما سمح لفيديريكو فالفيردي بالتقدم لخط الوسط.

بدأ أرسنال المباراة بثقة، حيث مثل بوكايو ساكا الخطر الأكبر بتسديدتين قويتين أجبرتا حارس المرمى تيبو كورتوا على التدخل.

حصل ساكا على فرصة ذهبية عندما منح الحكم ركلة جزاء بعد عرقلة راؤول أسينسيو لميكيل ميرينو داخل المنطقة، لكن كورتوا تصدى للتسديدة الخفيفة وأعاد الأمل لجماهير ريال مدريد المعتادة على العروض القوية في البطولة.

منع أرسنال الذكي ريال مدريد من تسجيل أي تسديدة على المرمى في الشوط الأول، واختبر كورتوا مجددًا قبيل الاستراحة عندما مرر ديكلان رايس - هداف ذهاب المباراة - الكرة لغابرييل مارتينيلي داخل المنطقة ليسدد بقوة من مسافة قريبة.

اضطر ديفيد رايا للتدخل لأول مرة عندما سدد فينيسيوس جونيور كرة مقوسة بين ذراعيه، لكن سيطرت أرسنال دفعت مدرب ريال مدريد كارلو أنشيلوتي لإجراء ثلاثة تبديلات دفعة واحدة، منها إشراك المهاجم الصغير إندريك (18 عامًا).

بعد أربع دقائق، سجل أرسنال هدفه الرابع في المواجهة عبر ساكا الذي تعافى من إضاعته لركلة الجزاء، حيث تلقى كرة رائعة من ميرينو داخل المنطقة ليسددها بروية فوق كورتوا بعد تبادل رائع بين رايس ومارتين أوديجارد.

رد ريال مدريد سريعًا عندما استولى فينيسيوس على الكرة من ويليام ساليبا على حافة المنطقة وسددها بروعة، لكن أرسنال سيطر على مجريات اللعب في الدقائق الأخيرة، حيث أدار رايس اللعب في خط الوسط بينما اختبر أوديجارد كورتوا بتسديدة قوية في الوقت الإضافي.

أكمل أرسنال انتصاره بلمسة أخيرة عندما سجل مارتينيلي الهدف الثاني في الشباك بعد هجمة مرتدة سريعة من ميرينو.

ملاحظة المراقب الفني في اليويفا:

«كان لاعب الوسط العنصر الأساسي والقائد في الملعب، حيث ساعد فريقه دفاعيًا بشكل كبير واستخدم الكرة بدقة فائقة.»

غراهام هنتر، مراسل يويفا من ملعب سانتياغو برنابيو:

بينما يعد خروج حامل اللقب ومالك الرقم القياسي بـ15 لقبًا لحظة فارقة، إلا أن طريقة تحقيق أرسنال لهذا الإنجاز تستحق التقدير. قدم الفريق أداء تكتيكيًا استراتيجيًا رائعًا، حيث ظهر لاعبو أرسنال - تلاميذ البروفيسور أرتيتا - بمستوى قريب من الكمال. خطوط دفاعية متراصة، ضغط متواصل، ثقة عالية بالنفس، وفي النهاية فوز يحافظ على سجل أرسنال النظيف في مدريد. تنافس العديد من اللاعبين على لقب رجل المباراة، واحتفل جماهير أرسنال بحماس. كانت هذه مباراة من الطراز العالمي يستحق الفائزون فيها انتصارهم تمامًا، وبدون شك، عززت من فرصهم في مواجهة باريس في نصف النهائي. يا لها من آفاق واعدة!

ردود أفعال

كارلو أنشيلوتي (مدرب ريال مدريد) قال: «كنا سعداء مرات عديدة، لكن ليس اليوم. علينا أن نتعامل مع هذا الشعور بنفس الروح التي تعاملنا بها عندما كنا نحصد الألقاب ونحن في قمة السعادة. الحقيقة هي أن آرسنال كان أفضل منا. قلت للاعبين أن يرفعوا رؤوسهم عالياً، لقد قدمنا أداءً أفضل من بعض الفرق هذا الموسم، وفي كرة القدم يجب أن تتألم. من المستحيل أن تكون لا يُهزم.»

أما تيبو كورتوا (حارس مرمى ريال مدريد) فصرح قائلاً: «عندما تُنقذ ركلة جزاء، يزداد إيمانك بأنك قادر على العودة. في بداية المباراة، صنعنا بعض الخطورة ودعمنا الجمهور بقوة. لكن آرسنال فريق منظم للغاية ويدافع جيداً - جناحيهم يعودان للدفاع ومهاجمهم يساعد أيضاً. في الشوط الأول، شعرنا بقوة أنه إذا سجلنا أولاً، فسيصبح اللقاء مفتوحاً. لكنهم سجلوا، ثم عادلنا على الفور تقريباً، وظللنا نؤمن بفرصنا، لكننا افتقدنا الفعالية في الهجوم.»

لوكاس فاسكيز (قائد ريال مدريد) قال: «كانت مباراة صعبة. لم نصنع الفرص التي كنا نرغب فيها. لم نسمح أبدًا للمباراة أن تفلت منا تمامًا، لكنها كانت مباراة متقطعة مليئة بالتوقفات، ولم تسر الأمور في صالحنا في المواقف المتكافئة. ربما افتقدنا قليلًا من الوضوح عندما كنا نمتلك الكرة، وربما كان يمكننا أن نكون أكثر صبرًا في نقل الكرة من جانب إلى آخر ومدّ دفاع آرسنال. إنهم منظمون بشكل رائع في الدفاع. تمامًا كما نتحمل جميعًا المسؤولية عند الفوز، نتحملها أيضًا عند الخسارة - هذا ببساطة جزء من كرة القدم.»

أما مايكل أرتيتا (مدرب آرسنال) فقد قال: «ربما لم أشعر بالفخر في لاعبي أكثر مما شعرت به الليلة - ليس فقط بسبب الوصول إلى نصف النهائي، ولكن بسبب الظروف التي مررنا بها، مع كل الإصابات التي عانينا منها، وأسلوب لعبنا وكيفية إدارتنا لهذه المباراة. رايس كان رائعًا بهدوئه وقدرته على قيادة الفريق وتحويل المباراة لصالحنا. أنت بحاجة إلى هذا النوع من اللاعبين في هذا المستوى. لقد برز اليوم بطريقة مختلفة عن الأسبوع الماضي. استعددنا لمواقف صعبة، ولكن عندما تُهدر ركلة جزاء ويحوطك الفوضى، تدرك كم هو صعب. يمكنني أن أستمر في الحديث عن الأفراد، لكن بوكايو تصدر اليوم.»

وصرح ديكلان رايس (لاعب وسط آرسنال) قائلاً: «إنها ليلة خاصة جداً للنادي - ليلة تاريخية. لدينا هدف واضح: نريد مواجهة أفضل الفرق والفوز بالبطولة. سمعنا الكثير من الكلام عن قدرة ريال مدريد على العودة، لأنهم فعلوا ذلك مرات عديدة من قبل، لكننا جئنا إلى هنا بإيمان كبير وثقة كاملة بعد الفوز في المباراة الأولى. كنا نعلم أننا سنعاني، لكننا كنا واثقين أننا سنفوز. آمنّا بذلك في عقولنا، والآن حققناه على أرض الواقع.»

أما مايلز لويس-سكلي (مدافع آرسنال) فقال: «عندما ترى [ملعب مدريد] على التلفاز، الأمر يختلف تماماً عندما تأتي هنا شخصياً. كان الأمر مذهلاً. في أول لحظة خرجت فيها إلى الملعب، شعرت بضغط كبير، لكنني حاولت أن أستمتع باللحظة. كفريق، كنا نعلم أن المباراة ستكون بهذه الطريقة، وكنا نؤمن أنه طالما التزمنا باللعب معاً وندعم بعضنا في اللحظات الجيدة والصعبة، سنكون على ما يرام.»

يشهدها مركز شباب كرري

الإخلاص والصقر الرياضي في ختام الدورة الرياضية .. اليوم

○ كرري - محمد الهادي

●يلتقى اليوم السبت، عند الساعة الرابعة عصراً في ختام الدورة الرياضية، التي أقيمت بمركز شباب كرري (جامسكا) فريقا الإخلاص والصقر الرياضي.

حيث وصل الفريقان للمباراة النهائية بعد منافسة شرسة من فرق الدورة.

فريق الإخلاص وصل إلى المباراة النهائية بعد تصدره مجموعته، وفي دور الأربعة فاز على فريق نجوم ال٣٧ بثلاثة أهداف دون مقابل.

أما الصقر الرياضي فقد فاز في دور الأربعة على فريق النصر بثلاثة أهداف دون مقابل.

وفي ختام المنافسة وبعد نهاية المباراة ستوزع الجوائز، ثم يتوج الفريق الفائز بكأس البطولة.

الجدير بالذكر أنّ البطولة أقامتها اللجنة الرياضية بمجلس أمناء مركز شباب كرري تحت شعار (شباب وجيش فداك يا وطن)، وقد حظيت برعاية كريمة من ثلاث مؤسسات تعليمية رائدة، هي: مدارس العطاء، ومدارس الإبداع، ومدرسة المنهل.

أبرز نجوم فريق الإخلاص

برز خلال الدورة من فريق الإخلاص كل من يوسف فوجي، ومحمد عمر (هداف البطولة)، ومصطفى عطا.

أبرز نجوم الصقر الرياضي

تألق خلال مباريات البطولة من فريق الصقر الرياضي اللاعبان إبراهيم جرادة، وخرطة.

(غبينة)

رجلٌ بلا غبينة

الناجي حسن *

● رحل رجلٌ لم يعرف قلبه طريقاً إلى الحقد، ولم تمتلئ يداه إلا بالمودّة. محمد أحمد علي (غبينة)، زميلي في النادي الأهلي، لم يكن مجرد لاعب كرة قدم، بل كان قصيدة إنسانية نادرة، كُتبت بمداد التفضل، وسُطِّرت بحروف الاستقامة.

فقدنا أكثر من مجرد لاعب كرة قدم. فقدنا إنساناً طفيفاً، زبرج حياتنا بالقسامة... (غبينة)، رحل بجسده، لكنه بقي بقلبه وروحه في ذاكرة كل من عرفه. رحل وهو يحمل نفس السماحة التي عاش بها، نفس الهدوء الذي ميَّزه، ونفس البياض النقي الذي تشبع به قلبه.

لم يكن محمد أحمد مجرد لاعب وسط متميز، يجمع بين القوة والمهارة في توازن نادر، بل كان مثالاً للرياضي الذي يفهم أن الكرة ليست فقط مهارة وأهدافاً، بل أخلاق وعلاقات إنسانية. كان يلعب بحرفية، لكنه كان يعيش بإنسانية أرقى. كان يمسك بخيط اللعب في الملعب بخبرة، ويمسك بخيط المودة خارج الملعب بقلب واسع. عرفته لاعباً تتجسَّد فيه الأناقة الرياضية، ليس فقط في تمريراته الدقيقة، بل في تعامله مع كل من حوله. كان كالنسيم المبروء، يمرّ على القلوب فلا يترك إلا أثراً رقيقاً. ولم يكن يفرّق بين صديق ومنافس.

علاقاته لم تكن محدودة بزملائه أو جماهير النادي الأهلي وحسب، بل امتدت إلى الجميع.. الإداريين، اللاعبين المنافسين، وحتى أولئك الذين لم يلتقِ بهم إلا مرات قليلة. كان الجميع يرون فيه متكأً حانياً لا يخون.. الرجل الذي لا يرفض نصيحة، ولا يبخل بتشجيع، ولا يتوقف عن دعم اللاعبين الجدد، سواء في فريقه أو خارجه. كم من مرة سمعنا عبارته الشهيرة: (نوّع لعبك يا سيد)، ناصحاً زملاءه بعدم التكرار، وبألا يكونوا مُتوقَعين، أن يكونوا مبدعين في كل حركة، في كل تمريرة، في كل لحظة. وكان يقصد بها أكثر من مجرد تكتيك رياضي. كان يريدهم أن يتعلموا فنّ الحياة، أن يكونوا مرنين كالغصن، قويين كالجذع، صافين كالندى. كان ملهماً في مدرسة الأخلاق، حيث لا شهادات تُمنح، إلا شهادة القلب الصُراح.

لم يكن هدوؤه ضعفاً، بل كان استحكاماً نادراً. في عالم يعجّ بالصداح، اختار أن يكون الصوت الرزين الذي يسمعه الجميع عندما يخفت الضجيج. في زمن يتفاخرون فيه بالعناد، كان هو الرجل الذي لا يُعرف عنه إلا التسامح. ما ترك أعداءً، لأنه لم يرَ في أحد خصيماً.

لكن الأجمل من ذلك كله، أن محمد أحمد (غبينة) عاش دون غبينة. لم نسمع يوماً أنه تشاجر، أو ارتفع صوته، أو تمرد، أو حتى اختلف مع أحد بشكل حاد. كان يبتسم حتى في أصعب اللحظات، وكان يعامل الجميع باحترام نابع من يقين داخلي بأنَّ الحياة أقصر من أن تضيع في التباغض.

رحل (غبينة) في صمت، كما عاش. رحل وهو يحمل معه إرثاً مكتنزاً بالاعتفار، كل تلك الوجوه التي أحبها، وكل تلك القلوب التي دفعها نحو الأفضل بكلماته وأفعاله. رحل جسده، لكن روحه ستظل باقية في ملعب الذكريات، تمرر كرة المودة بيننا، وتذكرنا بأنَّ الكرة الحقيقية ليست في الفوز أو الخسارة، بل في كيف نلعبها بإنسانية.

ستبقى يا محمد أحمد... ليس لأنك كنت لاعباً متمايزاً فحسب، بل لأنك كنت إنساناً مستحباً. فليست العبرة في عدد الألقاب التي تقلَّدتها، بل في عدد القلوب التي أهديتها فرحاً. فبقلبك اللين، كنت سيداً تلعب في (سيد الأتيام).

* رئيس التحرير.

«أرشيفية» لـ «سيد الأتيام» الأهلي مدني .. ويبدو النجم الفقيد (غبينة) الثالث وقوفاً من على اليسار.

بصراحة

لغة ترامب الاستفزازية تجاه دول الخليج: ابتزازٌ سياسي

نجيب عصام يماني *

● لم تكن العلاقات بين الولايات المتحدة ودول الخليج العربي يوماً مجرد تبادل مصالح آنية، بل بنيت عبر عقود على أسس من التعاون الاستراتيجي والشراكة في ملفات حساسة، أمنية وسياسية، واقتصادية. غير أن الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، ومنذ لحظة دخوله البيت الأبيض، أدخل هذه العلاقات في نفق جديد من التوتر والابتزاز المعلن. فقد اختار لغة لا تليق بحجم التحالف ولا بمكانة قادة الدول، مخاطباً دول الخليج بأسلوب تجاري فجّ، يقوم على مبدأ «ادفعوا لنحميكم»، متجاوزاً بذلك حدود اللباقة السياسية، ومحوّلاً الحلفاء إلى زبائن يدفعون تحت التهديد.

لغة تجارية تفتقر للدبلوماسية

ترامب، الذي جاء إلى الرئاسة بروح رجل الأعمال، تعامل مع السياسة الخارجية بعقلية الصفقة. في خطاباته المتكررة، لم يتوانَ عن تذكير دول الخليج بأنها تحت حماية الولايات المتحدة، وأن عليها أن تدفع ثمن هذه الحماية. بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ملوّحاً بانسحاب القوات الأمريكية إذا لم تُدفع «الفواتير»، كما وصفها. هذه التصريحات، التي جرى تكرارها علنا، ليست مجرد رأي سياسي، بل تمثل نسفاً للأعراف الدبلوماسية، واستهانة صريحة بحلفاء شكلوا لسنوات أحد أركان النفوذ الأمريكي في المنطقة.

النتائج العكسية لهذا النهج

قد يرى ترامب في خطابه نصراً شعبوياً داخليا، لكنه يجهل – أو يتغافل – أن هذا النهج يُقوّض عمق العلاقة مع الخليج على المدى الطويل. إذ إن دول الخليج، التي لطالما التزمت بالاتفاقات ووقفت إلى جانب واشنطن في محطات صعبة، بدأت تُعيد تقييم موقفها من هذه العلاقة المختلة.

ومن أبرز الآثار التي يمكن أن تنجم عن هذا النهج:

١- فقدان الثقة السياسية: فدولة تهدد حلفاءها علنا لن تُحترم كشريك موثوق.

٢- إعادة توجيه الاستثمارات: مليارات الدولارات التي تتدفق إلى الأسواق الأمريكية يمكن أن تُعاد برمجتها نحو وجهات بديلة، أكثر احتراما وأكثر التزاما بالشراكة.

٣- فتح الباب أمام الصين وروسيا: في ظل هذا الابتزاز الأمريكي، تظهر الصين وروسيا كبديلين استراتيجيين قابلين للنمو، ويملكان ما يكفي من الذكاء السياسي للتعامل بندية واحترام مع دول الخليج.

الصين وروسيا البديل الممكن والفاعل

التحول نحو قوى كبرى كالصين وروسيا لم يعد فكرة خيالية أو مخاطرة، بل بات خياراً واقعياً قيد الدراسة والتنفيذ لدى أكثر من دولة خليجية. فالصين، بسياسة «الحزام والطريق»، تعرض شراكات استراتيجية طويلة الأمد، لا تقوم على الابتزاز، بل على مبدأ «الربح المشترك». أما روسيا، ورغم التوترات الغربية، فقد نجحت في بناء حضور قوي في ملفات كبرى بالمنطقة، من سوريا إلى الطاقة.

التحالف مع هذه القوى لا يعني القطيعة مع الغرب، بل إعادة التوازن، والخروج من عباءة التبعية. فالكرامة السياسية لا تُشترى، والقرار المستقل لا يُفرض عليه ثمن.

المطلوب قرارات جريئة

استمرار الولايات المتحدة – عبر رموزها السياسية الشعبوية – في استخدام لغة التهديد تجاه الخليج، يجب أن يُقابل بقرارات سيادية شجاعة. ومن هذه القرارات:

تنويع الشراكات العسكرية والاقتصادية.

إطلاق مشاريع استراتيجية مشتركة مع الصين وروسيا في مجالات الطاقة والبنية التحتية والتكنولوجيا.

تأسيس قوة دفاع خليجية مشتركة، تقلل الاعتماد على الحماية الأمريكية.

وقف ضخ الاستثمارات الضخمة في الأصول الأمريكية كوسيلة ضغط سياسي واقتصادي.

لغة ترامب لم تكن مجرد زلة لسان، بل كانت انعكاساً لعقيدة جديدة في السياسة الأمريكية، تقوم على المنفعة المباشرة وغياب الاحترام المتبادل. والتاريخ يعلمنا أن الدول لا تُبنى على الخضوع، بل على الكرامة. واليوم، يملك قادة الخليج فرصة ذهبية لإعادة صياغة موقعهم في النظام العالمي، من خلال خيارات جريئة تحمي السيادة وتعيد التوازن للعلاقات الدولية. فزمن الهيمنة الصامتة قد ولّى، وجاء وقت الرد الحازم بلغة المصالح والمواقف، لا بلغة التبعية والسكوت عن الإهانة.

* كاتب صحفي سعودي.

قول الكاميرا:

□ توتي عصر جمعة .. يا ترى هل يعود ذا الزمن؟.

عدسة: فريعابي محمد أحمد

قرد يتورط في جريمة قتل بمدينة مراكش

○ في حادثة غريبة ومأساوية اهتزت لها منطقة ستي فاطمة الجبلية بنواحي مراكش، لقي سائح مغربي مصرعه، بعدما تسبب قرد في سقوط حجر ضخم من منحدر صخري، ليستقر على جسد الضحية، وينهي حياته بطريقة مأساوية.

وتعود تفاصيل الحادث، حسب ما أفادت به مصادر محلية، إلى لحظة كان فيها الضحية يتجول بالقرب من أحد المسالك الجبلية الضيقة بالمنتجع السياحي الشهير، قبل أن يفاجأ بصخرة تتهاوى من الأعلى، ويظهر لاحقاً أن سقوطها كان بسبب قرد كان يلهو، غير مدرك لما ستؤول إليه لعبته البريئة.

وتعرض الضحية، وهو رجل في متوسط العمر لإصابات بليغة على مستوى الرأس والصدر، لم تفلح معها محاولات الإسعاف، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة دقائق بعد الحادث، وسط ذهول شهود عيان وسياح آخرين كانوا متواجدين بعين المكان.

وهرعت السلطات المحلية وعناصر الدرك الملكي على الفور إلى موقع الحادث، حيث باشرت تحقيقاً عاجلاً للوقوف على الملابسات الحقيقية، رغم الطابع الغريب وغير المألوف للواقعة، خاصة وأن الأمر يتعلق بحادث مميت تسببت فيه بشكل غير مباشر حيوانات برية تعيش في المنطقة.

وتم نقل الجثة إلى مستودع الأموات بمراكش، في انتظار استكمال التحقيقات تحت إشراف النيابة العامة المختصة، فيما خلقت الحادثة نقاش شروط السلامة في المسالك السياحية المفتوحة أمام العموم، وضرورة توفير سبل الوقاية وتأمين الزوار، خاصة في مناطق تعرف توافد حيوانات برية قد تتسبب في كوارث غير محسوبة العواقب.

من الآخر

وفاة أمي الصغيرة.. مروة الطيب

د. ناجي الجندي *

● حينما ترفع أمك سماعة التلفون وتقول لك (كيفنك؟) فقد تكفيك هذه الكلمة عمر كامل، ولما تسألك عن أولادك وعن سبب تأخرك عليها تحس حينها إنك (بني آدم) الاهتمام أمر غالي في هذه الحياة وصعب ونفيس وشبه معدوم في عالم اتخذ من السرعة مبدأ وطريقة وعنوان، الكل مشغول حتى الفارغون مشغولون.

الأم فقط هي من يمكن أن تعطيك هذا الإحساس إنك (بني آدم) ويوم أن ترحل هذه الأم ستندم ندمًا كبيرًا ليس لأنها رحلت بل لأنك أصبحت ليس (بني آدم) أو شعور كهذا، ستندم بأنك قصرت معها ولم تعطها كل شيء، ستندم لأن ثمة (قريشات) تبقت في جيبك لم تدفعها لها كلها، فقد أعطيتها الجزء القليل وأبقيت عندك بعض منها، ستندم لأنك قصرت ولم تحملها على كتفك وتطوف بها بيت الله الحرام، ستندم لأنك في كبرها شاهدت أختك تغسلها وتأكلها وتسقيها الماء وأنت تنظر فقط لأنك (راجل) لم تُخلق لهذا، أو هكذا نحسبها، ستندم لأنك لن تسمع بعد اليوم (كيفنك) ولا أولادك كيفنهم؟، ستندم لأن من أشبعك الحنان والرأفة والسؤال ذهب دون أن تعوضه ما قدمه لك، ستندم لأنك حينها فقط ستفهم بالجد إنه في موت، وستعرف أن الموت لا يُفرق بين أمك وأختك وبنت الجيران وآخر في بلدٍ أخرى.

لذلك كان علينا أن نحتفل بعيد الأم ليس كعيد الكفار مرة في العام، بل علينا أن نحتفل به في تغيير سلوكنا لما كانت تحب، وفي الدعاء لها وفي الإخلاص لكل وصية قالتها والاهتمام بكل تفاصيل كانت تحبها، حتى تستعيض عن تقصيرك فيها، الذي لم يجرب فقد الأم (كلام من مُجَرِّب) عليه من هذه اللحظة لعق حذائها لتنظيفه لها، وتسريح شعرها، وغسل هديماتها، وتعديل مخدتها وأن يُشعرها بأنها (بنية آدم) لأنك حتمًا ستشعر بالندم لما تفارقك وأنت لم تحملها على كفوف الراحة حبًا وردًا للجميل.

خلق الله مثل الأم أناسٌ كُثُر، أولهم الأب وقليل من الأخوة والأحباب، واليوم أريد أن أحدثكم عن من عَوَّضَ جيلاً كاملاً وشعبًا كاملاً عن أمهاتهم وكانت تحسسهم بأنهم (بني آدميين) هي المهندسة المرحومة مروة الطيب حسن أم الخيرين وأم كل من فقد أمه لأنها كانت تُشعرنا بأننا بني آدميين، وكانت تقول لنا (كيفنكم) في كل حين ووقت، مروة الطيب توّام الإحسان وعمل الخير، نذرت نفسها للناس ولخدمتهم ولم تقل في وجه أحدنا (لا)، نصيرة المساكين مروة التي ضجت بها الأسافير حزنًا وألمًا ودعاءً، فقددتها خمسة مستشفيات لم تكن تعمل فيهن لكن كانت تكمل كل نواقصها من أجهزة ومعدات وأسِرَّة وإضاءة ومكيفات باختصار قل (كل شيء)، كانت ذات كاريزما مختلفة تتصل تجري تسابق تصر وتطلب ممن يثقون بها حتى كانت تردد في مسمعي عند كل مشروع (أنا الحلبية الشحادة)، وهي (تشحد) للغير ولخدمة الغير لا لنفسها لكن تقول ذلك لأنها عُرفت بحب القفشات والابتسام والمباشرة.

توفيت مروة وهي في عز شبابها النضر لم تُخلف وراءها إلا كل جميل بل أنها (لسان صدق في الآخرين)، أحبابها من أهلها وأصدقائها وزملائها ومنذ وفاتها قبل ثمانية أيام مصدومون ولا يجدون من يؤنس وحشة فقدهم ولا من يربت على كتوفهم لأن هذا كان عملها هي والآن انقطع الحبيب وتوقف الحضن الحنون وسكت شادي الخير، وعض الأنام أناملهم.

ومن لنا بعدك!؟.

وداعًا مروة وداعًا أم الخير وإلى جنات الخلد.

* كاتب صحفي.

اعتقال طبيب (مزيف) بعد وفاة ٧ مرضى خلال عمليات جراحية!

○ ألقت السلطات الهندية القبض على نارايندرا فيكراماديتيا يادااف (٥٣ عاماً) بتهمة انتحال شخصية طبيب القلب البريطاني الشهير الدكتور ن. جون كام، وإجراء عمليات جراحية غير مرخصة تسببت في وفاة سبعة مرضى داخل مستشفى تبشيري في مدينة داموه بولاية ماديا براديش.

وحسب ما ذكرته صحيفة الإندبندنت «Independent» يواجه يادااف اتهامات بتزوير شهادات طبية والعمل في مستشفيات هندية لمدة قرابة ٢٠ عاماً، مستخدماً مؤهلات مزيفة، من بينها شهادة MBBS وMRCP من لندن، بالإضافة إلى درجة تخصص في أمراض القلب.

لكن تحقيقاً أجرته قناة NDTV كشف أن رقم تسجيل شهادة الـMBBS يعود في الأصل إلى امرأة، ولا توجد أي سجلات موثوقة لبقية الشهادات.

وبحسب الشرطة، أجرى يادااف ٦٤ عملية، منها ٤٥ عملية قسطرة، خلال فترة قصيرة في مستشفى داموه، ما أدى إلى وفاة سبع حالات. وقد أُثيرت الشكوك حوله في فبراير الماضي بعد بلاغ من لجنة رعاية الطفل، ثم اختفى دون إنذار.

وكشفت اللجنة لاحقاً أنه مطلوب في ثلاث ولايات هندية على خلفية قضايا طبية سابقة تعود إحداها إلى عام ٢٠٠٦، حين تسببت عملياته في مستشفى أبولو بولاية تشاتيسغار بوفاة ثمانية مرضى، بينهم رئيس سابق لبرلمان الولاية.

قال مسؤول في المستشفى لصحيفة The Indian Express إن يادااف «كان يتصرف كمحترف بارع، ولم يشك أحد في أمره»، فيما أشار الدكتور جون كام الحقيقي إلى أن «قضية انتحال هويته ظهرت قبل خمس سنوات على الأقل»، وأن يادااف «ادعى تدريبه في مستشفى سانت جورج بلندن».

اللافت أن يادااف، وقبل ساعات من اعتقاله، تقدم بإشعار قانوني يطالب فيه بتعويض قدره ٥٠ مليون روبية (نحو ٤٥٥ ألف جنيه إسترليني) من الجهات التي اتهمته بانتحال الهوية.

وفي منشورات إلكترونية تعود لعام ٢٠٢١، زعم يادااف تأسيس «معهد جون كام للعلوم الطبية» في ولاية راجستان، وادعى التخطيط لمشاريع مماثلة في فيتنام وتنزانيا تحت إشراف فريق أطباء دوليين، وقدم نفسه كطبيب ألماني شهير.

وتواصل الشرطة التحقيق في قدراته الطبية، بعد العثور على أوراق وأجهزة تشير إلى استخدام هويات مزيفة. وأمرت المحكمة بحبسه خمسة أيام على ذمة التحقيق، بينما أعلنت حكومة ولاية ماديا براديش فتح تحقيق رسمي في القضية.

اليمن يسترد قطعة أثرية من حفيد ضابط بريطاني سابق

○ ذكرت السفارة اليمنية في بريطانيا، عبر منصة «إكس»، أنها استعادت قطعة أثرية يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد (١٠٠ ق.م)، كانت بحوزة مواطن بريطاني يُدعى كريج جريفتس، بحسب تقارير إعلامية.

وأفادت السفارة أنه تم استرجاع القطعة الأثرية أثناء لقاء جمع كريج جريفتس وقيادة السفارة اليمنية لدى بريطانيا في مبنى السفارة بلندن.

وقالت السفارة إن هذه الخطوة تأتي ضمن الجهود التي تبذلها السفارة لمتابعة استعادة الآثار واللقى التاريخية اليمنية، حيث تم التواصل مع حائز القطعة في أستراليا بمراسلات تضمنت متابعة المناشدات التي أطلقتها السفارة بخصوص استرجاع الآثار اليمنية.

وكان المواطن البريطاني قد أشعر السفارة بأن لدى أسرته في بريطانيا قطعة أثرية يمنية آلت إلى حيازته من والده، وأنه على استعداد لإعادتها لليمن وتسليمها للسفارة.

ورحبت السفارة بمبادرته وقامت بإشعار وزارة الخارجية، ووزارة الإعلام والثقافة، وتمت الترتيبات لاستلامها.

وأفاد كريج في مراسلاته مع السفارة بأن حيازته للقطعة انتقلت إليه من والده الدكتور جاريث جريفتس، الذي عمل ضابطا في القوات الجوية البريطانية أثناء وجوده في إمارة بيحان بمحافظة شبوة جنوب شرق اليمن، حيث حصل عليها من أحد أقارب حاكم بيحان هدية بعد أن عالجه من مرضه.

ورجح أحد المختصين في قطاع الآثار بمدينة عدن أن تكون هذه أول مرة يستعيد فيها اليمن قطعة أثرية كانت بحوزة أحد ضباط الجيش البريطاني، الذي سيطر على عدن ومحافظات الجنوب لنحو ١٢٩ عاما قبل انسحابه من البلاد في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧.

يُذكر أن اليمن يسعى منذ سنوات إلى استعادة القطع الأثرية التي نقلت خارج البلاد، بعد رصدها في مزادات علنية بأوروبا وأميركا.

مقتل بطلة فيلم مشارك بـ«مهرجان كان» بغارة إسرائيلية على غزة

○ لقت المصورة الفلسطينية فاطمة حسونة حتفها جراء غارة جوية إسرائيلية على قطاع غزة.

وكانت فاطمة بطلة فيلم وثائقي من المقرر أن يعرض للمرة الأولى في دورة العام الجاري لمهرجان كان السينمائي الدولي ضمن برنامج موازٍ.

وذكرت مصادر طبية في قطاع غزة أن فاطمة وتسعة من أقاربها لقوا حتفهم إثر تعرض منزلهم بشمال قطاع غزة لغارة في الساعات الأولى من صباح الأربعاء.

لم يعلق الجيش الإسرائيلي في البداية على ضحايا الهجوم الذي وقع بمدينة غزة. ولدى سؤاله، قال إن هدف الهجوم كان فرداً بكتيبة محلية لحركة حماس.

وقال الجيش إنه اتخذ «خطوات لعدم الإضرار بالسكان المدنيين» مضيفاً أنه استخدم «أسلحة دقيقة»، حسب تعبيره.

يذكر أن فاطمة كانت بطلة الفيلم الوثائقي «ضع روحك على يدك وامش» الذي من المقرر أن يعرض في مايو في برنامج «جمعية السينما المستقلة للتوزيع» بمهرجان كان.

نعامة تضع رئيس وزراء بريطانيا السابق في موقف لا يُحسد عليه

○ تعرّض رئيس الوزراء البريطاني السابق بوريس جونسون لهجوم مفاجئ من نعامة أثناء رحلة سفاري مع عائلته في ولاية تكساس الأميركية.

فقد أظهر مقطع فيديو، نشرته زوجته كاري جونسون على حسابها في «إنستغرام»، لحظة اقتراب النعامة من نافذة السيارة حيث كان جونسون يستعد لإطعامها، لكنها فاجأته بنقرة سريعة على يده، ما دفعه للتراجع بسرعة وهو يصرخ «يا إلهي، اللعنة».

وكتبت كاري تعليقاً على الفيديو: «مضحك جداً لدرجة لا يمكن تجاهلها»، مشيرة إلى أن التجربة كانت تسير بسلاسة حتى لحظة ظهور النعامة. وأضافت: «كل شيء كان يسير على ما يرام... حتى».

الفيديو، الذي انتشر بسرعة على شبكات التواصل الاجتماعي، أظهر العائلة في لحظات وهم يطعمون الحيوانات من نوافذ سيارتهم، بما في ذلك الغزلان وبعض الحيوانات البرية، وسط أجواء مليئة بالضحك والتفاعل – باستثناء المواجهة المثيرة مع النعامة.

ويقضي بوريس جونسون وزوجته كاري إجازتهما في تكساس برفقة أطفالهما الثلاثة: ويلفريد (٤ سنوات)، رومي (٣ سنوات)، وفرانك (عام واحد).

وتفاعل مستخدمو مواقع التواصل مع الحادثة بشكل واسع، وقال أحد المعلّقين: «حتى في البراري، لا يخلو يوم بوريس من الإثارة»، بينما كتب آخر: «هل هناك سياسي آخر يتمتع بسجل طريف كهذا؟».

صادرت «آيبادات» ابنتيها لتحفيزهما على الدراسة لتجد نفسها معتقلة!

○ أثارت حادثة اعتقال المعلمة فانيسا براون، البالغة من العمر ٥٠ عاماً، جدلاً واسعاً في المملكة المتحدة بعد اعتقالها ومنعها من رؤية ابنتيها إثر مصادرتها لجهازي «آيباد» خاصين بهما.

وحسب ما ذكرته صحيفة الغارديان "The Guardian" قُبض على براون في ٢٦ مارس الماضي، بتهمة سرقة الجهازين، رغم أنها صادرت الأجهزة لتشجيع ابنتيها على التركيز في دراستهما. وقد تتبعت الشرطة الأجهزة إلى منزل والدتها في كوبهام، ساري، وأكدت لاحقاً أنها كانت مخولة بمصادرتها.

وأعربت براون عن صدمتها مما حدث، مشيرة إلى أن رد فعل الشرطة كان مبالغاً فيه. وقالت: «لم يفكر الضباط في أن ما قمت به كان مجرد إجراء مؤقت لمساعدة ابنتي في الدراسة، وكان رد الفعل مبالغاً فيه تماماً.» كما انتقدت طريقة تعامل الشرطة مع والدتها، التي في الثمانينات من عمرها، وقالت: «كانوا يتعاملون معها وكأنها مجرمة.»

وبدأت القضية عندما أبلغ رجل في الأربعينات من عمره عن سرقة جهازين «آيباد» في كوبهام. تم تتبع الأجهزة باستخدام جهاز تحديد المواقع، مما أدى إلى استجواب براون التي نفت في البداية معرفتها بمكان الأجهزة، لكنها تعاونت مع الشرطة وأعادتهما.

تم نقل براون إلى مركز شرطة ستاينز حيث خضعت للتفتيش وأخذ بصماتها قبل وضعها في زنزانة. لم تتمكن من العودة إلى منزل والدتها إلا بعد مرور ١٢ ساعة على الحادث. كما أفادت أن الشرطة سحبت إحدى ابنتيها من صفها المدرسي بسبب التحقيق.

في النهاية، أُفرج عن براون بكفالة مشروطة، شملت عدم التواصل مع أي شخص مرتبط بالتحقيق، بما في ذلك ابنتاها، لحين استكمال التحقيقات. وبعد التحقق من أن الأجهزة تعود لابنتيها، أُسقطت القضية وإلغاء جميع التهم الموجهة إليها، ما سمح لها باستئناف حياتها الطبيعية والتواصل مع ابنتيها بعد رفع شروط الكفالة.